الجزء الثاني المجلد الحادي والثمانون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

ربيع الآخر ١٤٢٧هـ
أيار (مايو) ٢٠٠٦م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م

١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونَها بها ويقصرونَها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الثاني المجلد الحادي والثمانون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

ربيع الآخر ١٤٢٧هـ
أيار (مايو) ٢٠٠٦م

لجنة المجلة

الدكتور شاكر الفحام

الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة

الدكتور محمد إحسان النص

الدكتور عبد الله واثق شهيد

الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ جورج صدّقني

الدكتورة ليلى الصباغ

الدكتور محمود السيد

الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري

أمين المجلة

الـــــسيد ســـــامر اليامـــــاني

شعر إدريس بن اليمان اليابسي الأندلسي

القسم الثاني*: مجموع شعره

د. أحمد عبد القادر صلاحية

(١) **

(دعا الوزير أبو عامر ابن مسلمة إدريس بن اليمان وأبا جعفر ابن الأبار لمجلس أنس فأجابه ابن اليمان):

يا صنوَ[١] ماءِ السماء في رقةٍ وصفاءِ
ويا سراجَ ضياءٍ يجلو دُجَى الظلماءِ
بهرتَ سيما[٢] ذكاء في بهجة وذكاء
وحزتَ في العلياء قوادم[٣] الجوزاء[٤]
يا حاتمَ الكرماء وأحمد[٥] الشعراء
بادهتنا بلآلٍ سواطعِ اللألاء
قريض حسن كَدُرٍّ على طُلى[٦] الحسناء

(*) نشر القسم الأول من البحث في الصفحة (٨٢٩) من الجزء الرابع/ المجلد (٨٠).

(**) الذخيرة: ٢ | ١ | ١٠٧.

(١) الصِّنو: المثل، الأخ الشقيق.

(٢) السيما والسيماء والسيمة والسيمياء: العلامة.

(٣) القوادم والقدامى: أربع ريشات أو عشر في مقدم الجناح.

(٤) الجوزاء: نجم، وبرج في السماء.

(٥) أحمد هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي.

(٦) الطلى: بضم الطاء: الأعناق أو أصولها أو صفحاتها.

يقودُ في كل معنى معنى الغنى والغناء
وقد أجبنا إلى ما دعوتَ من آلاء[٧]
(لا زال) نجمك أسمى من نجم كل سماء

* (٢)

(يذكر ابن بسام بيتين لابن رشيق ثم يقول) «وهذا كقول إدريس من جملة أبيات»:

فقالَ ومن هذا الذي جاءَ طارقًا فقلت أنا مُوسى وهذي هيَ العَصَا

** (٣)

ودخل إدريس بن اليماني على الموفق أبي الجيش فأنشده:

ولربَّ ليلٍ قد طرقتُ[١] وهمتي أَسري بها إذ ليسَ يسري كوكبُ
في معشرٍ شُمِّ الأنوف كأنهم سِيدانُ[٢] رمل أو أسودٌ درب
لبسوا دياجيرَ[٣] الدُّجَى إذ أسأدوا[٤] وتقنعوا بسنا الضحى إذ أوّبوا[٥]
وسَرَوْا[٦] فمغرب كل أرضٍ مشرقٌ لهمُ ومشرقُ كل أرض مغربُ

(٧) الآلاء: النعم.

(*) الذخيرة: ٤/٢/ ٦٠٥.

(**) الذخيرة: ٣/١/٣٤٠. مسالك الأبصار: ١٧/٤٢ (البيتان ٧– ٨).

(١) طرق: أتى بالليل.

(٢) سيدان: جمع سِيْد وهو الذئب.

(٣) الدياجير جمع ديجور: الظلام.

(٤) أسأد: سار الليل كله بلا تعريس.

(٥) أوّب: سار جميعَ النهار إلى الليل.

(٦) سرى: سار في الليل.

والفجـرُ ملـويُّ النقـاب مبرقـعٌ والليلُ مسدولُ الرواق[٧] مطنبُ[٨]
وكـأن بـاهرةَ[٩] الكواكـب معـشرٌ قـام الهـلال بهـم خطيبًـا يخطـب
وكـأنَّ نـورَ الـصبحِ رايـةُ فـارسٍ حمـراءُ يتبعهـا خمـيسٌ[١٠] أشـهبُ[١١]
وكأنَّ قرنَ الشمسِ[١٢] وجهُ مجاهدٍ لمـا أنـارَ سـناه[١٣] كـادتْ تغـربُ

(٤) *

وقال إدريس من قصيدة أخرى أولها:

لبيكَ لبيكَ داعي اللهو من كثَبٍ[١] إلى معاطفة[٢] الأغصان في[1] الكُثُبِ[٣]
إلى الـسوالفِ كالـسوسانِ[٤] في صـعد إلى الغدائر[٥] كالخلجان في صَبَب[٦]

(٧) الرُّواق والرِّواق: ستر يمد دون السقف أو سترة مقدمه من أعلاه إلى الأرض.
(٨) مطنّب: ممدود الأطناب مشدودها والأطناب جمع طُنُب وطُنُب: حبل الخباء والسرادق.
(٩) الباهرة: المضيئة – وبهرت الشمس استبان ضوؤها.
(١٠) الخميس: الجيش الجرار مؤلف من خمس فرق.
(١١) الأشهب: القوي الشديد الكثير السلاح.
(١٢) قرن الشمس: أول شعاعها عند طلوعها..
(١٣) السنا والسنى: الضوء.
(*) الذخيرة: ٣/١/٣٥٣-٣٥٤-٣٥٥.
(١) الكثَب: القُرْب.
(٢) المعاطفة الإمالة والثني والعطيف من النساء: اللينة المطواع لا كبر فيها.
(٣) الكُثُب: جمع كثيب: التل المستطيل المحدودب من الرمل والمقصود واضح
(٤) السوسان: السوسن وهو زهر أبيض من الرياحين عريض الورق ويعرف بالزنبق الأبيض.
(٥) الغدائر: جمع غديرة وهي الذؤابة وكل عقيصة والذؤابة ضفيرة الشعر فإن لويت سميت عقيصة.
(٦) الصَّبب: الموضع المنحدر.

إلى خـدودِ بنـات الـروم قـد بـرزت ... مـن حجبهـا وأدارَتْ أعـينَ العـربِ
من كل سافرة عن مَشْرب[٧] خجلاً ... فيـه طـرازان[٨] مـن مـاء ومـن لهـب
واستـضحكت عـن لآلٍ أو حَـصى بـردٍ ... يكـاد يقطـر مـن مائيّـةِ الـشنب[٩]

فروق الروايات:

(1) ((ط د س: من كثب)).*

ومنها:

يحـدو بهـا فتيـة صـيغت وجـوهُهم ... مـن الرضـا وعـواليهم[١٠] مـن الغـضب
قـد قـارعوا[١١] دونهـا كـل ابـن قارعـة[١٢] ... يهـب منغمـسًا في الحـرب والحَـرَب[١٣]
مـن كـل أشـنب قـد أفنـت شـبيبته ... شـبيبة البـان في ظـل القنـا الـسُّلُبِ[١٤]

ومنها:

مـاذا أقـولُ لـدنيا لـو ظفـرتُ بهـا ... أدَّبْتُهـا غـضبًا للظـرف[١٥] والأدب
تجلـو الرياسـةَ في تـاج البهـاء علـى ... مـن لا يفـرّقُ بـين الـرأس والـذنب

(٧) المِشْرَب: الوجه الذي يشرب منه.

(٨) الطِّراز: النمط.

(٩) الشَّنَبُ: البياض والبريق والتحديد في الأسنان، وكذلك ماءٌ ورِقَّة تجري في الثغر.

(١٠) العوالي: جمع عالية وهي أعلى الرمح ورأسه.

(١١) قارع: ضارب بالسيف وغالب.

(١٢) القارعة: الداهية، والشديدة من شدائد الزمان.

(١٣) الحَرَب: شدة الغضب.

(١٤) القنا السُّلُبُ: الرماح الطوال، يقال: رمحٌ سَلِبٌ ككتف: أي طويل.

(١٥) الظَّرْف: بالفتح الكياسة وذكاء القلب وحسن العبارة والبلاغة والحذق بالشيء أو حسن الوجه والهيئة.

شـجىً مـن اقْذيـةِ الأيـام بـرَّح بي ... بـل بـالعوالي وبالهنديـة القُـضُب[١٦]

لكنـني علـوائيُّ الهـوى مـرسٌ[١٧] ... حلبـتُ[١٨] أشـطرَ دهـري أيّمـا حلـبِ

ألقـى الأحبـةَ مخفـوضَ الجنـاح وقـد ... أختالُ تحت الرداء العضب[١٩]ذي الشطب[٢٠]

لا يـستثيرُ وشـاحُ الخَـوْد[٢١] لي شـغفًا ... ما لم يَجِبْ[٢٢] كفؤاد العاشق الوجب

ولا أهـيمُ بجِيـد[٢٣] غـير ذي جَيَـد ... ولا أهـشُّ لقُـرط[٢٤] غير مضطرب

ولا أروح لـروض غـير ذي زَهَـرٍ ... ولا أهـشُّ إلى كـأسٍ بـلا طَـرَبِ

وحـسبُ وشـيِ ثنـائي أن أُزرّره[1] ... على أبي الحسنِ المغموسِ في الحسب

شمائـلٌ طيبـاتٌ كلمـا انتـشقت ... إنَّ الرياضَ متى (ما) تُنتشقْ تطبِ

ذو همـة في العـلا دأبًـا مـسافرة ... لـو سافرت لمداها الشمسُ لم تؤب

أعـراقُ طيـبٍ أتـتْ مـن أصـبغ[٢٥] بفـتىً ... حـاز السناء تراثـا عـن أب فـأب

---

(١٦) القُضُب: جمع قضيب: السيف القطاع.

(١٧) المرِس: ممارس للأمور مجرب مزاول معالج لها.

(١٨) حلب الدهرَ أشطرَه: عركه وعرف خيره وشرّه.

(١٩) العَضْب: السيف القاطع.

(٢٠) الشُّطُب: الطرائق والخطوط في متن السيف.

(٢١) الخَوْد: الفتاة الحسنة الخلق الشابة.

(٢٢) وَجَب يجب: خفق واضطرب.

(٢٣) الجيد: العنق. والجَيَد طول العنق وحسنه، أو دق مع طول.

(٢٤) القُرْط: ما يعلق في شحمة الأذن من الحلي.

(٢٥) يقول ابن حزم: ((بنو الأصبغ من بطون العُلّيص وهي بطون كنانة وهي من بطون كلب بن وَبْرة)). جمهرة أنساب العرب: ٤٧٩.

إن قـام أو قعـد التـفَّ [2]العفـاةُ[٢٦] بـه كأنـه مـنهـمُ في عـسكرٍ لجِـبِ[٢٧]

لم يمــشِ قــطُّ إلى قــربٍ ولا بُعُــدٍ إلا على قدمٍ موطوءة[3] العقب[٢٨]

فروق الروايات:

(1) «ب م: ازوره, ط د س: اردده»*.

(2) «ب م: الزمان» *.

(3) «ب م: موضوءة, وسقط البيت من ط د س» *.

(٥) *

(قال أبو الوليد الحميري في البنفسج): ولأبي علي إدريس بن اليماني فيه قطعة رفيعة الوصف بديعة الرصف وهي:

فُتـق الثـرى مـن نَـوْره[١] بكواكـب دُعْـجِ[٢] النـواظرِ والخـدودِ عجائـبِ

فَــأدِرْ علــيَّ الكــأس بيذختيــة[1] في دولــة الــنجم الرفيــع الثاقــب

طبــع الربيــع علــى بــشاشته بــه طبـع الـشبيبة فـوق ثـدي الكاعـب

شبه لونه بلون أطراف الثدي و هو من الاختراع السري وبيذختية منسوبة إلى بيذخت قرية بعينها.

(٢٦) العُفاة: جمع عاف: كل طالب فضل أو رزق.

(٢٧) لجِب: ذو الصوت المختلط كالرعد.

(٢٨) العَقِبُ ككتف: مؤخر القدم.

(*) البديع في وصف الربيع: ١١١ – ١١٢.

(١) النَّوْر: الزهر أو الزهر الأبيض.

(٢) الدعج: جع دعجاء: والدُعْجة والدَّعَج: شدة سواد العين مع شدة بياض بياضها أو شدة السواد مع سعتها.

فروق الروايات:

(1) في طبعة د. كردي، بيضختية: وفي شرحه بيضختية: منسوبة إلى بيضخت.

(٦) *

(قال أبو الوليد الحميري في الخِيري) وله أيضًا فيه تشبيه عجيب أنشدنيه وهو:

أهــلاً بــسارٍ طيبُــه لا ســاربِ[١] أَضْــحى هــواه مــضربًا بــضرائبِ
يــا نــاجمَ الخِـيريِّ جـادك كـلُّ ذي ثغـر لجيـب الـدجن[٢] فوقـك جائـب
أُعطيــتَ أنفــاسَ الحبيــب معطــرًا وخُلقـت مـن خـيلان[٣] ثـوب الكاتـب

(٧) **

وقال (في الغزل):

صفــراء تهــديها[1] بنــان صــورت كهـواك مـن عَنَم[١] ومـن عنّـابِ
وغـزال سـتر[2] بـل غزالـة[٢] كِلّـةٍ[٣] تثـني عنـانَ العتـب بالإعتـاب[٤]

(*) البديع في وصف الربيع: ١١٥– ١١٦.

(١) السارب: الذاهب في الأرض حيث شاء.

(٢) الدَّجْن: ظل الغيم في اليوم المطير أو إلباس الغيمِ الأرض وأقطار السماء.

(٣) الخِيلان جمع خال: ثوب ناعم من ثياب اليمن أو ضرب من البرود أرضه حمراء وفيه خطوط سود.

(**) الذخيرة: ٣ /١/٣٣٩. مسالك الأبصار: ٤٢/١٧ (البيتان ١–٣).

(١) العَنَم: شجر لين الأغصَان لطيفها يُشبَّهُ به البَنانُ المخضوب، أو ضرب من الشجر له نَوْر أحمر.

(٢) الغزالة: أنثى الغزال، والشمس أو الشمس عند طلوعها.

(٣) الكلة: الستر الرقيق يتوقى به من البعوض يخاط كالبيت.

(٤) أعتبه: أعطاه العتبى ورجع إلى مسرّته.

أَجْـني مراشـفَها العـذابَ وفي الحـشا حُـرَقٌ فـأمزجُ رحمـةً بعـذابِ

فروق الروايات:

(1) «ط د س: تبديها» *.

(2) «ط د س: أنس ... قفرة»*.

(٨) *

(قال أبو الوليد الحميري في السوسن) ولأبي علي إدريس بن اليماني فيه أوصاف مستطرفة و تشبيهات مستظرفة منها قوله:

مُمهّـى الحـسنِ مـشقوقُ الجيـوب لـه وجـه الـبري[1] مـن الـذنوبِ

تفـرّج عـن مناكبـه[١] قمـيصٌ تَفَـرّجَ لوعـةِ الـدنف[٢] الكئيـبِ

و قـد عُلَّـت عمامتُـه بـورس[٣] فقـام بـلا خطـاب كالخطيـب

علـى أُنبـوبِ كـافورٍ يَـراعٍ تَـضمَّن بطنُـه يَنْبُـوعَ طيـبِ

المهمَّى: المرقق، يقال أمهيت السيف أمهيه إذا أرهفته وجلوته. وبنى القطعة كلها على وصف القائم وسط السوسنة[٤].

فروق الروايات:

(*) البديع في وصف الربيع: ١٤٠.

(١) المِنْكِب: مجتمع رأس الكتف والعضد أو ما بين الكتف والعنق.

(٢) الدنف: المريض المثقل من المرض.

(٣) الورس: نبات أصفر يصبغ به.

(٤) الشرح لأبي الوليد الحميري.

(1) في طبعة د. كردي: البريء.

(٩) *

(قال الحميدي): وأنشدني غيره له يعيب إنسانًا:

نوالُـكَ مـن مـخ رأس الظلـيم[١] وعقلُـكَ مـن ذنـب الثعلـبِ
وحظُّـكَ مـن كـل معـنى بـديع كحـظ النمـيري[٢] مـن زينـبِ

(١٠) **

(وقال في الغزل):

توشَّـح بالظلمـاء و هـو صـباحُ فأُمرضِت الألبابُ[١] وهي صحاحُ
وظـلَّ فـؤادي طـائرًا عـن جـوانحي[٢] ولـيس لـه إلا الغـرامَ جنـاحُ
قـضيبُ صـباح في وِشـاحِ دُجُنَّـةٍ[٣] ألا ليتـني تحـتَ الوشـاحِ وشـاحُ

(*) جذوة المقتبس: ١٦٠. بغية الملتمس: ٢٣٧.

(١) الظليم: الذكر من النعام.

(٢) النميري (ت نحو ٩٠هـ(محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي شاعر أموي غزل، ولد ونشأ ومات في الطائف كان كثير التشبيب بزينب أخت الحجاج وأرقّ شعره فيها، ولما قوي الحجاج طلبه ففر إلى اليمن، ثم قصد عبد الملك بن مروان واستجار به وتشفع به فعفا عنه الحجاج على ألا يعود لتشبيبه بأخته، له ديوان شعر صغير. طبع في كتاب (شعراء أمويون) لنوري حمودي القيسي ٣/١٠٩-١٣٤، ذُكر ذلك في معجم الشعراء المخضرمين والأمويين: ١٢٣. وكذلك في معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي: ٧٩.

(**) الذخيرة: ٣/١/ ٣٣٨.

(١) الألباب: جمع لُبّ: العقل.

(٢) الجوانح: جمع جانحة: الأضلاع التي تحت الترائب مما يلي الصدر.

ولا عجـــبٌ أن أفـــسدتني جفونـــه فكـــل فـــساد في هـــواه صـــلاح

(١١)*

وله من أخرى في إقبال الدولة بن مجاهد بدانية:

قـدكنـت لا أضـحى[١] إذا جئـتُ الـضحى . حتى دُفِعْتُ إلى [1]القتير[٢] الضاحي[٣]

(٣) الدُجُنّة: الظلمة.

(*) ١- جذوة المقتبس: ١٦٠ (بيتان: ٧ - ٨).

٢- الذخيرة: ٣/١/ ٣٤٣-٣٤٤ (القصيدة كلها), ٢/٢/٦٩٢ (بيتان ٧-٨).

٣- بغية الملتمس: ٢٣٧ (بيتان: ٧ — ٨).

٤- المطرب: ١٣٠-١٩٧ (بيتان:٧-٨) مرتان.

٥- المغرب١/٤٠٠ (بيتان: ٧ — ٨).

٦- عنوان المرقصات والمطربات: ٥٩ (بيتان ٧ - ٨).

٧- رايات المبرزين: ٢٣٠ (بيتان ٧ - ٨).

٨ - رسالة الطيف :١٤٩ (بيتان ٧ - ٨).

٩- نهاية الأرب: ٤/١١٤ (بيتان ٧ - ٨).

١٠- مسالك الأبصار: ١٧/ ٤٢ (بيتان ٧ - ٨).

١١- الوافي بالوفيات: ٨/٣٢٨ (بيتان ٧ — ٨).

١٢- فوات الوفيات ١ /١٦٢ (بيتان ٧ — ٨).

١٣- مختارات ابن عزيم: ٥٩ (بيتان ٧ - ٨).

١٤- خزانة الأدب (ط.شعيتو)١/ ٤٦٣ - (ط. دياب) ٣/٩٨ - (ط. الهواري) ١/٤٥٧ (بيتان ٧ - ٨).

١٥- حلبة الكميت: ٨٨ (بيتان ٧-٨).

١٦- الكشكول ٢/ ٤٧ - ٣/٣٢٦ (بيتان ٧- ٨) مرتان.

١٧- نفح الطيب: ٤/ ٧٥ (بيتان ٧ - ٨). ١

١٨- سفينة الملك: ٤٥٧ (بيتان ٧ - ٨).

فانجابَ عن أوضاحِه[٤] ذاك الدجى ووردتُ بعد الغمر[٥] في الضحضاح[٦]
وصدرتُ عن حبِّ الشباب وطالما غُمِست جَناحي في غديرِ جُناح[٧]
صاحَ الصباحُ بجانبَي ليلي فلم آسفْ لليلي إذْ محاه صباحي
لكن أسفتُ على طُلَىً[٨] وترائبٍ[٩] صَفِرتْ[١٠] يدي من حليها الصيّاح
مِنْ كلِّ ناعمةٍ يجولُ وشاحُها هيمانَ بين مهفهفٍ[١١] ورَدَاحِ[١٢]

فروق الروايات:

(1) «ب م: القمر، س: العتد»*.

ومنها:

ثَقُلتْ زجاجاتٌ أتتنا فُرَّغًا حتى إذا مُلِئَتْ بصرفِ الراح
خفَّتْ فكادتْ (أن) تطير[1] بما حوت وكذا[2] الجسوم تطير[3] بالأرواح

فروق الروايات:

---

(١) لا أضحى: لا أصاب بحرّ الشمس وأذاها. =
(٢) القتير: المشيب أو أول ما يظهر.
(٣) الضاحي: البارز للشمس.
(٤) الأوضاح جمع وَضَح: بياض الصبح أو مطلق الضوء والبياض من كل شيء.
(٥) الغمر: الماء الكثير.
(٦) الضحضاح: الماء اليسير القريب القعر.
(٧) الجُناح بضم الجيم: الإثم والجناية.
(٨) الطُّلَى، بضم الطاء: الأعناقُ أو أصولها أو صفحات الأعناق.
(٩) الترائب: جمع تريبة: موضع القلائد من الصدر.
(١٠) صَفِرَت يدي: خلت.
(١١) المهَفْهَفَة: الهيفاء الضامرة البطن الدقيقة الخصر من النساء.
(١٢) الرداح: الثقيلةُ الأوراك (جمع الورك)، التامةُ الخَلْق.

(1) في الجذوة والذخيرة٢/٢/٢٩٦, والبغية والمطرب وعنوان المرقصات والرايات والمغرب والمسالك: تستطير, وفي الكشكول: وكادت. وكذلك: «ط د س وكادت تستطير» *.

(2) في الجذوة والبغية والمغرب وعنوان المرقصات والوافي: إن الجسوم تخف.

(3) في الذخيرة (٦٩٢/٢/٢) والمطرب و الرايات ورسالة الطيف ونهاية الأرب والمسالك والفوات ومختارات ابن عزيم وخزانة الأدب وحلبة الكميت والكشكول والنفح وسفينة الملك: تخف.

ومنها:

بعلـــيٍّ بـــنِ مجاهـــد أوردتُـــه ... روضَ المـديح و موسـمَ المـدّاح

ثَهْلان[١٣] في عَقْد الحُبا[١٤] ولدى الوغى[١٥] ... غـصنٌ يـراحُ إلى نـسيمِ ريـاحِ

فـالبر[1] بحـر مـن مدائحـه الـتي ... تُـرْبي علـى الطيـار والـسباح

بـسياسةٍ يقـفُ الزمـانُ إزاءهـا ... خضلَ الحياء ملازمَ الإسجاح[١٦]

محفوفـة بمكـارم وصـوارم ... تثني وتصرف غربَ[١٧] كـلِّ جماح

يـا مَـنْ يُلحَـنُ كـلُّ خَلْـقٍ مدحَـهُ ... حـتى الحمـام علـى ذرى الأدواح[١٨]

هـشَّت[2] لتـسمعها بفـضلك[3] فاسـتمع ... سـيّاحةً[١٩] بثنائِـك الـسيّاحِ

(١٣) ثَهْلان: جبل معروف.

(١٤) عقد الحُبَا: اشتمل بالثوب وجمع بين ساقيه وظهره وهي كناية عن الوقار.

(١٥) الوغى: الحرب لما فيها من صوت وجلبة.

(١٦) الإسجاح: العفو والإحسان.

(١٧) الغَرْب: التمادي في الأمر، وحدّه.

(١٨) الأدواح: جمع دوح: الشجر العظيم ذو الفروع الممتدة.

غـررًا[٢٠] كطالعـة الكواكـب موهنًـا[٢١] طمحـت إلى لقيـاك كـل طمـاح
فأتَتْـكَ جانحـةً[٢٢] إليـك و إنمـا جَنَحَـتْ إلى مَغْنِـيطس الإجنـاح
فلكفـك القِـدْحُ المعلّـى[٢٣] في العـلا وعُـلاكَ تَحكُـم لي بفـوز قـداحي
ولـئن بـك اسـتغنيتُ عـن كـلٍ ففـي ضـوءِ الـصباح غـنىً عـن المـصباح[4]

فروق الروايات:

(1) «ب م: فالبحر» *.
(2) « د : هبت» *.
(3) «ط د س: بمجدك» *.
(4) «ب م: الإصباح» *.

* (١٢)

ولإدريس من قصيد فريد:

سَرَتْ في قميصِ الصبحِ[1] وهو جسيدُ[١] فأبلـت قمـيصَ الليـلِ وهـو جديـدُ
ولما استمدَّ الأفقُ من نور وجهها تقاصَرَ باعُ[٢] الليل و هو مديد

(١٩) السيّاحة: الجوّابة في الأرض.
(٢٠) الغُرّ: جمع غُرّة: البياض في الجبهة ومن الهلال طلعته وكل ما بدا لك من ضوء فقد بدت غرته.
(٢١) الموهن: نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه.
(٢٢) جانحة: مائلة والإجناح: الإمالة.
(٢٣) القدح المعلى: السابع من قداح الميسر له غنم سبعة أنصبة إن فاز.
(*) الذخيرة: ٣/١/٣٥٨-٣٥٩-٣٦٠.
مسالك الأبصار: ١٧/٤٣-٤٤ (١١ بيتًا: ١-٢-٧-٨ - ٩- ١٠- ١١- ٢٤- ٢٥- ٢٦- ٢٩).
(١) الجسيد: صبغ أحمر أو أصفر.

بشمسٍ يكادُ الوهمُ يُدْمي أديمَها لها الليلُ تاجٌ والنجومُ عقودُ
فلو يتأتَّى وردُها[٣] أو مرادُها تسلسلَ موروداً وطابَ مَرُودُ
وأينَ من المرتاد أعفرُ[٤] مقمرٌ نفورٌ كنومِ العاشقين شرودُ
غزالُ كناسٍ[٥] بل غزالةُ كلّةٍ تزينُ الحلى منها سوالفُ غِيدُ[٦]
كأنَّ جفوني فوق عيني من آجلها[2] ثيابُ دوامٍ تحتهنَّ شهيدُ
أَوحشيَّةً[٧] الإعراضِ عنا و مالها من الوحشِ إلا مُقْلتانِ وجِيدُ
من الْهِيفِ[٨] تستجفي النسيمَ إذا جرى عليلاً على أعطافها[٩] فتميدُ[١٠]
وتحتملُ الياقوتَ يرسو ثقيلُهُ فيجفو[١١] على صدرٍ زهاهُ نُهود
أَيُعْطَى مناه من ترائبك الحصى ويُحْرَمُ مشغوف الفؤاد عميد[١٢]
من الصيدِ[١٣] حرانٌ أطلتِ عويلَه وثغرك سلسالُ الرضابِ بروذُ[١٤]

(٢) الباع: السعة وهو قدر مد اليدين وما بينهما من البدن.
(٣) الورد: الماء، مكان الشرب والماء.
(٤) الأعفر من الظباء: الأبيض مطلقًا أو ليس بالشديد البياض أو الذي يعلو بياضه حمره.
(٥) الكِناس للظبي: مستتره في الشجر ومكتنّه ومغارته.
(٦) الغِيد جمع غيداء وهي الفتاة الناعمة المائلة اللينة الأعطاف.
(٧) الوحشي: كل ما لا يستأنس به ويستوحش عن الناس.
(٨) الهيف: جمع هيفاء: الفتاة الرقيقة الخصر الضامرة البطن.
(٩) العطف: المنكب والجانب.
(١٠) تميد: تتثنى وتميل وتتبختر.
(١١) يجفو: ينبو عنه ولا يطمئن إليه.
(١٢) العميد: الذي هده العشق وكسره.

فـإن لم أَرد ذاك اللمـى[١٥] العـذبَ إنـني ... علـى مُهَـجِ[١٦] الأُسْـدِ الـوِرادِ[١٧] وَرودُ
وإن صَـدِيتْ[١٨] شـوقًا إليـك جـوانحي ... فـصدَّ بـه مـن عارضـيك صُـدودُ
فَحـسبيَ مـن شَـهْديِّهِ مـاءُ صـارمٍ ... فلـولُ ظبـاهُ[١٩] لي بـذاك شـهودُ
إذا سُلَّ في الهيجاءِ[٢٠] وهي دُجُنة[٢١] ... تـألقَ فيهـا للـصباح عمـودُ
وكـأسٍ كرقـراق الـسَّرابِ كأنمـا ... لهـا رعـدةٌ عنـد المـزاجِ[3] عقـودُ
هي العيُن عينُ الشمسِ تَأْبَى عن القَذَى ... فتنفـي القـذَى عـن نفـسِها وتـذودُ
فبـت نـديمًا لابـن عـشرٍ وأربـعٍ ... يُـديرُ رحيقًـا[٢٢] عتَّقَتـه ثمـودُ
ومـا اصـفرَّ وجـهُ الـشمس إلا لأنـه ... لوجـهِ الأمـير الأريحـيِّ[٢٣] حـسودُ
أيـاديهمُ فـوقَ العُفـاةِ[٢٤] عُقُـودُ ... وأحلامهـمْ فَـوق الجنـاةِ بـرودُ
مـضَوْا ونحـورُ النبـلِ مـن صـبغِ طعـنِهمْ ... كمـا أشـربت مـاء الحيـاة[4] خـدودُ

(١٣) الصِّيد جمع أصيد، المائل العنق، والذي لا يتلفت يمينًا ولا شمالاً من كبر وزهو.
(١٤) البرود: البارد، للمبالغة.
(١٥) اللمى: سمرة مستحسنة في الشفتين أو اللثة.
(١٦) المهج: جمع مهجة: الروح أو خالص النفس.
(١٧) الوِراد: جمع وَرْد: الأسد.
(١٨) صديت: اشتد عطشها.
(١٩) فلول ظباه: الكسر والثَّلْم في طرف السيف وحدِّه.
(٢٠) الهيجاء: الحرب.
(٢١) الدجنة: الظلمة.
(٢٢) الرحيق: الخمر أو أطيبها.
(٢٣) الأريحي: الواسع الخلق المنبسط للمعروف.
(٢٤) العفاة: جمع عاف: كل طالب فضل أو رزق.

بساحةِ فاسٍ منه مطّرد[٢٥] الندى ولـيسَ بنـاجٍ مـن يديـه طريـدُ

فروق الروايات:

(1) «ب م: الليل: والتصويب عن المسالك» *.

(2) في المسالك م: لأجلها.

(3) «ب: المراح» *.

(4) كذا في الأصل ولعلها الحياء.

ومنها:

بحيث البحـأُر الخـضرُ وهـي كتائـبٌ عليهـا الـسحابُ الحمـرُ وهـي بنـودُ[٢٦]

خيـولٌ كعقبـانِ الـدُّجُون وكلُّهـا لكـلّ صَـيودٍ في العجـاج صَـيودُ

لهـا مـن ذُؤابـاتِ الحـسان مقـاودٌ[٢٧] ومـن لبـدِ[٢٨] الأُسـد الـوراد لبـود[٢٩]

تجـرر عـن ( ) المفـر فمـا تـني يروقُـك منهـا قائـدٌ ومقـودُ

حبـابٌ ولكـن لـيس يثنيـه ذائـدٌ عبـابٌ ولكـن لـيس منـه سُـدودُ

فـتىً يخـرقُ الأغيـالَ[٣٠] وهـي أسـنةٌ ويقتـنصُ الأبطـالَ وهـي أسـودُ

فلـيسَ لمختـالٍ[٣١] لديـه مخيلـةٌ ولـيس[1] لمرّيـدٍ[٣٢] عليـه مُـرودُ

(٢٥) المطرد: الذي يجري ويتبع بعضه بعضًا.

(٢٦) البنود: جمع بَنْد: العَلَمُ الكبير «فارسي معرب».

(٢٧) المقاود: جمع مِقوْد: الرسن وما يجر به ويقاد.

(٢٨) اللبد: جمعُ لِبدة: شعر متراكب على زبرة الأسد متراكب بين كتفيه.

(٢٩) اللبود: جمع لِبد: وهو من البُسُط مصنوع من الصوف الملبد.

(٣٠) الأغيال جمع غيل: الشجر الكثير الملتف.

(٣١) مَخيلة: تكبر.

(٣٢) المرِّيد: الشديد العتو.

بعيدُ المدَى ماضٍ يريكَ جَلادةً[٣٣] إذا لم يُطـقْ حـرَّ الجِـلادِ جليـدُ
يحيـدُ عـن القـولِ الكريـهِ سماعُـهُ ولـيسَ عـن القِـرْنِ الكريـهِ يَحيـدُ
فأنـتَ إذا اشـتدتْ يـدُ القهـرِ لـيّنٌ وأنـتَ إذا لانَ الكمـاةُ[٣٤] شـديدُ

فروق الروايات:

(1) «ب م: لمرتد » *.

وفي ابنه:

إذا اعتـد ذو مـال بـه لزمانـه فمالُـك كنـزٌ للعُفـاةِ عتيـدُ[٣٥]
لعمـري لقـد أنجبتَـهُ لـكَ مُـشبهًا فـداناك منـه مُتْلـف ومُفيـدُ
فغُرَّتُـه تُعْـدي سـناك علـى الـدجى وراحتُـه تُبـدي النَّـدى و تعيـدُ
قريـبٌ تـراه (منـك) لا متباعـدٌ وكـم مـن قريـبٍ منـك و هـو بعيـدُ
فَنَـوِّهْ[٣٦] به حتى يساميكَ في العلا فقـد يتـساوَى والـدٌ ووليـدُ

(١٣) *

(قال ابن الأبار): وأما عبد العزيز فكنيته أبو المصعب وكان جوادًا ممدحًا وفيه يقول أبو علي إدريس بن اليماني من قصيدة فريدة وكان إدريس هذا مقدمًا من فحول شعراء الأندلس:

(٣٣) الجَلادة: الصبر والصلابة والشدة والقوة.

(٣٤) الكُماة: جمع كَمي: الجريء الشجاع الذي لا يحيد عن قرنه ولا يروغ.

(٣٥) عتيد: حاضر مهيأ.

(٣٦) نوّه به: ارفع ذكره وعظمه.

(*) الحلة السيراء: ٢ /١٨٤ – ١٨٥.

فـدىً للـتي لم يـثنِ لـينَ فؤادهـا على كبـدٍ جـارَ الفـراقُ فآدَهـا[١]
مـن البـيضِ ريّـا[٢] في رداءٍ ذوائـبٍ يُبـاري سـوادُ العـينِ منهـا سـوادها

يقول فيها:

..... الـــــروض ..... سقاها الصبا السلسالُ حتى أنادها[٣]
تقـودُ بـلا رفـقٍ خيـولَ مـدامعي لتـورد هيجـاء المـلام ورادهـا[٤]
ومـا أنـصفتها حـين ضـنّتْ بجودها عليهـا وحثّـتْ بـالطرادِ[٥] جيادَهـا
أفـدت غـداة البـين[٦] منهـا التماحـة شـكرت صـنيع البـين بي إذ أفادهـا
أعيـدي سـقى مثـواك ألعسُ[٧] أشـنبٌ[٨] إذا مرضـت[٩] أرضُ الأحبـة جادَهـا
يـضوع بواديـك الأغـنّ[١٠] أغانيـا مـتى مـا يعـدها لم تمـلّ معادَهـا
إذا مـا أجـادَتْ كفُّـه حـولَ روضـةٍ حسبنا جَدى[١١] عبدِ العزيز أجادَها

(١) آدها: أثقلها وبلغ منها المجهود والمشقة.
(٢) الريّا: مؤنث الريّان: المرتوية.
(٣) أنادها: أمالها.
(٤) الوراد: جمع وَرْد: وهي من الخيل بين الكميت والأشقر.
(٥) الطِّراد: العدو والتتابع.
(٦) البين: الفراق والبعد.
(٧) الألعس: ثغر ألعس سواد في حمرة مستحسن في اللثة والشفة.
(٨) الأشنب: الشنب: ماء ورقة تجري على الثغر.
(٩) الأرض المريضة: الضعيفة الحال الفاسدة الهواء الشديدة الحر.
(١٠) الأغن: الملتف الأعشاب.
(١١) الجدا: العطية.

ثم تصرف في المديح تصرفه في النسيب وأحسن وأبدع.

(١٤)*

(قال أبو الوليد الحميري في البنفسج) وأنشدني لنفسه أيضًا فيه بيتين أنيقي التشبيه وهما:

وأريـضةٍ[١] حـاك الغمـامُ بُرُودَهـا[٢] وسَـقَى بريـقُ الغانيـات برودَهـا[٣]

ضـحك البنفـسجُ فوقهـا فكأنمـا نثـرت بـه خـضرُ الحمـام عقودَهـا

شبهه بلون أطواق القماري وهي موضع العقود ممن يستعملها وهذا التمثيل مفضل له ومستحسن منه.

(١٥) **

(قال الحميدي): ومما يستحسن له في صفة الدرق:

إلى [1]موقحة[١] الأبشار من درق[٢] يكـاد منهـا صـفا[٣] الفـولاذ ينفطـر

مؤنثـات[2] ولكـن كلمـا قرعـت تأنـث الـرمح والصمـصامة[٤] الـذكر

(*) البديع في وصف الربيع: ١١٢.

(١) الأريض من الروض: الجيد اللين المخصب المعجب للعين.

(٢) البُرود: جمع بُرْد: وهو الثوب المخطط أو يخص بالقصب والوشي.

(٣) البَرود: البارد للمبالغة.

(**) جذوة المقتبس: ١٦٠، بغية الملتمس: ٢٣٧، المطرب: ١٣٠.

(١) موقحة: صُلْبة.

(٢) الدَّرَقُ: بفتح الدال والراء: تُرُوسٌ من جلود بلا خَشَب ولا عَقَبٍ.

(٣) الصفا: الحجر الصلد الأملس الضخم.

(٤) الصمصامة: السيف لا ينثني في ضربته.

فروق الروايات:

(1) في المطرب: موشحة.

(2) في البغية: مرقنات.

(١٦) *

(قال الحميدي): واستحسن له أبو عامر بن شهيد في التشبيه قوله:

فكأن كل كمامة[١] من حولهم خلب[٢] وكل شقيقة نامور[٣]

(١٧) **

وقال:

عُلِّقْتُه شادنًا صغيرًا[1] وكنتُ لا أعشقُ الصغارا

أَعارني سُقْمَ ناظرَيْهِ فاستشعرتْ نفسُه حِذارا

يُسْفر عن وجهِ مستنيرٍ[2] يرُدُّ جُنْحَ[١] الدجَى نَهارا

لم أرَ من قبلِ ذاك ماءً أضرمَ فيه الحياءُ نارا

فروق الروايات:

(*) جذوة المقتبس: ١٦١.

(١) الكمامةُ: وعاء النَّوْر (الزهر) قبل أن يظهر.

(٢) الخُلب: الوشي.

(٣) النامور: الدم.

(**) الذخيرة: ٣ /١ / ٣٣٨، نفح الطيب: ٦٠١/٥ (وأنشد) ابن ليون (لأبي علي إدريس بن اليماني). (الأبيات ١ –٣ –٤).

(١) جنح الليل: ظلامه أو طائفة منه.

(1) «ط د: غريرا» *.

(2) في النفح: مستنير وجه صيّر.

(١٨) *

وله من أخرى (في المديح)

يلقى الوغى[١] بأدم وجه ضاحك ... صافي الأسرّة[٢] في العجاج الأكدر

بطلٌ ترى الأبطالَ منه كالقطا ... أشفقن من زَجِلِ[٣] الجناحِ مصرصرِ[٤]

في سَرْجه زُحَلٌ وبَهرامٌ[٥] معًا ... وبربرتيه عُطاردٌ والمشتري[٦]

بأسًا يخلّي الخيلَ حين يخوضُها ... كالأيكة[٧] انقصفتْ بريحٍ صَرْصرِ[٨]

وذكاء فهم كلما استخبرته ... ألفيتَ أذكى مَنْدل[٩] في مجمر

في كلّ كفٍّ منه خمسُ أصابعٍ ... لكنها في الجود خمسةُ أبحرِ

(١٩) **

(*) الذخيرة: ٣/١/ ٣٥٨.

(١) الوغى: الحرب نفسها لما فيها من الصوت والجلبة.

(٢) الأسرّة جمع السرِّ، وهو خط الوجه.

(٣) زجل الجناح: مصوّت.

(٤) مصرصر: الصقر يصوّت وفي صوته امتداد وترجيع.

(٥) بَهْرام: اسم للمريخ.

(٦) زحل وعطارد والمشتري: كواكب معروفة.

(٧) الأيكة: الشجرة.

(٨) ريح صرصر: شديدة البرد أو الصوت.

(٩) المَنْدَل: العود الرطب يتبخر به أو أجوده.

(**) البديع في وصف الربيع: ٩٧.

(قال أبو الوليد الحميري في الياسمين) وأنشدني لنفسه فيه أبو علي إدريس بن اليماني قطعة حسنة التشبيه وهي:

أميرُ النَّوْرِ[١] يأمرُني بشربٍ ... ولستُ أُطيقُ عصيانَ الأميرِ

فخذْ كأسَ السرور فسقّنيها[1] ... على ودّ الأميرعلى السرير

نجومٌ من لجين تحتليها ... سماء زبرجد خضل نضير

تزيدُ على الأقاحي في ابتسام ... كما زاد الكبير على الصغير

وينخفض الشَّذا المسكيُّ عنها ... كما انخفض الصغير عن[2] الكبير

فروق الروايات:

(1) في طبعة د.كردي: فاسقنيها وفيها ضرورة شعرية.

(2) في طبعة د.كردي: على.

(٢٠) *

قال علي بن ظافر وأحسب أن الذي هجاه به إدريس أفحش فيه قوله وقد كان وفد عليه بالمرية وامتدحه بقصيدة فلم يحفل به فأنفذ إليه عند خروجه منها يقول:

إيه[١] أبا جعفر المرجَّى ... ما بال طيري خلاف طيرِكْ

أهديتُ رقراقةَ المعاني ... لم أُهدِ أمثالَها لغيرِكْ

فلم تَمِرْها[٢] ولم تمرني ... ولم تمرها بفضل مميرك

(١) النَّوْر: الزهر أو الأبيض منه.

(*) بدائع البدائه: ٨٤.

(١) إيْهٍ إيْهٍ: كلمة استزادة في حديث أو عمل.

فـــصارَ شـــعري لـــديك بِكـــرًا قـــد يئـــست مـــن فـــلاح أ... ك

* (٢١)

(قال أبو الوليد الحميري في الخيري) وقال أبو علي إدريس بن اليماني يصفه بوصف متقدم الإحسان وهو:

مراشـــفُ الخـــيري حـــوٌّ[١] لُعْـــسُ
كأنَّـــــهُ قـــــد قبلتـــــه الـــــشمسُ
أو نقّـــست للمـــسك فيـــه نفـــس
الطيـــبُ في الليـــل عليـــه حُـــبْس[٢]
ومـــا لَـــه تحـــتَ النهـــار حـــسٌّ
كأنمـــا الـــضوء عليـــه حَـــبْس

قوله: قبلته الشمس يعني أن لونه كلون من أثرت فيه الشمس، إلى هذا أشار وإياه[1] أراد.

فروق الروايات:

(1) في طبعتي د. عسيلان وبيرس: إليه.

** (٢٢)

(٢) مار، يمير: جلب الميرة أي الطعام.

(*) البديع في وصف الربيع: ١١٥.

(١) حوّ: جمع حُوّة: السمرة.

(٢) حُبْس: وقف عليه.

(**) الذخيرة: ٨٨٧/٢/٣ – ٨٨٨، الوافي بالوفيات: ٨ / ٣٢٧، نهاية الأرب ١١ / ٢٧٠ (وقال شاعر أندلسي)، فوات الوفيات ١ /١٦٢، حلبة الكميت: ٢٤٢.

يذكر ابن بسام أبياتًا لابن عائشة – أحد ولاة بلنسية في عهد المرابطين – ثم يقول وينظر هذا إلى قول إدريس من بعض الوجوه:

وإخـوانِ صـدقٍ[1] قـد أنـاخوا بروضـة ولـيس لهـم إلا[2] النبـاتَ فـراشُ
فخلـتُهم[3] والنـور[4] يـسقط فـوقهم[5] مـصابيح تهـوي[6] نحـوهن فـراش

فروق الروايات:

(1) في الوافي ونهاية الأرب والفوات وحلبة الكميت: وفتيان صدق عرّسوا تحت دوحة.

(2) في نهاية الأرب: غير, وفي حلبة الكميت: وما لهم غير, وفي الكشف والتنبيه: الثبات, وفي «ط د: الثياب» *.

(3) في سائر الأصول: كأنهم.

(4) في حلبة الكميت: الزهر.

(5) في الكشف والتنبيه: بينهم.

(6) في الكشف والتنبيه: يسري فوقهن, وفي حلبة الكميت: يهوي.

(٢٣) *

(قال في الغزل):

قبلـةٌ كانـت علـى دهـش[١] أذهبـت مـا بي مـن العطـش
ولهـا في القلـب منزلـةٌ لـو عـدتها الـنفسُ لم تعـشِ
طـرقَتْني والـدجَى لبـست[1] خلعًـا[٢] مـن جلـدة الحـنشِ[2]

(*) الذخيرة: ٣٣٧/١/٣، مسالك الأبصار ٤١/١٧ – ٤٢، نفح الطيب: ٧٥/٤.

(١) دَهِش: تحُّير وشُدِهَ.

وكـــأنَّ الـــنجمَ حـــين بـــدا درهـــمٌ في كـــفِّ مـــرتعشِ

فروق الروايات:

(1) في المسالك: لابس, «ب م ط د: لابس والتصويب عن النفح والمسالك»*.

(2) في النفح: الحبش.

* (٢٤)

وله من أخرى في باديس:

سَـقيًا لواديـكَ الأغِـنّ مريعُـه[1] إن الـشبابَ بـه مريـعٌ مُمْـرِعُ
إن كـان خـدُّكَ فيـه وردٌ يـانعٌ فهـواك في عيـني وقلـبي[1] أينـعُ

ومنها:

القائـدُ الجـردَ[٢] العتـاقَ كأنهـا لجـجٌ زواخرُ أو عوارضُ[٣] لُمَّعُ[2]
متوقّـدٌ في الحادثـاتِ إذا دجـت فكأنـه فيهـا شـهابٌ يـسطعُ
علـمٌ هـو القمـر المبـاهي طالعًـا صنهاجةً[٤] وهمُ[3] النجومُ الطلَّعُ

(٢) الخِلَعُ جمع الخِلعَة: وهي الثوب خلعته عنك، طرحته على آخر أو لم تطرحه.

(*) الذخيرة: ٣ /١ / ٣٥٥، مسالك الأبصار١٧/٤٣ (بيتان:٦-٧).

(١) المريع: الخصيب.

(٢) الجرد: جمع أجرد: وهو ما رقّ شعره وقصر من الخيل.

(٣) العوارض: جمع عارض: السحاب المعترض في الأفق.

(٤) صنهاجة: من قبائل البربر المشهورة في جنوبي المغرب الأقصى وقد عدها بعض النسابة العرب من حمير.

قلائد الجمان: ١٧٠، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: ٣١٧، القصد والأمم: ٣٦.

مُتَسربلينَ لكلّ حربٍ مُرّةٍ بأسًا يقرّعُ كل من لا يقرع
فلو انهم رفضوا الأسنةَ و القنا قامتْ قلوبهمُ بها و الأذرعُ

فروق الروايات:

(1) «ط د: قلبي وعيني» *.
(2) «ط د: تلمع» *.
(3) «د ط س: وهي» *.

* (٢٥)

وقال (في النسيب):

علقَ الهوَى قبلَ الهواءِ علاقةً ما زال في نزعٍ[١] بها ونزاعِ[٢]
فكأنما سَكنَ الهوَى في قلبِه من قبل سكنَى القلبِ[1] في الأضلاعِ

ومنها في صفة الخيل:

خيلٌ يميدُ الدهرُ عند هبوبِها ميدَ القضيبِ بعاصفٍ[٣] زعزاعِ[٤]
فكأنَّ[2] خطفًا[٥] من نتائج أعوج[٦] تنقض من فرسانها بسباع

فروق الروايات:

(*) الذخيرة ٣/١/٣٣٩.
(١) النزع: دخول المريض في السياق وطلوع الروح.
(٢) النزاع: شدة الحنين والشوق.
(٣) العاصف: الريح الشديدة الهبوب.
(٤) الزعزاع: الريح التي تزعزع الأشجار أي تحركها بشدة تكاد تقلعها.
(٥) الخُطْف: الفرس الضامر وخف لحم الجنب.
(٦) أعوج: عَلَم فرس سابق تنسب إليه الأعوجيات من الخيل.

(1) «ط د س: الروح» *.

(2) «ط د س:عقبان تخطف» *.

(٢٦) *

(قال أبو الوليد الحميري في السوسن) ولأبي علي إدريس بن اليماني أيضًا قطعة بديعة التشبيه موافقة الوصف لكل ما فيه وهي:

وضـــــاحكٍ كـــــالفَلَقِ[١] عـــــن فلـــــج في رَوَقِ

علـــــى حفـــــافي مـــــرود مـــــذهب منـــــدلق

كمنـــــتج مـــــن غـــــرق وخـــــارج مـــــن نفـــــق

بـــــين اصـــــفرار فـــــاقع علـــــى ابيـــــضاض يقـــــق[٢]

كأنمـــــــا كلاهمـــــــا في راحـــــــة أو طبـــــــق

بـــــرادة مـــــن ذهـــــب في ورق مـــــــــن ورق[٣]

الفلج الفرجة بين الأسنان. والروق طولها. والحفافان الجانبان. وعنى بالمرود القائم وسط السوسنة. والمندلق الآتي[1] المندفع.

فروق الروايات:

(1) في طبعة د.كردي: الناتئ.

(٢٧) **

(*) البديع في وصف الربيع: ١٤٠.

(١) الفَلَق: الصبح أو ما انفلق من عموده.

(٢) اليقق: الشديد البياض الناصع.

(٣) الوَرِق والوَرَق والوِرْق: الفضة.

وله من أخرى في ابن واجب:

وادي الأراكِ أطلــتَ شــكوى الــشاكي بــشميمِ كــل بــشامةٍ[١] وأراكِ

يقول فيها في وصف الحمامة، وأجاد ما أراد وزاد:

ورقــا[٢] مطوقــةُ الــسوالفِ سندسًــا لم يَحْـكِ صَـنْعتَها حياكـةُ حـاكِ

تَشْدو على خُضْر الغصونِ بألسنٍ صَـبَغتْ[1] ملاثمهـا بـلا مِـسْواكِ

وكــأنَّ أرجلَهــا القــواني[٣] ألبــست نعــلاً مــن المرجــانِ دون شــراك

وكأنهــا كُحِلَــتْ بنــارِ جــوانحي فـترى لأعينهـا لهيـبَ حـشاكِ

فروق الروايات:

(1) في المسالك: صيغت.

* (٢٨)

وقال إدريس:

أكحيلـةَ الأجفـانِ بالـسحر الـذي لولاه ما [1]زَوَتِ[١] البلابلَ[٢] بابلُ[٣]

(**) الذخيرة: ٣ /١ / ٣٤٤ – ٣٤٥، مسالك الأبصار ١٧: ٤٢ – ٤٣ (بيتان ٣ – ٤).

(١) البشامة: شجرة عطرة الرائحة يستاك بقضيبها.

(٢) الورقاء: الحمامة التي لونها كالرماد فيه سواد.

(٣) القواني: جمع قان: الأحمر.

(*) الذخيرة: ٣ / ١/ ٣٥٦-٣٥٧، مسالك الأبصار١٧/ ٤٣ (بيتان ٩-١٠).

(١) زوت: نحّت وصرفت

(٢) البلابل: شدة الهم والوسواس، والبرحاء في الصدر.

(٣) بابل: مدينة قديمة في العراق ينسب إليها السحر والخمر.

قد كان قلبي غافلاً عما به أودى[٤] وقلبُ (أخي) السلامةِ غافلُ
حتى دهاني منك صدرٌ رامحٌ[٥] ذربٌ[٦] سناناه وطرفٌ نابلُ[٧]
ما عِقْدُكِ الممْهَى[٨] بجيدك دُرّةٌ لكن فرندٌ[٩] في حسامٍ جائلُ
كملت سيوفُ الهند فوق جفونها وطوالُ أهداب الجفون حمائلُ

فروق الروايات:

(1) «ب م ط د: درت» *.

ومنها:

سارٍ وغادٍ بالجياد كأنها لججٌ[١٠] وأكبادُ العداةِ سواحلُ
وكأنما الآجالُ فوق رماحه وُرْقٌ[١١] على شجرِ الأراكِ هوادلُ
الخاطفات أسافلاً و أعاليًا فكأنهنَّ ضراغمٌ[١٢] وأجادلُ[١٣]
يَلْوي القنا في نحرِ كلّ مدجَّجٍ[١٤] ليًّا كما فتلَ السوارَ الفاتلُ

(٤) أودى به: ذهب به وأهلكه.
(٥) الرامح: ذو رمح طاعن به.
(٦) الذَّرب: الحاد.
(٧) النابل: ذو النبل حاذق في رميه.
(٨) الممهى: كل شيء صفا وأشبه المهَا أي البِلَّور.
(٩) الفرند: ماء السيف وجوهره.
(١٠) اللجج: جمع لجة: وهي من الماء معظمه أو هي خاصة بالبحر.
(١١) الورق: جمع ورقاء: الحمامة التي لونها كالرماد فيه سواد.
(١٢) الضراغم: جمع ضِرغام: الأسد الضاري.
(١٣) الأجادل: جمع أجدل: الصقر.

بأسًا كما نزل القضاءُ يديره رأيٌ كما صقل الحسامُ الصاقلُ

وإذا شرابُ القوم كان منيةً لم يدنُ من تلك المدامةِ واغلُ[١٥]

نَغَمُ السيوف ألذُّ ما هو سامعٌ ومنى النفوس أقلُّ ما هو باذلُ

هذا ابنُ خاضبِ ذي الفقار[١٦] بجانبي وادي حُنَينٍ والصفوفُ حوافلُ

وبخيبرٍ والحربُ بارقُ عارضٍ وبناتُ أعوجَ[١٧] ما شحته[١٨] زائلُ

دفع الرسولُ إليه رايته وقد طمحت[١٩] عيونٌ نحوه وأنامل

أربَتْ[٢٠] على الغاياتِ غايةُ مجدِهِمْ فالوهمُ عن إدراكها متضائلُ

تزدانُ أقلامٌ بهم ومحابرٌ وتطولُ أرماح[٢١] بهم ومناصلُ[٢٢]

فكأنّما المقدارُ من أشياعِهِ وكأنما الحدثانُ[٢٣] عنه مناضلُ

وكأنّما المرّيخُ من أنصاره وكأنما البِرجيسُ[٢٤] فيه مجادل

---

(١٤) المدجج في سلاحه: الذي لبسه تامًا وكأنه يتغطى به.

(١٥) الوغل: الداخل على القوم في شرابهم من غير دعوة ولا إنفاق.

(١٦) ذو الفقار: سيف مشهور كان للعاص بن مُنَبّه قتل يوم بدر كافرًا فصار إلى النبي ﷺ ثم إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. شبهوا تلك الحزوز بالفقار أو لأنه كانت فيه حفر صغار حسان.

(١٧) بنات أعوج: يقال للفرس هو من بنات أعوج وهو علم فرس سابق تنسب إليه الأعوجيات من الخيل.

(١٨) شحت الخيل: فتحت أفواهها.

(١٩) طمح ببصره: رمى به إلى الشيء وطمح بصرُه إلى الشيء: ارتفع.

(٢٠) أربت: زادت.

(٢١) أرماح ورماح: جمع رمح.

(٢٢) المناصل: السيوف.

(٢٣) الحَدَثَان: أحداث الدهر وحوادثه ونوائبه.

تـصبو إليـك مـشارقٌ و مغـاربٌ وتهـيم فيـك منـابرٌ ومحافـلُ
وتـودُّ سـابحةُ الكواكـبِ أنهـا لـك سابحاتٌ[٢٥] والـدجونُ قـساطل[٢٦]
تجـري بمـا منهـا تـشاءُ كأنمـا حركاتُـها فعـلٌ و أنـت الفاعـلُ
لـولا اضـطرام البـأس فيـك لـدى الـوغى لاخـضرّ َ في يـدك الوشـيجُ[٢٧] الـذابلُ

* (٢٩)

(قال صلاح الدين الصفدي ومنه في المديح)

وأنـت إذا اسـتُنْزلتَ[١] مـن جانـبِ الرضـا نزلـتَ نـزولَ الغيـثِ في البلـد المِحْـلِ[٢]
وإن عجم[٣] الأعداء منك حفيظة[٤] وقعـت وقـوع النـار في الحطـب الجـزل[٥]

** (٣٠)

(ذكر ابن سعيد أن من) أبدع شعره قوله ....وقوله في لحية طويلة عريضة:

لـو أنهـا دونَ الـسماءِ سـحابةٌ لم تخترقْهـا دعـوةُ المظلـومِ

*** (٣١)

(٢٤) البِرْجِيْس: نجم قيل هو المشتري.
(٢٥) السابحات: الخيول تجري كأنها تسبح بيديها في سيرها.
(٢٦) قساطل جمع قسطل: الغبار الساطع.
(٢٧) الوشيج: شجر الرماح.
(*) الوافي بالوفيات: ٨ / ٣٢٧.
(١) استُنْزِلَ: طلب النزول إليه.
(٢) المِحْل: الأرض التي انقطع عنها المطر في حينه فلا مرعى بها ولا كلأ.
(٣) عجم فلانًا: رازه واختبره.
(٤) الحفيظة: الحمية والغضب لحرمة تنتهك أو عهد ينقض، أو الذبُّ عن المحارم.
(٥) الحطب الجزل: العظيم الغليظ منه والكثير من كل شيء.
(**) المغرب في حلى المغرب ١ / ٤٠٠.

وقال إدريس (في الغزل):

أَقْبَلَـــتْ تهتـــزُّ كالغُـــصْـــنِ وتَمْـــشي كالحمامـــةْ

ظبيـــــة تحـــــسدُ عينيـــــها وخـــــدَّيها المدامـــــةْ

(٣٢) *

له في المأمون بن ذي النون من قصيدة أولها:

تبـــيَّنَ مـــن ســـرِّه مـــا اكتـــتمْ فـــلاحَ كنـــارٍ بـــأعلى عَلَـــمْ[١]

يقول فيها:

أَمَـا والهـوى وهـو أَحْلـى قَـسَمْ وإن بنـتُ عنـه بنفـسي قُـسِمْ[٢]

ومـا يجتلـى مـن أَقـاحٍ ضـحوكٍ يُـشَبُّ بمـاء الـشباب الـشّبِمْ[٣]

لقـد شـربتْ شـربَ نـومي فلـو شـربتُ سـلافَ[٤] الهـوى لم أنم

خـــدودٌ غلائلُهـــا مـــن شـــقيق وأيـــدٍ أناملُهـــا مـــن عَـــنْم[٥]

ظَلَمْـنَ قُلـوبَ الهـوى مـذ عَـدَوْنَ [1]يطفـرن[٦] فـوقَ شمـوسِ الظلـمْ

(***) الذخيرة ٣/ ١/ ٣٣٩.

(*) الـــذخيرة: ٣ / ١ / ٣٤١ – ٣٤٢ – ٣٤٣، مـــسالك الأبـــصار ١٧/ ٤٢ (الأبيات٤– ٥ – ٦ – ٧–٨ –١٦).

(١) العَلَم: الجبل أو الطويل من الجبال.

(٢) قُسِمْ: قُدّر.

(٣) الشبم: البارد.

(٤) السلاف والسلافة: الخمر أول ما تعصر أو أخلصها وأفضلها.

(٥) العنم: شجر لين الأغصان لطيفها له نور أحمر أو ثمر أحمر يشبه به البنان المخضوب.

(٦) يطفّرن: يثبن في ارتفاع.

ولما أقمْنَ رماحَ القدودِ[2] فدانت لهن رماحُ البُهَم[٧]
رفعْنَ الهوى علمًا خافقًا فكانَ فؤادي جناحَ العلمْ
يحمّ[٨] أبو كل شبلين بي و يلعبُ بي كلُّ طرفٍ أحم[٩]
لقيتُ الليالي في شوكها فبرح نحوي [3]بصُمّ[١٠] الصمم[١١]
ونبهتُ سوقَ الرّدَى في العِدا فقامت ولولا يدي لم تقم
فما راعني[١٢] رائعٌ غيرُ لحظٍ سقيمٍ يصحُّ إذا ما سَقمْ
ظننتُ الشبابَ يفي حينَ وافى فلم يكُ إلا خيالاً أَلَمْ
تولّى وشيكًا ولم أجَنِ منه سوى حُلُمٍ أو شبيهِ الحلمْ
وما العيش إلا فُواقُ[١٣] اغتنامٍ فمهما تفوقتَه فاغتنِمْ
وفي شيم الناس ما في العيون ومن ذلك الناس شتّى الشيم
وما زالَ [4]يقفو[١٤] زمانٌ زمانًا[5] فإمّا بحمدٍ و إمّا بِذَمْ
ولكنَّ هذا الزمانَ استقامَ ولولا ابنُ ذي النونِ لم يستقِمْ

(٧) البُهَم: جمع بُهْمَة: الشجاع الفارس.
(٨) حم الماءَ سخّنه، وحم التنورَ: سجره وأوقده وحمه الأمرُ: أهمّه.
(٩) الأحم: أسود المقلتين.
(١٠) الصم: جمع أصم وهي من الفتن الشديدة العمياء لا تسكن لتناهيها في ذهابها، والأرض الغليظة.
(١١) الصَّمَم في الحجر: صلابته وفي الأمر شدته.
(١٢) راعني: أفزعني.
(١٣) فواق: ما بين حلبتين من الوقت وتفوق فلان شرابه: شربه شيئًا بعد شيء.
(١٤) يقفو: يتبع.

فقد سَكَنَتْ عينُ دهمائِه[١٥] كما سَكَنَ الفعلُ جزمًا بلمْ
رعايا الملوكِ قطا[١٦] البيدِ لكنْ رعيةُ يحيى حَمامُ الحَرَمْ
ملوك ولكنهم في الملوك كأمة أحمدَ بين الأممْ
وطيّبَ حتى رضابَ[١٧] الثغورِ فلا فمَ إلا وفيه شَبَمْ

فروق الروايات:

(1) في المسالك: يضفّرن.

(2) في المسالك: النهود.

(3) «ط د س: غربي بضمي.*

(4) «ط د س ب: يهفو» *

(5) «ط ب س م: زمان» *

وفيها يقول إدريس:

أرى العالمَ اعتدلتْ حالُه فلا ما يُعابُ ولا ما يُذَمْ
وكانَ بحالِ انتقاصٍ فتمَّ ولكنه بابنِ ذي النونِ تمْ
همامٌ له شيمةٌ[1] كالشمولِ[١٨] تميتُ الهمومَ وتحيي[2] الهِمَمْ
أبا الحسنِ الحسن المكتني بما هو نعتٌ له لا جَرَمْ[١٩]
تنسمتُ نعمته بالثناءِ ونشرُ الثناءِ نسيمُ النعم

(١٥) الدهماء: السواد الأعظم، وجماعة الناس وكثرتهم.

(١٦) القطا: طائر مشهور وهو ضرب من الحمام.

(١٧) الرُّضاب: الريق المرشوف، تقطعه في الفم وتحببه وكثرة ماء الأسنان.

(١٨) الشمول: الخمر أو الخمر الباردة الطيبة الطعم.

(١٩) لا جرم: لا بد أو لا محالة أو حقًا.

يـدٌ تقـعُ الهـامُ[٢٠] تحـتَ الحـسامِ بهـــا والأقـــاليمُ تحـــتَ القلـــمْ
كـــأنَّ العيـــونَ ازدحامًـــا عليـــه عطـــاشٌ إلى مـــوردٍ تـــزدحمْ
وخُـــذْها تجـــرُّ[3] إلى حـــسنِها «أتهجـــرُ غانيـــةً أم تُلِـــمْ[٢١]»
لـــو اعترضَـــتْ لـــزهيرِ البـــديع ســـلا عـــن بدائِعِـــه في هَـــرِمْ
ولـو خَطَـرَتْ بحبيـبِ بـن أوسٍ[٢٢] طَـوَى كـلَّ مـا حـاكَ في المعتـصِمْ
فيـا كعبـةَ الحـسنِ وافـاكَ عبـدٌ لطاعـــــةِ ســـــيّده ملتـــــزِمْ
حججـتُ و طفـتُ أسـابيعَ لكـن تمـــام طـــوافيَ أن أَسْـــتلمْ[٢٣]

فروق الروايات:

(1) «س: همة» *.
(2) «ط د س: مميت ... ومحيي» *.
(3) «ط د س: تحن» *.

* (٣٣)

(وقال إدريس في) صديق له وعده بوعد فأبطأ به:

عـــداتُ[١] الحـــرِّ خيـــلٌ في رهـــان تُكحّـــل بـــالمنَى حـــدقَ الأَمـــاني

(٢٠) الهام: جمع هامة: رأس كل شيء من ذوات الروح أو أعلى الرأس وفيه الناصية.
(٢١) البيت للأعشى الكبير وعجزه: أم الحبل واه بها منجذم – ديوانه: ٣٥.
(٢٢) حبيب بن أوس: أبو تمام الطائي.
(٢٣) استلم الحجر: تناوله باليد أو بالقُبلة ومسحه بالكف.
(*) جذوة المقتبس: ٧٦.
(١) العدات: جمع عدة: الوعد.

وكانَــتْ منــكَ لي عــدةٌ أطلَّــتْ كما عَنّت[٢] صبوح[٣] في عنانِ
وقــدْ حَرَنَــتْ[٤] فعاودْهــا بــسوطٍ مــن الإنجــازِ عــن ذاك الحِــرانِ
ولايــكُ جيــدُ جــودك جــذع نخــل وطرفُــــك ينثـــني كـــالخيزرانِ

(٣٤) *

وقال من قصيدة في ابن بقنة وزير يحيى بن حمود أولها:

دعــاه الهَــوى مــن ذي الأراكِ فلبّــاه وغنّــاه أيكــيٌّ[١] الحمــام فأبكــاهُ
وصــدّقَ دعــوى الــشوقِ برهــانُ جــسمه ومــاكــلُّ ذي دعــوى[٢] تُــصدّق دعــواهُ
وظــلّ جنــاحُ القلــب منــه كأنمــا قُدامى جناحِ البرق منه قداماه[٣]
بــذي لَعَــسٍ[٤] للأقحــوانِ ثنايــاه وللــوردِ خــدّاهُ ولــلآسِ صــدغاه[٥]
وللــسوسنِ الريّــانِ صــفحةُ خــدِّه وللبــدر مَجْــلاه وللمِــسْكِ ريّــاهُ[٦]
يُــــريني إذا ردَّ الـــــسلامَ مخالـــسًا بنانًــا دمــاءُ العاشــقين [1]يَرنّــاه[٧]

(٢) عن الفرس: حبسه بعنانه.
(٣) الصبوح: الناقة تحلب بالغداة.
(٤) حرنت الدابة: وقفت لما اشتد بها الجري ولم تنقد.
(*) الذخيرة: ٣ / ١ / ٣٥٢ – ٣٥٣، مسالك الأبصار ١٧/ ٤٣ (بيتان: ١١ – ١٣).
(١) الأيك: الشجر الملتف الكثير.
(٢) الدعوى: الزعم حقًّا كان أم باطلاً.
(٣) القُدَامى: أربع ريشات أو عشر في مقدم الجناح.
(٤) اللعس: سواد مستحسن في اللثة الشفة أو سواد في حمرة.
(٥) الصدغان: ما بين لحاظ العين إلى أصل الأذن أو ما انحدر من الرأس إلى مركب اللّحيين.
(٦) ريّاه: طيب رائحته.
(٧) اليرنأ واليرناء: الحناء.

كـأن فـؤادي كلمـا قـام[2] قُرْطـه فيـا علـوَ مرقـاه و يـا بعـدَ مهـواهُ
فريـدُ جمـال تمّ لي تـوأمُ الهـوى بـه ولكـلِّ العاشـقين فـراداه
تكامـل فيـه [3]السّول[٨] حـتى كأنـه نـدى[4] ابن أبي موسى إذا الشعر ناجاه
لقـد كـان معـنى الجـود عُمّـي فـانبرى لـه ابنُ أبي موسى ففـكَّ معمـاه[٩]
هـصرتُ[١٠] بـه الـدنيا فمالـتْ رطيبـةً علـيّ َميـودًا[١١] تحـت أَوراقِ[5] نعمـاه
فمـن يـك عـني سـائلاً فأنـا الـذي تمـنّى فأَفْـضى للـذي قـد تمنّـاهُ
ومـا ضـحِكَ النّـوارُ مـن شـق جيبـه ولكـنْ أياديـه الـتي أضـحكَتْ فـاه
ومـا فتحَـتْ أيـدي الحيـا زهـرةَ الربـا كمـا فتحـت روضَ القـريض عطايـاهُ
تأمّلـه وانظُـرْ بـين بُرْديـه و اعتـبرْ فمـا ضَـمَّت الأقطـارُ مـا ضـمَّ بُـرداه
حـوى القلـم البـاري الأسـنة سـنّاه مـضافًا إلى الـسيفِ الطويـل نجـاداه

فروق الروايات:

(1) «ط د س: محاسنًا, ب م: يرقاه، د: ترقاه، واليرنأ واليرناء: الحناء»*.

(2) «ط د س: فاء» *.

(3) «ب م: الحول» *.

(4) «ط د: يد » *.

(5) «ب م: علي سودا .... أورق, المسال: على متردى, وسقط البيت ن ط د » *.

(٨) السول: السؤل: ما طلبته من شيء.

(٩) المعمى: المخفي الملبّس.

(١٠) هصر الغصن: أخذ برأسه وثناه إليه من غير بينونة، أو جذبه به وأماله.

(١١) الميود: الكثير الميْد: الميل والتثني.

ما يروى له ولغيره *

أورد ابن بسام في ترجمة أحمد ابن الأبار (ت ٤٣٣ هـ(هذه الأبيات له:

لم تَدْرِ ما خلّدَتْ عيناك في خلدي ... من الغرامِ ولا ما كبّدت كبدي
أفديك من زائر رام الدنو فلم ... يَسْطِعْه من غرقٍ في الدمع مُتَّقدِ
خافَ العيونَ فوافاني على عَجَلٍ ... معطلاً جيده إلا من الغَيَدِ
عاطيتُه الكأسَ فاستحيَتْ مدامتها ... من ذلك الشنبِ المعسولِ بالبرد
حتى إذا غازلت أجفانَه سنةٌ ... وصيرته يدُ الصهباء طوعَ يدي
أردتُ توسيدَه خدي وقلَّ له ... فقال كفُّك عندي أفضلُ الوسد
فبات في حرمٍ لا غدرَ يذعره ... وبتُّ ظمآنَ لم أصدر و لم أرد
بدرٌ أمَّ و بدرُ التمِّ ممتحقٌ ... والأفقُ محلولكُ الأرجاءِ من حسد
تحيَّر الليلُ فيه أين مطلعُه ... أما درى الليلُ أن البدر في عضدي

ثم قال: «وقد رأيت من يروي هذه القطعة لإدريس بن اليماني وهو الأشبه بما له من الألفاظ والمعاني, وهي لمن كانت منهما رائقة، ومتأخرة سابقة في التزام العفاف مع السلاف، وما سمعتُ بأبدع منها لأحد من أهل هذا الأفق».

وسلف أن قال ابن بسام عن بيت لابن دراج:

وقوله: «فيا ظلام نجوم الليل... البيت، من مليح المعاني وقد أخذه إدريس بن اليماني فقال من جملة أبيات هي ثابتة في موضعها من هذا المجموع» وذكر له البيتين الأخيرين (٨ – ٩) ولكن الأبيات ليست ثابتة في ترجمة ابن اليمان

(*) الذخيرة ٢/١/ ١٣٦، الذخيرة ٨٧/١/١ (بيتان ٧-٨) وفيه: ممحق.

بل هي في ترجمة أحمد ابن الأبار و قد علق عليها ابن بسام تعليقه السابق الذي رجح فيه أنها لابن اليمان.

غير أنه نسبها كل من صاحب مسالك الأبصار: ٣٠٥/١٧ (بيتان ٧–٨) وفيات الأعيان :١٤٢/١, والوافي بالوفيات: ١٣٧/٨ إلى ابن الأبار نقلاً عن الذخيرة.

المصادر والمراجع

١– الإحاطة في أخبار غرناطة – لسان الدين ابن الخطيب – تح. محمد عبد اللّه عنان – مكتبة الخانجي – مصر – ١٩٧٤.

٢– اختصار اقتباس الأنوار للرشاطي – اختصره ابن الخرّاط – تح. مولينا، بيلا – معهد التعاون مع العالم العربي – مدريد – ١٩٩٠.

٣– الأعلام – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – ط٥ – ١٩٨٠.

٤– أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – لسان الدين ابن الخطيب – تح. ليفي بروفنسال – دار المكشوف – بيروت – ط٢ – ١٩٥٦.

٥– اقتباس الأنوار – أبو محمد الرشاطي – تح. مولينا، بيلا – معهد التعاون مع العالم العربي – مدريد – ١٩٩٠.

٦– الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب – ابن ماكولا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٠.

٧– الأنساب – أبو سعيد السمعاني – تح. عبد اللّه عمر البارودي – دار الجنان – بيروت – ط١ – ١٩٨٨.

٨– إيضاح المكنون من كشف الظنون – إسماعيل البغدادي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – د.ت.

٩– بدائع البدائه – ابن ظافر الأزدي – تح. محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة الأنجلو مصرية – القاهرة – ١٩٧٠.

١٠– البداية والنهاية – ابن كثير – تح. محمد علي معوّض وزملائه – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٩٩٤.
١١– البديع في فصل الربيع – أبو الوليد الحميري – تح. د. علي كردي – دار سعد الدين – دمشق – ط١ – ١٩٩٧.
١٢– البديع في وصف الربيع – أبو الوليد الحميري – تح. د. عبد اللّه عسيلان – دار المدني – جدة – ط١ – ١٩٨٧.
١٣– بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس – ابن عميرة الضب–ي – دار الكاتب العربي – مصر – ١٩٦٧.
١٤– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب –ابن عذاري المراكشي – تح. كولان، بروفنسال – دار الثقافة – بيروت – ١٩٦٧.
١٥– تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة – د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – ط٧ – ١٩٨٥.
١٦– تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين – د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – ط٧ – ١٩٨٥.
١٧– تاريخ الأدب العربي – د. عمر فروخ – دار العلم للملايين – بيروت – ط٢ – ١٩٨٤.
١٨– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام – شمس الدين الذهبي (٤٤١–٤٥٠) تح. عبد السلام تدمري – دار الكاتب العربي – بيروت – ط١ – ١٩٩٤.
١٩– تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي – دار الفكر – بيروت – د.ت.
٢٠– تبصير المنتبه بتحرير المشتبه – ابن حجر العسقلاني – الدار العلمية – دلهي – الهند — ط ٢– ١٩٨٦.
٢١– ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك – القاضي عياض – تح. سعيد أحمد أعراب – وزارة الثقافة والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٩٨٣.
٢٢– توضيح المشتبه – ابن ناصر الدين القيسي – تح. محمد نعيم عرقسوسي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١– ١٩٩٣.

٢٣– جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس – الحميدي – تح. محمد بن تاويت الطنجي – مكتبة نشر الثقافة الإسلامية – القاهرة – ط١ – ١٩٥٢.
٢٤– جزر الأندلس المنسية – د. عصام سالم سيسالم – دار العلم للملايين – بيروت – ط١– ١٩٨٤.
٢٥– حلبة الكميت – شمس الدين النواجي – دار الطباعة المصرية – مصر – ١٢٧٦هـ.
٢٦– الحلة السيراء – ابن الأبّار – تح. د. حسين مؤنس – دار المعارف – القاهرة – ط٢ – ١٩٨٥.
٢٧– الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء – لويس سيكو دي لوثينا – ترجمة عدنان آل طعمة – دار سعد الدين – دمشق – ط١ – ١٩٩٢.
٢٨– الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس – سعد عبد اللّه البشري – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض – ١٩٩٣.
٢٩– دولة الإسلام في الأندلس – الخلافة الأموية والدولة العامرية – محمد عبد اللّه عنان – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط٣– ١٩٨٨.
٣٠– دولة الإسلام في الأندلس – دول الطوائف منذ قيامه حتى الفتح المرابطي – محمد عبد اللّه عنان – مكتبة الخانجي – القاهرة – ط٣ – ١٩٨٨.
٣١– ديوان ابن دراج القسطلي – تح. د. محمود علي مكي – المكتب الإسلامي – دمشق – ط٢ – ١٣٨٩هـ.
٣٢– ديوان ابن شهيد الأندلسي – جمع شارل بلا – دار المكشوف – بيروت ط١– ١٩٦٣.
٣٣– ديوان ابن شهيد الأندلسي– جمع يعقوب زكي– دار الكاتب العربي– القاهرة د.ت.
٣٤– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – ابن بسّام الشنتريني – تح. د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – ط٢ – ١٩٧٩.
٣٥– الذيل والتكملة – ابن عبد اللّه المراكشي – ج–٦ – تح. د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – ١٩٧٣.

٣٦– رايات المبرزين وغايات المميزين – ابن سعيد الأندلسي – تح. د. محمد رضوان الداية – دار طلاس – دمشق – ط١– ١٩٨٧.

٣٧–الروض المعطار في خبر الأقطار — محمد عبد المنعم الحميري — تح د.إحسان عباس – مكتبة لبنان– بيروت — ١٩٧٥.

٣٨– سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي – أبو عبيد البكري – تح. عبد العزيز الميمني – مطبعة لجنة التأليف والترجمة – القاهرة – ١٩٣٦.

٣٩– سير أعلام النبلاء – شمس الدين الذهب–ي – تح. مجموعة مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ – ١٩٨٥.

٤٠– شعر ابن شخيص الأندلسي – جميع وتحقيق د. أحمد عبد القادر صلاحية – دار ابن القيم – دمشق – ١٩٩٢.

٤١– شعر ابن هذيل القرطبي الأندلسي – جمع وتحقيق د. أحمد عبد القادر صلاحية – دار شراع – دمشق – ٢٠٠٥.

٤٢– شروح سقط الزند – التبريزي – البطليوسي – الخوارزمي – مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٩٤٧.

٤٣– صاعد البغدادي حياته وآثاره – د. عبد الوهاب التازي سعود – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٩٩٣.

٤٤– الصلة – ابن بشكوال – الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة – ١٩٦٦.

٤٥– عنوان المرقصات والمطربات – ابن سعيد الأندلسي – جمعية المعارف – مصر – ١٢٨٦هـ.

٤٦– فهرست ابن عطية – تح. محمد أبو الأجفان – محمد الزاهي – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط٢– ١٩٨٣.

٤٧– فهرسة ما رواه عن شيوخه – ابن خير الإشبيلي – المكتب التجاري – مكتبة المثنى – مؤسسة الخانجي – القاهرة – ط٢– ١٩٦٣.

٤٨– فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات – عبد الحي الكتاني – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط٢ – ١٩٨٢.

٤٩– فوات الوفيات – ابن شاكر الكتب–ي – تح. د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت – د.ت.
٥٠– الكامل في التاريخ – ابن الأثير – دار الكاتب العربي – بيروت – ط٦ – ١٩٨٦.
٥١– الكشف و التنبيه على الوصف و التشبيه –صلاح الدين الصفدي — تح د. هلال ناجي و وليد الحسين الزبيري — ليدز– إنجلترا– ط١ — ١٩٩٩.
٥٢– اللباب في تهذيب الأنساب – ابن الأثير الجزري – مكتبة المثنى – بغداد – د.ت.
٥٣– مختارات ابن عزيم الغرناطي الأندلسي – تح. عبد الحميد الهرامة – الدار العربية للكتاب – طرابلس – ليبيا – ١٩٩٣.
٥٤– المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا – البناهي – دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط٥ – ١٩٨٣.
٥٥– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار – ابن فضل اللّه العمري – (شعراء القسم الغربي) معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية – فرانكفورت – ألمانيا – ١٩٨٨.
٥٦– المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم – شمس الدين الذهب–ي – تح. علي محمد البجاوي – دار إحياء الكتب العربية – مصر – د.ت.
٥٧– المطرب من أشعار أهل المغرب – ابن دحية – تح. إبراهيم الأبياري، د. حامد عبد المجيد – د. أحمد بدوي – المطبعة الأميرية – القاهرة – ١٩٥٤.
٥٨– مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس – ابن خاقان – تح. محمد علي شوابكة – دار عمّار – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط١ – ١٩٨٣.
٥٩– المعجب في تلخيص أخبار المغرب – عبد الواحد بن علي المراكشي – تح. محمد سعيد العريان، محمد العربي العلمي – مطبعة الاستقامة – القاهرة – ط١ – ١٩٤٩.
٦٠– معجم الأدباء — ياقوت الحموي — تح د.إحسان عباس — دار الغرب الإسلامي — بيروت — ١٩٩٣.
٦١– معجم البلدان – ياقوت الحموي – تح فريد عبد العزيز الجندي — دار الكتب العلمية — بيروت– ١٩٩٠.

٦٢– معجم الحضارة الأندلسية – د. يوسف عيد، د. يوسف فرحات – دار الفكر العربي – بيروت – ط١– ٢٠٠٠.
٦٣– معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة – د. عفيف عبد الرحمن – المجمع الثقافي – أبو ظبي – ٢٠٠٣.
٦٤– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع – أبو عبيد البكري – تح. مصطفى السقا – عالم الكتب – بيروت – ١٩٤٥.
٦٥– المغرب في حلى المغرب – ابن سعيد الأندلسي – تح. د. شوقي ضيف – دار المعارف – مصر – ط٣ – ١٩٧٨.
٦٦– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب – أحمد بن محمد المقّري – تح. د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت – ١٩٦٨.
٦٧– هدية العارفين وأسماء المؤلفين والمصنفين – إسماعيل البغدادي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – د.ت.
٦٨– الوافي بالوفيات – صلاح الدين الصفدي – تح. محمد يوسف نجم – فيسبادن – ألمانيا – ١٩٧١.
٦٩– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – ابن خلكان – تح. د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت – د.ت.
٧٠– يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر – أبو منصور الثعالبي، – تح. محمد محيي الدين عبد الحميد – دار الفكر – بيروت – د.ت.

الشعر في بلاط النعمان بن المنذر

د. نزهة بوعياد

إمارة الحيرة في العصر الجاهلي:

كانت إمارة الحيرة في العصر الجاهلي أقوى الإمارات العربية، وأطولها عمرًا، وأكثرها استقرارًا وأبلغها تأثيرًا في عرب الجاهلية سواء في مستواها الاجتماعي أو السياسي أوالاقتصادي أو العمراني. وهي مستويات تداخلت فأدت إلى نهضة أدبية كان لعرب الحيرة ولأمرائها فيها أبلغ تأثير في إذكاء قرائح الأدباء والشعراء على وجه الخصوص. وهي نهضة أدبية ارتكزت على عوامل متعددة يمكن حصرها في: الازدهار الاقتصادي والعمراني، ثم الصراع السياسي.

أولاً– الازدهار الاقتصادي والعمراني:

كانت رِقة هواء مدينة الحيرة، وصفاء جوها، وعذوبة مائها، وخصوبة تربتها، إضافة إلى وقوعها على نهر كافر، وقربها من نهر الفرات، أهم ثروة كانت رِقة طبيعية حبا الله بها هذه المدينة، فخولت لأهلها الاشتغال بالرعي والزراعة والصناعة والتجارة. فجمعوا بين البداوة والاستقرار، واهتموا بزراعة النخيل خاصة، والبساتين والجنان.

ونشأت عندهم صناعات بلغت درجة كبيرة من الإتقان والرقي، كان من أهمها، صناعة النسيج[1]، نسج الحرير والكتان والصوف. وعرفت هذه المدينة صناعة الأسلحة من سهام وسيوف ورماح، وعرفت صناعة التحف المصنوعة من العاج، والتحف المعدنية، والأواني الفخارية، والحَلْيِ المرصعِ بالجواهر[2].

---

(1) تاريخ الدولة العربية ص ٢١٧، عبد العزيز سالم.

(2) المرجع نفسه.

وقد كان لموقع الحيرة الاستراتيجي الدور الفعال في نشاط تجارتها، إذ تعامل تجارّها مع الهند والصين والبحرين وعدن، كما تعاملوا مع الفرس ونقلوا موادهم التجارية إلى الحجاز وتدمر وحوران. ولما كان أهل الحيرة تابعين للفرس ومرتحلين إلى ديارهم في أعمالهم وتجارتهم، فقد اطلعوا على أشياء كثيرة من مظاهر الحضارة والمدنية، فأثر ذلك في حياتهم وتفكيرهم: «وكانوا هم الصلة بين الفرس وعرب الجزيرة، يحملون إليهم التجارة الفارسية ويبيعونها في أسواقهم ويبشرون بالفرس ومدنيتهم »[٣]

وهو ازدهار اقتصادي تدفقت في نتيجته الأموال الطائلة على أهل الحيرة، فعاشوا في رفاهية وعظمة دفعت بهم إلى منافسة أكاسرة الفرس وقياصرة الروم.

وكان من نتيجة هذا الاحتكاك بالفرس، وهذا الرخاء والترف والثروة أن شكل أهل الحيرة أصول فن المعمار والبناء على شاكلة الفرس، ثم تفننوا فيه[٤]، وجعلوه فنًا يحمل طابعهم الخاص، فأقاموا القصور والأديرة والكنائس فمن القصور: الخورنق والسدير وسنداد[٥] ... ومن الأديرة والكنائس: دير هند الكبرى [٦] ودير هند الصغرى[٧] ودير اللج[٨] ودير مارت مريم[٩]وغيرها.

فسح هذا الازدهار الاقتصادي والعمراني مجال القول للأدباء والشعراء، فالصناعة جعلتهم يتغنون بما تضمه قصورهم من نساج وقين، كقول عمرو بن

(3) فجر الاسلام ص ١٧، أحمد أمين.
(4) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٣/ ٣٠٣، جواد علي.
(5) معجم البلدان ٤٠١/٢ – ٢٠١/٣، ٢٦٦.
(6) المصدر نفسه ٥٤٢/٢.
(7) المصدر نفسه ٥٤٢/٢، ٥٤١ والديارات للشابستي ١٥٧.
(8) المصدر نفسه ٥٣٠/٢.
(9) المصدر نفسه ٥٣١/٢.

كلثوم[١٠]:

إِذْ لاَتُرجِّي سُلَيْمَى أَنْ يَكُونَ لَهَا مَنْ بِالخَوَرْنَقِ مِنْ قَينٍ ونَسَّاجِ

وبما تضمه دورهم من أوان فضية وذهبية، وفرش أسرة حريرية، وذلك في مثل قول عدي بن زيد[١١]:

ثَانِيَاتٌ قَطَائِفَ الخَزِّ وَالدِّيـ بَاجِ فَوقَ ا لخُدورِ وَالأَنْمَاطِ

مُوقرَاتٌ منَ اللُّحُومِ وَفِيهَا لُطُفٌ فِي البَنانِ وَالأَوْساطِ

والتجارة جعلتهم أكثر احتكاكًا بالفرس وبالثقافات الأخرى، فقد خولت لهم نقل الكثير من أفكارهم وثقافتهم، فأثرت في خيالهم وقصصهم[١٢]، وتشبيهاتهم، فهذا المرقش الأكبر يشبه البقر الوحشي وهو يرعى متمهلاً مختالاً برجال من الفرس يمشون مزدهين في قلانسهم وذلك حين يقول[١٣]:

أَمْسَتْ خَلاَءً بَعدَ سُكَّانها مُقْفِرَةً مَا إِنْ بها منْ إِرَمْ

إِلاَّ مِنَ العِينِ تَرَعَّى بها كَالْفَارِسِيِّينَ مَشَوْا فِي الكُمَمْ

ومكنتهم التجارة أيضًا من الاطلاع على أهم الأسواق التجارية، كسوق عكاظ التي لم تعد حكرًا على التجارة، بل عرفت أيضًا بأهميتها الاجتماعية والأدبية، وصارت معرضًا من معارض الأدب والشعر، فقدمها الأدباء والشعراء من كل مكان وأنشدوا فيها قصائدهم، ونقدوا ألفاظهم ومعانيهم، وفاضلوا بين مزايا وعيوب شعرائهم، ونشروا صيت قبائلهم وإماراتهم.

أما العمران، فقد كان لبناء القصور والأديرة أثر كبير في الأدب والشعر، إذ

(10) ديوانه ص ٤٩.

(11) ديوانه ص ١٣٨.

(12) فجر الاسلام ص ٦٧.

(13) المفضليات ص ٢٢٩.

ذكرت هذه الأبنية، وضربت بها الأمثال في الشموخ والعظمة، فأجاد الأدباء والشعراء في وصفهم وتفننوا: قال الأسود بن يعفر يذكر الخورنق والسدير وبارقًا وسنداد(١٤):

أَهْلَ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقٍ وَالْقَصْرِ ذِي الشُّرُفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ

وقال المنخل يذكر الخورنق والسدير(١٥):

فَإِذَا انتَشَيتُ فَإِنَّني رَبُّ الخَوَرنَقِ وَالسَّدِيرِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَّني رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَ الْبَعِيرِ

وقال عدي بن زيد العبادي(١٦):

وَتَأَمَّلْ رَبَّ الْخَوَرْنَقِ إِذْ أَشـ ـرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـ ـلِكُ وَالْبَحْرُ مُعْرِضًا وَالسَّدِيرُ

كما حيكت الأقاصيص حول سنمار باني الخورنق، وضربت به الأمثال، وذلك في مثل قول عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي(١٧):

جَزَانِي جَزَاهُ اللهُ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ سِنِّمارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنبِ
سِوَى رَصِّهِ البُنْيَانَ عِشْرِينَ حِجَّةً يُعَالِي عَلَيْهِ بِالْقَرَامِيدِ وَالسَّكْبِ

ومما قيل من شعر في الأديرة قول الثرواني في ديرمارت مريم(١٨):

بِمَارَتَ مَرْيَمَ الْكُبرى وَظِلِّ فِنائِهَا فَقِفِ
فَقَصْرِ أَبِي الْخَصِيبِ الْمُشْـ ـرِفِ الْمُوفِي عَلَى النَّجَفِ

(14) معجم البلدان ج٣ /٢٦٦.
(15) الأصمعيات ص ٥٨ – ٦٠.
(16) ديوانه ص ٨٩.
(17) معجم ما استعجم ٥١٦/٢.
(18) معجم البلدان ٥٣١/٢، معجم ما استعجم ٥٩/٢.

فَأَكْنَافِ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ مَلاَعِبِ السَّلَفِ

وقوله في دير ابن مزعوق(١٩):

قُلْتُ لَهُ وَالنُّجُومُ طَالِعَةٌ فِي لَيْلَةِ الفِصْحِ أَوَّلَ السَّحَرِ
هَلْ لَكَ فِي مَارَفُوثِيُونَ وَفِي دِيرِ ابْنِ مَزْعُوقٍ غَيْرِ مُخْتَصَرِ

تلك هي أهم الأسباب التي وقفت وراء ازدهار الأدب والشعر، أضف إليها عوامل متمثلة في الاطلاع والاحتكاك بثقافات الأمم الأخرى كالفرس والروم واليونان، ومتجلية أيضًا في العامل الديني الذي أدى إلى ظهور نغمة دينية جديدة، نلمسها في بعض أشعار شاعر الحيرة عدي بن زيد العبادي.

ولا ننسى ما كان في هذا المجال للشاعر من أثر في الازدهار الأدبي والشعري، فمكانته ومنزلته في القبيلة والإمارة العربية في العصر الجاهلي كانت رفيعة وسامية: «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك، وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعن في الأعراس، وتباشر الرجال والولدان، لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يُهنَّؤون إلا بغلام يولد، أو فرس تنتج، أو شاعر ينبغ فيهم»(٢٠). وكان دوره أشبه بجهاز إعلامي، ينشر عبره مفاخره بقبيلته، وهجاءه لأعدائها، ورثاءه لموتاها، وتغنيه بمناقبها وبطولاتها، ودفاعه عن مصالحها، وذوده عن أعراضها، وتعداده لمآثرها، ومدحه لساداتها، وحمله على الأخذ بالثأر، والدعوة إلى السلام.

(19) الديارات للشابستي ١٤٨، ١٤٩«الشواني هذا كوفي من المطبوعين في الشعر والمنهمكين في البطالات، والمتطرحين في الحانات، والمدمنين لشرب الخمر، والمغرقين في اتباع المرد، لايعرف شيئًا غير ذلك ... وكان آخر أمره أن أصيب في حانة خمار بين زقي خمر وهو ميت ».

(20) العمدة ١/١٥٣.

وكان دوره إلى جانب ذلك، دور سفير وشفيع ومستعطف عند الملوك. وكلها أدوار كان يقوم بها قصد الرفع من مكانة قبيلته وتثبيت أقدامها، وفرض احترامها، وإهابة جانبها بين القبائل والإمارات، مقابل حمايته ورعايته وحفظ حقوقه، ومقابل حياة رغدة تعرف الترف والثروة والمال والشهرة، وأبلغ نموذج على هذا، النابغة الذبياني الذي كان شعره صحيفة قبيلته وصحيفة إمارتي المناذرة والغساسنة.

أضف إلى هذه الأسباب في ازدهار الأدب والشعر، ما كان للملوك من حب وميل لهذا الفن، وما كان للشعر من أثر في نصرة ملوك الحيرة وفي تثبيت حكمهم القائم على مهمتي الترهيب والترغيب، لذلك فتحوا بلاطهم للأدباء والشعراء، فعجَّت قصورهم بهم، فتنافسوا وألقوا مدائحهم أمامهم مما جعل هؤلاء الملوك يتبارون بدورهم في إغداق الأموال والعطايا: «وكان أمراء الحيرة مقصدًا لشعراء عرب الجزيرة ينفحونهم بالمال الكثير ليبشروا بهم بين البدو في أنحاء الجزيرة»[٢١].

فلا عجب أن تكون الحيرة في عهد ملوكها اللخميين، خاصة منهم الذين عرفوا بحب الشعر والأدب، كعمرو بن هند،وأخويه النعمان وقابوس ابني المنذر،موئل مشاهير الشعراء الذين حضروا اليها من كل مكان، وتهافتوا على ملوكها، فأنشدوهم شعرهم ونالوا جوائزهم، وكانت لهم معهم أخبار وقصص[٢٢] دفعتهم في أحيان كثيرة إلى هجائهم، والاعتذار إليهم واستعطافهم ومدحهم... وكانت مجالسهم لا تخلو من منافسة للشعراء، ومن نقد بعضهم لبعض، كما

(21) فجر الإسلام ص ١٨.

(22) الأغاني ١١ / ٤٧– ٤٩، ٢١/ ٦–٨، ٢٣ /٥٤٠ –٥٤٤، ما كان لطرفة والمتلمس وعمرو بن كلثوم من قصص مشهورة مع عمرو بن هند، وأشهرها قصته مع عمرو بن كلثوم، وما كان من قصة المنخل والمتجردة زوج النعمان.

كانت تعج بأدباء وخطباء العرب أمثال: أكثم بن صيفي وحاجب ابن زرارة التميميين، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين، وخالد بن جعفر، والحارث بن ظالم المري[٢٣].

وقد رأى الأخباريون أن النعمان بن المنذر كان خير خطباء زمانه، وفي هذا الصدد قال ابن عبد ربه: «قال ابن الكلبي: «قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين، فذكروا من ملوكهم وبلادهم، فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم، لا يستثني فارس ولا غيرها».

فعدد كسرى، وقد أخذته عزة الملوك، فضائل كل الأمم ونقص من شأن العرب، فقال النعمان: «أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل، لموضعها التي هي به من عقولها وأحلامها، وبسط محلها، وبحبوحة عزها، وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك، وأما الأمم التي ذكرت، فأي أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها، قال كسرى: بماذا؟ قال النعمان: بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وأنسابها وأحسابها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها ...»[٢٤].

فلما قدم النعمان الحيرة، أرسل في طلب أدباء وخطباء العرب أمثال أكثم بن صيفي، وحاجب بن زرارة التميميين، وإلى الحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين، وإلى خالد بن جعفر، وعلقمة بن معد يكرب الزبيدي، والحارث بن ظالم المري، فلما قدموا عليه في الخورنق، اقتص عليهم ما قاله كسرى وما رده عليه، وأخبرهم بتخوفه مما قد يفعله كسرى بهم كفعله بملوك الأمم المجاورة له، الذين يؤدون الخراج، ثم دعا لهم في خزانته من طرائف حلل الملوك، لكل رجل منهم

(23) العقد الفريد ١ / ٢٧٩.

(24) العقد الفريد ١ /٢٧٦٠– ٢٧٩.

حلة، وعممه عمامة، وختمه بياقوتة، وأمر لكل منهم بنجيبة مهرية وفرس نجيبة، وكتب لهم كتابًا وبعثهم إلى كسرى. فلما قدموا مجلسه، خطب كل منهم خطبة بهت لها كسرى وأعجب ببلاغتها وفصاحتها[٢٥]. فكانوا خيرة من عرف بالخطابة وحسن الكلام وبلاغته وقتئذ.

ثانيا – الصراع السياسي:

كان التنافس والصراع أهم لبنة ارتكز عليها المناذرة في علاقتهم بالقبائل والإمارات العربية المجاورة.

فبالرغم من المواقف المتعددة التي حاولت أن تنهجها هذه الإمارة تجاه القبائل العربية، قصد حماية مصالحها، التي تكمن في موقف الوسيط، وموقف المشرع للتقاليد والعهود، وموقف المدافع عن ممتلكاته، فقد كانت تنتهي كلها بصراعات وحروب، نذكر منها ما حصل بين بكر وتغلب لما احتكما في أمرهما إلى عمرو بن هند[٢٦]، ونذكر أيضًا يوم طخفة، ويوم أوارة الأول، ويوم أوارة الثاني. وكلها أيام بين المناذرة والقبائل العربية، تنوعت أسبابها بين تَخَلٍّ عن عهد وتقليد كما في طخفة[٢٧]، ونقض عهد وحقد بين القبائل كما في يوم أوارة الثاني[٢٨]، وبين خروج عن طاعة كما في يوم أوارة الأول[٢٩].

(25) نفسه ١/ ٢٧٩، ٢٨٠.

(26) الأغاني ١١/٣٧، ٣٨، ٤٣.

(27) الكامل في التاريخ ١ /٣٩٦، لما أراد الملك اللخمي نقض عهده بسحب الردافة من بني يربوع ليجعلها في بني تميم كان هذا اليوم الذي انتهى بهزيمة المناذرة.

(28) الأغاني ٢٢/ ١٩٠، ١٩١، ١٩٥، الكامل في التاريخ ١/ ٣٣٥، حين حرضت تميم الملك عمرو بن هند على طيء، سبب هذا في إخلاف الملك عهده الأمان لطيء، وسبب في حقد طيء على تميم، مما جعل القبيلة الأولى توغر صدر الملك على تميم، فكانت النتيجة أن غزا عمرو بن هند بني دارم من تميم وقتل منهم نفرًا كثيرًا في هذا اليوم.

ونذكر أيضا يوم العذيب[٣٠]، الذي هو صراع حول ماء للمناذرة أيام النعمان بن المنذر، ويوم السلان[٣١]، وهي إغارة على لطيمة للنعمان بن المنذر، ويوم الشقيقة[٣٢]، وهي إغارة على إبل النعمان.

حروب وأيام لا تكاد تهدأ حتى تشتعل من جديد، وقد عرف فيها المناذرة غلبة كما عرفوا فيها إخفاقًا.

وكان من الطبيعي أن تحدث مثل هذه الحروب، لأن الدفاع عن الممتلكات والدفاع عن المصالح الخاصة هو إثبات للذات وللوجود.

وقد تجاوز هجوم القبائل العربية ممتلكات المناذرة إلى ممتلكات الفرس والإغارة على تجارتهم، مما جر عليهم أيامًا كيوم الصفقة[٣٣].

ولم يكن هذا الصراع والتنافس يقتصر على علاقة المناذرة بالقبائل العربية المجاورة فقط، بل تعداه إلى علاقتهم بالإمارات المجاورة لهم ككندة والغساسنة، فلا ننسى ما فعله المنذر بن ماء السماء بإمارة كندة يوم جفر الأملاك[٣٤]، وكذا أشهر وأخطر حرب دارت بين المناذرة والغساسنة في عين أباغ، ومرج حليمة

(29) الكامل في التاريخ ١ / ٣٣٤، لما خرجت بكر عن طاعة المنذر بن ماء السماء قتلهم شر تقتيل على جبل أوارة.

(30) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٣ /٢٧٨، بعث النعمان بن المنذر الى رئيس اليمن ينكر عليه بلوغ أفراد له (العذيب) ، فكانت النتيجة الحرب التي لقيت فيها اليمانية هزيمة.

(31) الكامل في التاريخ ١ / ٣٩١.

(32) الأغاني ١١ / ٤٣.

(33) الكامل في التاريخ ١ / ٣٧٨، حين أغارت تميم على تجارة كسرى، فرد الفرس إغارتهم وأوقعوا بهم.

(34) المصدر نفسه ١ / ٢٥٦، حيث أسر المنذر العديد من أسرة الحارث الكندي، وذبحهم في جفر الأملاك.

التي لم تهدأ حتى قتل فيها المنذر بن ماء السماء، وانتصرت فيها الشام على العراق، فكانت بذلك انتصارًا للروم على الفرس، لأن ما كان بين هاتين الإمارتين من اضطرابات لم يكن في العمق إلا تعبيرًا عمّا كان بين الدولتين العظميين، الفرس والروم، من صراع وتنافس.

وهكذا ارتكز العامل السياسي لإمارة الحيرة على مبدأ الصراع والتنافس، الذي أدى إلى نشوب حروب خلفت ما خلفته من خسارة وحزن وفخر ومباهاة وإعجاب واعتزاز و ضغن ونقمة. حروب إذا كان لها من المساوئ ما لها، فقد أثرت بليغ الأثر في إذكاء القرائح، وفي نهضة وازدهار الشعر والأدب .

وعلى اختلاف وتعدد هذه المعارك والأيام اختلف الشعر وكثر، وتنوعت أغراضه، فكان خير ديوان لحياة العربي في الجاهلية عامة، وحياة ملوك الحيرة خاصة.

ويكفي من هذه الأيام أن ظفر الشعر الجاهلي بمعلقتين من خير القصائد الشعرية وهما: معلقتا الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم، فكانتا ملحمتين خالدتين، قيلتا في سبيل الدفاع عن قبيلتين كبيرتين هما بكر وتغلب، بعد أن احتكمتا في أمرهما إلى الملك عمرو بن هند، فحدثت ملاحاة في مجلسه انبرى لها كل من الشاعرين بحجته، فكان أن فضل الملك فيها، في نهاية المطاف، بكرًا على تغلب، وكان لهذا الحكم أثره العميق في خلق الأضغان التي تَرَتَّب عليها وعلى غيرها مصرع عمرو بن هند على يد عمرو بن كلثوم.

هذا وقد اقتضت الحروب بين الإمارات تقريب الشعراء لمدحهم والإشادة بعظمائهم بين قبائل العرب في البادية،كما اقتضت تنافس الشعراء في إلقاء مدائحهم أمام ملوك الإمارات، فأصبح لكل إمارة شعراؤها، يدافعون عنها ويمدحونها ويفتخرون ببطولاتها وشجاعتها، ويسجلون أيامها ومعاركها. فازدهر الشعر،

وذكرت الأيام في العديد من الأشعار، ونذكرعلى سبيل المثال ما قاله الأعشى في يوم أوارة الأول[٣٥]:

سَبَايَا بَنِي شَيْبَانَ يَوْمَ أوَارَةٍ عَلَى النَّارِ اِذْ تُحْلَى لَهُ فَتَيَاتُهَا

وما قاله في يوم الصفقة[٣٦]:

سائِلْ تَمِيمًا بِهِ أَيَّامَ صَفْقَتِهِم لَمَّا أَتَوْهُ أَسَارَى كُلُّهُمْ ضُرَعا

وما قاله الحارث بن حلزة في يوم الشقيقة[٣٧]:

آيَةٌ شَارِقُ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَا ؤوا جَمِيعًا لِكُلِّ حَيٍّ لوَاءُ
حَوْلَ قَيْسٍ مُسْتَلْئِمِينَ بِكَبْشٍ قَرَضِيٍّ كأَنَّهُ عَبْلاَءُ
فَجَبَهْنَاهُمْ بِضَرْبٍ كَمَا يَخْ رُجُ مِنْ خُرْبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءُ

وقال امرؤ القيس في جفر الأملاك[٣٨]:

مُلُوكًا مِنْ بَنِي حُجْرِ بْنِ عَمْرٍو يُسَاقونَ العَشِيَّةَ يُقْتَلونَا
فَلَوْ فِي يَوْمِ مَعْرَكَةٍ أُصِيبوا وَلَكِنْ فِي دِيَارِ بَنِي مَرِينَا
فَلَمْ تُغْسَل جَمَاجِمُهمْ بِغَسْلٍ وَلَكِنْ بِالدِّماءِ مُرَمَّلينَا
تَظَلُّ الطَّيْرُ عَاكِفةً عَلَيْهِمْ وَتَنْتَزِعُ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَا

وقال النابغة في يوم حليمة وعين أباغ[٣٩]:

يَوْمَا حَلِيمَةَ كَانَا مِنْ قَدِيمِهُمُ وَعَيْنُ بَاغٍ، فَكَانَ الأَمْرُ مَا ائْتَمَرَا

(35) ديوانه ص ٧٩.
(36) ديوانه ص ٢٢٩.
(37) ديوانه ص ٤٩، ٥٠.
(38) ديوانه ص ٢٠٠.
(39) ديوانه ص ٢٠٦.

وكما أدت الحروب إلى ازدهار الشعر، فقد ساهمت في ازدهار الأمثال، ونذكر منها «ما يوم حليمة بِسِرّ »[٤٠]، و«أفتك من عمرو بن كلثوم»[٤١]...

إضافة إلى الأمثال ظهرت القصص وازدهرت، واتخذت موضوعًا للسمر والسهر، وكانت تدور حول الحروب بين القبائل العربية فيما بينها، وبينها وبين الإمارات، وبينها وبين الأمم الأخرى[٤٢].

كما أدت هذه الحروب إلى العناية بالحكم والمواعظ التي كانت وليدة حوادث الدهر، وحثت الجاهلي على تعظيم القوة وتحقير الضعف، كما حثته على فضائل إنسانية مثل العفة والحلم والأمانة.

ومن هذه الحكم والمواعظ ما نجده في شعر النابغة وشعر عدي بن زيد وغيرهما .

* * *

(40) مجمع الأمثال للميداني ٢ /٢٧٢.

(41) المصدر نفسه ٢ / ٨٩.

(42) فجر الاسلام ص ٦٦، ٦٧.

شعرالمدح في الحيرة معانيه وأهدافه
(مدح النعمان بن المنذر نموذجًا)

شعر المدح:

لقد ارتأينا الاهتمام بغرض المدح في الشعر الذي قيل في الحيرة، وذلك لما له من أهمية قصوى، ولكونه يسجل أحداثًا تاريخية وسياسية واقتصادية وفكرية ونفسية لملوك المناذرة وللشعراء الذين عايشوهم ووقفوا إما معهم أو عليهم. هذا فضلاً عن أن هذا الغرض هو من أبرز الفنون الشعرية، إذ ارتبط بالتطورات التي عرفها العرب عبر العصور، فرافق الشعرَ منذ بدايته إلى اليوم، ولم يغب لحظة عن مسرحه.

لم يكثر الشعراء في مختلِف العصور في فن من الفنون، قدر ما أكثروا في المدح وتنافسوا فيه، ووقفوا عبقرياتهم على صناعته، حتى احتلت قصائد المديح الصدارة، وامتلأت بذلك الدواوين الشعرية، وأصبح النقاد أنفسهم يضعون مصنفات أخذت بأيدي الشعراء للضرب على الوتر الذي يهز كيان الممدوح فيرضى عن المادح، وحددوا لذلك قيمًا يمكن حصرها في: العقل والعفة والعدل والشجاعة[٤٣]. وغدا المديح معها إكبارًا للمروءة وتمجيدًا للشجاعة، وإعجابًا بالفضيلة. وهي صفات جميلة، كَوَّنت الدافع الطبيعي للمدح في مراحله الأولى من العصر الجاهلي عند الشعراء، فوقفوا عندها موقف الإعجاب، فقامت قصائدهم على الثناء المجرد، إلى أن تطورت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فتداخلت الغايات والمنافع، ولم يعد الإعجاب الدافع الوحيد وراء فن المدح، بل أضيف إليه الشكر والاعتذار والاستعطاف والتهديد والتحريض ...، وبرزت هذه الدوافع أغراضًا مواكبة للمدح، حتى أضحى معها المدح توطئة لها بعد

(43) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٩٦.

أن كان مستقلاً بذاته.

واعتمادًا على هذه الأهمية الشعرية لغرض المدح، سنقف عند:

مدح النعمان بن المنذر:

(النابغة الذبياني – عدي بن زيد – الأعشى ميمون – المثقب العبدي – لبيد بن ربيعة)

لا يختلف اثنان حول ما احتله النعمان بن المنذر من شهرة كبرى في عصره، سواء على مستوى ازدهار إمارته، أو من أحاط به من الشعراء، أو ما قيل فيه من شعر.

وأن يزدهر الشعر في عهد ملك من الملوك، معناه ازدهار على جميع الأصعدة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية. وهذه حال إمارة الحيرة في عهد النعمان، فقد وصلت إلى أوج ازدهارها، مما خول لملكها إغداق الهبات على الشعراء، وجلبهم حتى يكونوا اللسان الناطق والسجل الموثق لعظمته وعظمة إمارته، فضلاً عن تذوقه للأدب والشعر خاصة،مما جعل شخصيته تجمع بين الإنسان العاشق للملك والموطد له، وبين المحب للشعر الذي تهافت عليه الشعراء من كل البقاع. لذلك استمتع بجلسات الشعراء وبشعرهم، ونالوا من جوائزه وعطاياه، فمدحوه واعتذروا إليه وقالوا في مرضه، وحرضوه واستعطفوه واستعانوا به على ملماتهم.

أ– المدح والاعتذار:

لقد كثر الشعراء في بلاط هذا الملك، واحتلوا مراتب متفاوتة، وكان النابغة الذبياني شمسهم الساطعة، التي أراد الحساد حجبها وأفولها.

احتلت قصائد المدح والاعتذار– التي قيلت في النعمان بن المنذر– في ديوان النابغة الصدارة بـ(٩٦بيتًا)، توزعت على خمس قصائد هي: الدالية والعينية و البائية واللامية ثم النونية.

ولنبدأ بالقصيدة الدالية[٤٤] التي استهلها الشاعر بقوله :

يادارَمَيّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ أقوَتْ وطال عليها سالفُ الأمدِ

ثم انتقل إلى الاعتذار فقال:

فَتِلْكَ تُبْلِغُنِي النُّعْمانَ، إنَّ لهُ فَضْلاً عَلى النَّاسِ فِي الْأَدْنَى وَفِي الْبُعَدِ

فلفضل هذا الملك على كل الناس، امتطى الشاعر ناقته وهمَّ بالرحيل إليه للتقرب منه ونيل رضاه، معتمدًا المدح والاعتذار سلاحًا يفرض به وجوده وذاته، لذلك نعتهُ بأحسن المعاني: بالسماحة والعطف، والرفعة والسمو. وسأله بعدها في رفق بأن يكافئ الذي أطاعه، وينفعه بطاعته ويرشده لغايته، ويعاقب من عصاه عقابًا لا هوادة فيه حتى يرتدع غيره من الخارجين عن حدوده. كما سأله بأن يشدد غضبه على القريبين منه في العظمة والقوة والملك، وأن يهب عفوه وسماحته وكرمه لمن هم دونه منزلة وشأنًا.

وبعد أن لطف النابغة من حدة الجو وحرارته بمدحه للنعمان، باشر الاعتذار مقسمًا بالكعبة وبدماء القرابين المهداة للأنصاب والتماثيل، بأنه بريء مما نسبه إليه الوشاة – الذين قالوا مقالة شقي بها الشاعر وجرت عليه الهم والغم واليأس والقنوط – فهو مع براءته يستنزل شتى اللعنات والمصائب على نفسه إن كان كاذبًا فيما حُدِّث به النعمان .

ويتابع النابغة في تهويل الخطب، ويعظم من شأن النعمان، ويهون من قدر نفسه بقوله: ما إنْ علمت بتهديدك ونفسي خائفة غير مستقرة، وغير مطمئنة لما يمكن أن تحدثه بي. لذلك أرجوك أن تترفق بي وأن لا تستعجل في أمري. وكذا أطلب منك التريّث والحكمة في اتخاذ القرار، وألاّ ترميني بما لا أطيقه منك، فالناس جميعًا فداء لك، كما أفديك بنفسي وولدي ومالي.

(44) ديوانه ص ١٤– ٢٨ .

ويقف الشاعر مرة أخرى ليتأمل مثلاً يعظم به النعمان، ويعزز به ما قاله سابقًا، فلم يجد خيرًا من الفرات وسيلة لمقارنته بالملك في العظمة والكرم والقوة والشدة.

وينتهي الشاعر إلى البيتين الأخيرين، فيعلن أن المعاني التي تحملها القصيدة، ما هي إلا ثناء للنعمان يبغي من ورائها الإقرار بالفضل والمعذرة، وتبرئة نفسه ورد كيد الوشاة، فإن نفعت فهو المراد، وإن أخفقت واستحال الطلب، فسيكون من أسوأ الناس حظًا، وأنكدهم عيشًا، وأبأسهم وأشقاهم حياة .

هذه هي الدالية التي اعتمدناها سبيلاً إلى غرض المدح والاعتذار. أما القصائد التي سنستنطقها قصد الاقتراب من غرض الاعتذار والمدح فهي: العينية والبائية واللامية والنونية .

ويقف الشاعر في قصيدته العينية، [التي استهل اعتذارياته فيها بقوله(٤٥):

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ شَاغلٌ مَكَانَ الشِّغَافِ تَبْتَغِيهِ الأَصَابعُ

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ]

عند الهم الذي انتابه نتيجة وعيد النعمان له. ومع أن النابغة لا ذنب له، فقد تسبب له هذا الوعيد في الرهبة والفزع، اللذين دفعا به إلى القسم وتبرئة نفسه مما نسبه إليه الوشاة، كما دفعا به إلى تفنيد قول خصومه من بني قريع، وقد اتهموه بقول باطل لاصحة له، ونسجوا حوله أحاديثهم الخادعة، معتمدين التزوير والكذب والبهتان، التي لا يستحقون عليها إلا الهجاء، فهو لم يكن ليقولها ولو كان مجنونًا مكبل الأيدي. وكيف يقولها ويأثم في حق الذي يدين له ويدخل في طاعته ؟

وبرغم محاولات الشاعر العديدة في تبرئة نفسه وإظهار ظلامته، بدا متخوفًا من تشكك النعمان به وعدم تصديقه إياه، وتهديده له. لذلك تملقه بتعظيم

(45) ديوانه ص ٣٠– ٣٩ .

سلطانه وعدله في تساؤله الآتي: كيف بك أيها الملك مع ما تحمله من قوة وسيطرة وكرم وعدل ووفاء ومعروف تتهدد عبدًا أمينًا طائعًا، وتترك آخر ظالمًا حائدًا عن الحق ومذنبًا ؟.

ولئن كان الشاعر لا ينتظرعن سؤاله جوابًا، فإنه في نهاية القصيدة وهو يدعو للنعمان بالمزيد من النعيم والخير والكرم، يؤكد الغاية المنشودة منه الكامنة في الرضا والغفران.

وبنفس القلق والحزن السابقين، نتيجة تهديد النعمان للنابغة ووعيده له، وبنفس الرغبة في تكذيب الوشاة يفتتح الشاعر قصيدته البائية بقوله(٤٦):

أَتَانِي – أَبَيْتَ اللَّعْنَ – أَنَّكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصبُ

ويقسم فيها مرة أخرى بأن ما جاء به الوشاة ما هو إلا افتراء باطل لا ذنب له فيه. لكن إن كان ذنبه هو علاقته بالغساسنة وتوده لهم، فما ذاك إلا اعتراف بجميل أسلفوا إليه فيه، فقد حل بهم وبالغوا في إكرامه حتى حكموه في أموالهم، فشكر لهم صنيعهم بمدحهم، شأنه في ذلك شأن ما يفعله النعمان مع الذين يؤثرهم على غيرهم، ولا يرى ذنبًا في شكرهم له.

ويستجدي النابغة عفوالملك عنه وغفرانه له فيخاطبه بقوله:أي الرجال معصوم من العيوب والهفوات؟ فإن أردنا الاقتصار على المعصومين، فلن نبقي لأنفسنا لا أخًا ولا صديقًا، فالأفضل ترميم ما صدع بالعفو والمغفرة. أما عن نفسي فإن ظلمتني فما ظلمت إلا عبدًا مطيعًا متقبلاً لظلم سيده، وإن عفوت عني وسامحتني فليس غريبًا على مثلك أن يعفو ويصفح ويسامح.

ويؤكد النابغة في لاميته [التي استهلها في اعتذارياته ومدحه بقوله(٤٧):

(46) ديوانه ٧٢ –٧٤.

(47) ديوانه ص ١٤٩ – ١٥٢.

فدَاءٌ لامْرِئٍ سارَتْ إِلَيهِ بِعِذْرَةِ رَبِّهَا عَمِّي وَخَالي
وَمَنْ يَغْرِفْ مِنَ النُّعْمَانِ سَجْلاً فَلَيْسَ كَمَنْ يُتَيَّهُ فِي الضَّلاَلِ]

الرغبةَ الأكيدة في تقبل النعمان لمعذرته، والرغبة في نيل رضاه وكذا الرغبة في ألاّ يعجل عليه بالسخط والغضب .

كما يؤكد أيضًا عبر قسمه عدم إغفاله يومًا لشكره وطاعته، وذلك لأن جل ماله من عطائه، فكيف يتجرأ على خيانة أمانته، ويتحدى قوته، ويتنكر لسخائه؟.

ونصل إلى القصيدة النونية التي استهل فيها اعتذارياته ومدحه بقوله(٤٨):

كَأَنَّ الْهَمَّ لَيْسَ يُرِيدُ غَيْرِي وَلَوْ أَمْسَى بِهَا شَتَّى هُدُونُ
وَقَالَ الشَّامِتُونَ هَوَى زِيَادٌ لِكلِّ مَنِيَّةٍ سَبَبٌ مُبِينُ

فنجد النابغة يكرر المعاناة السابقة نفسها نتيجة دسائس الشامتين به عند النعمان، كما نجد القسم نفسه بالمقدسات وبقطع يمينه.

ويتابع الشاعر، فيركز على ما خلفته ملامة النعمان في نفسه من خوف وحرج ولعنة وسهاد. حتى إنه لِخوفه لم يفكر في ملاذ يلوذ به، أوحصن يحصنه، إلا اللجوء إلى النعمان حتى لايشك في أمره، ويظن به الظنون، خاصة وأن أمله كبير في نيل العفو والصفح والمغفرة من الملك، الذي هو خير الناس ملكًا وأعزهم جارًا، بعث على الأرض إمامًا والناس رعية، فبحياته يحيون، وبمماته ينهبون وبعطائه ينفعون، وبسخطه يشقون.

ويواصل النابغة اعتذارياته في القصيدة الرائية التي ندرجها ضمن المدح والقول في المرض، ويقدمها بقوله(٤٩):

(48) ديوانه ص ٢٦٢– ٢٦ .
(49) ديوانه ص ٦٧ –٧١.

كَتَمْتُكَ لَيْلاً بِالْجُمُومَيْنِ سَاهِرا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكِنًّا وَظَاهِرَا

فيشكو همَّين انتاباه، حدد أولهما بظاهر متمثل في اشتداد المرض على النعمان. وحدد الثاني في باطن مستكن سبق أن أفصح عنه في قصائده السابقة، وهو متعلق بدسائس الأعداء ووعيد النعمان وتربصه به، مما جعل الشاعر يقسم مرة أخرى على المرافعة أمام الملك قصد جلب براءته، لأنه لا يبغي جارًا سواه. لذلك مدحه وأثنى عليه، ودعا له بالظفر وأراد فداءه بأهله وماله وإن كان في مكان بعيد عن الملك فيه عزة ومنعة.

ويرق النابغة لحال النعمان، وهو على فراش المرض، فيقتصر على المدح والقول في المرض في أبيات أربعة له قال في مقدمتها(٥٠):

أَلَمْ أُقْسِمْ عَلَيْكَ لَتُخْبِرَنِّي أَمَحْمُولٌ عَلَى النَّعْشِ الْهُمامُ

يلوم فيها حاجب الملك على عدم إخباره حقيقة مرض النعمان، كما يصف فاجعة الناس إذا ما أدى هذا المرض إلى هلاكه، يصف بؤسهم وتهديد أمنهم، وشدة عيشهم ...

وهكذا ما إنْ نصل إلى نهاية القصائد المدحية الاعتذارية للنابغة،حتى نجد أنفسنا أمام ملاحظات يمكن تحديدها فيما هو آت:

– النابغة كان معتزًّا بنفسه: فهو وإن كان غرضه الدفاع لرد ما نسب إليه من قول زور عند الملك، لم يستهل قصيدته (الدالية) بالاعتذار، بل إنه مدح ثم اعتذر، أي أنه جعل الاعتذار متفرعًا عن المدح، لا غرضًا مستقلاً بذاته يفقد معه الشاعر هيبته ووقاره.

– هذه القصائد المدحية الاعتذارية، لو أعدنا ترتيبها ضمن قصيدة واحدة، مع دمج معانيها المتكررة، لحصلنا على قصيدة تستهل بمدح وتتطرق إلى اعتذار

(50) ديوانه ص ١٠٥، ١٠٦ .

وتختم بمدح، وتكون النتيجة سيطرة المدح على الاعتذار. وهو تأكيد هذه العزة بالنفس.

– هذه القصائد تتوزع بين المدح والاعتذار، سواء تقدم أحدهما أو تأخر.

– وإذا نظرنا في المعاني العامة لهذه القصائد، وإلى حالة الشاعر النفسية وأرقه وهمومه، نخلص إلى سيطرة الاعتذار على المدح وخدمة هذا الأخير له. خصوصًا أننا نعلم أهمية استهلال الاعتذاريات بالمدح لأنه يُهَيِّئُ نفسية السامع، ويغسل دواخل نفس الممدوح لاستقبال عهد جديد، يصفح خلاله عن الماضي المثقل بزلاته .كما نعلم قيمة المدح في الخاتمة، وما له من الأثر في تزكية الموضوع الرئيسي، وإزالة شبح الحقد من نفسية الممدوح.

ونستشف أن النابغة لم يكن اعتباطيًا أو عشوائيًّا في نظمه لأبياته الاعتذارية، إذ رسم خطة محكمة ومتقنة، تركت وقعًا في النفس سواء لدى النعمان أو المتلقّي عامة، وكان من أهم خصائصها الدفاع عن قضية مصيرية، شغلت اهتمام الشاعر وجعلته لا يرى غيرها، فنظر إليها بعين قلقة أنسته كل جمال، فعاش حالة نفسية متأزمة، حاول أن يوفق بينها وبين اعتذارياته التي اعتمد فيها المدح والقسم والحجة، وضرب الأمثال والحكم واستقراء التاريخ، وهي وسائل حاول التقرب بها إلى النعمان وكسب ثقته ونيل رضاه. كما اعتمد الرهبة والرغبة سبيلاً للخلاص من محنته، فنطقت قصائده بكل إحساساته، واقترنت الاعتذاريات باسمه، وأصبحت فنًا مبتكرًا له سماته ومميزاته، عرف نضجه عند النابغة وأخذ استواءه على يده. وكيف لا وهو شاعر بلاط وسياسة، ينتظر منه تقديم قرابين الشعر تمجيدًا وتعظيمًا.

فلا أحد من الشعراء نال حظه في الحياة، ولا تنافست فيه الملوك وتملقته بالألطاف واستزادته بالتألق في الحباء. وهو مع ذلك سفير عشيرته لدى الملوك،

وشفيعهم عند النوائب، وزعيمهم يفتي في أمورهم فيسمعونه ويطيعونه.

وهكذا بدا أن عوامل كثيرة أسهمت في غرض المدح عند النابغة نذكر أهمها:

– العامل السياسي، المتمثل فيما كان من صراع بين إمارتي المناذرة والغساسنة الذي كَوَّن تربة خصبة لشعر هذا الغرض وأنواعه عند شاعرنا .

– العامل الاقتصادي والفكري، المتجلي في صراع الشعراء مع النابغة وحسدهم وكيدهم له عند النعمان قصد إبعاده عنه، خوفًا على منافعهم المادية والأدبية الشعرية، قال حسان بن ثابت: «فحسدته على ثلاث لا أدري على أيتهن كنت له أشد حسدًا: على إدناء النعمان له بعد المباعدة، ومسامرته له وإصغائه إليه، أم جودة شعره، أم على مئة بعير من عصافيره أمر له بها» (٥١).

ب– المدح والاستعطاف:

وننتقل من مدح النابغة الذبياني للنعمان واعتذارياته له إلى مدح عدي بن زيد العبادي والأعشى ميمون والمثقب العبدي للملك نفسه واستعطافهم له، ويمكن من البداية أن نقرر حقيقة وهي: أنه لاوجود لمدح خالص في النعمان عند هؤلاء الشعراء، بل كل ما عثرنا عليه هو: مدحٌ مواكِبٌ للاستعطاف .

والاستعطاف على العموم هو أقرب الألوان إلى الاعتذار، قال عنه صاحب المنهاج: «فملاك الأمر فيها التلطف والإثلاج إلى كل معتذَر إليه أو معاتَب أو مستعطَف من الطريق الذي يعلم من سجيته أو يقدر تأثره لذلك»(٥٢).

وهذا الاستعطاف إن كان يأتي أحيانًا في صورة الاعتذار، ويعتمد النهج نفسه،فهو في الفهم يختلف عنه، لأنه لا يكون إلا من صغير نحو كبير، في حين

(51) الأغاني ١١/ ٢٥ .

(52) منهاج البلغاء للقرطاجني ص ٣٥٢ .

أن الخطاب في الاعتذار قد يكون من صغير إلى كبير، أو من كبير إلى صغير، أو بين شخصين متساويين في القدر والمنزلة.

انطلاقًا من هذا المفهوم نعتبر الاستعطاف نوعًا من أنواع غرض المدح، مستقلاً بذاته غير تابع للاعتذار. وهو لون سنقوم بمعالجة ما قيل فيه من شعر في النعمان اعتمادًا على التساؤلات الآتية: كيف وظف الشعراء المدح لمصلحته؟ وما هي الغاية منه ؟وهل أعطى أكله وثماره؟ بمعنى هل حَقَّق الملك لهؤلاء الشعراء الأمر الذي من أجله مدحوه ثم استعطفوه؟

ولنبدأ بقصيدتين لعدي بن زيد العبادي من هذا النوع المدحي،اشتركتا تقريبًا في مجمل عدد الأبيات، واختلفتا من حيث عدد ما خصص للأبيات المدحية والاستعطافية التي تقدر في القصيدة الأولى بـ(٣٧) بيتًا من مجموع (٥١) بيتًا، وفي الثانية بـ(١١) بيتًا من مجموع (٥٠) بيتًا.

وهما قصيدتان استهلتا معًا بوصف الشاعر لحسرته على الذي مضى من نعيم، وما آل إليه من حزن وهو في السجن، وقد كاد له الحساد وظلمه الحبيب.

والشاعر وهو يباشر الموضوع الرئيسي في قصيدته الأولى بقوله(٥٣):

مَنْ مُبْلِغُ الصَّعْبَ عَنْ عَانٍ يَوَدُّ لَهُ طُولَ الْحَياةِ وَفِيما رَامَ إِظْهارَا

طلب من يبلغ النعمان رسالته، التي ضمنها استعطافه وتمنيه له بطول العمر مع النصر، بالرغم من رميه له في السجن.وكذا ضمنها سروره وهو يسمع عنه أخبارًا غير مشوبة بفضائح هلاكه، التي ما هي إلا فزع للناس وتشتت للعرش ...كما ضمنها حمده لله على أنه لم يكن السبب في تشتيت الكلمة والشمل، بل كان المثبت للملك الحافظ له، المادح له بالرفعة والعدل والعطاء الجزيل.

(53) ديوانه ص ٥٠– ٥٥.

وبذلك حاول عدي أن يسلك بأسلوبه التلطف والإثلاج في هذا الموضوع، فخاطب صاحبه مؤثرًا في نفسيته ووجدانه. إذ عظم من شأنه، وأظهر مدى حبه له ورغبته في تفوقه، وإن لم يجن هو من وراء ذلك سوى السجن والهلاك.

وتضخيمًا لهذا الاستعطاف يتجاوز الشاعر ذاته فيدعو الرعية إلى شكر الله، الذي خص هذا الملك دون غيره بحكمهم، ثم يصفه بأحسن الصفات، بالقوة والشجاعة وحفظ الجوار، وتوحيد المملكة، وحلاوة الشمائل والفعال، وكثرة النعم والعطايا.وكلها قيم مدحية اعتمدها الشاعر وترًا حساسًا ضرب عليه لإثارة عطف النعمان.

ويزيد الشاعر من حدة المدح والاستعطاف، فيقسم باليمين والأصنام، أنه لو مات الملك، لزالت دعائم الاستقرار وحل العار، وفقد العدل. كما يؤكد أن كل رغبة في تغييره هي شك بالله الذي يخضع الأرض لمن شاء .

ولم ينس الشاعر، وهو بصدد مدح واستعطاف النعمان في قصيدته الثانية[٥٤]:

٤٠- أَنْتَ مِمَّا لاَقَيْتَ يُبْطِرُكَ الْأَغـ ـرَابُ بِالطَّيْشِ مُعْجَبٌ مَحْبورُ

أنْ يلومَ هذا الملك ويعذره في الآن نفسه على انسياقه وراء دسائس الأعداء، التي لم يجن منها الشاعر إلا السجن وصَرْف النعمة عنه إلى غير أهلها. ومع ما يتحمله عدي من سخط وظلم النعمان له، يمدحه قائلاً: وعلى الرغم من فعلتك بي، فإنك لو لم تتدارك العراق لساء حاله. فالله خصك بهذا الملك وارتضاه لك، لأنك ملك عادل أمين عالم بالذي تريد، عفيف، طائع ومتدين.

وهكذا ينهج عدي بن زيد المزج بين المدح والاستعطاف سبيلاً، لعله يغسل ما بدواخل النعمان من حقد، يطلق على إثره سراحه. وهذا الاستعطاف والمدح

(54) ديوانه ص ٩٠- ٩٢.

نفسه هو الذي سلكه الأعشى ميمون في قصيدته التي مطلعها[٥٥]:

أَتَرْحَلُ مِنْ لَيْلَى، وَلَمَّا تزَوَّدِ وَكُنْتَ كَمَنْ قَضَّى اللُّبَانةَ مِنْ دَدِ

وكذا المثقب العبدي في قصيدته التي استهلها بقوله[٥٦]:

أَلا إِنَّ هِنْدًا أَمْسِ رَثَّ جَدِيدُها وَضَنَّتْ، وَمَا كَانَ الْمَتَاعُ يَؤُودُهَا

ولما كان كل من الشاعرين يريد تحقيق هدف عند الملك، اعتمدا في مدحيهما على وجه التقريب المعانيَ الشعرية نفسها، المستمدة من القيم والمضامين التي نهل منها عدي بن زيد. فقد مدحاه بالنسب الصالح والأصل الكريم والقوة والدهاء في الحروب، والحزم في الرأي، والحكمة في سياسة الأمور وتسييرها، والجود في العطاء.

وقد مهد كل من الشاعرين بهذه المعاني المدحية للاستعطاف الذي كوَّن في حقيقة الأمر الدافع إلى القول، والذي على أهميته لم يهيمن هيمنة مطلقة على القصيدتين، وإنما احتل منهما الأبيات الأخيرة فقط، على عكس ما لمسناه في قصيدة عدي بن زيد التي بدا فيها الاستعطاف مسيطرًا، وبدا لنا المدح خادمًا له، وما ذلك إلا لأن عدي بن زيد ألهب السجن قلبه، وفجر أَنَّات الألم والشكوى في خفايا نفسه التي هوت بعد صعود، وتجرعت غصص المذلة والبؤس، بعد العز والرفعة والنعيم.

ولئن كان السبب في المدح والاستعطاف عند عدي بن زيد هو الذات الفردية العاجزة بسبب فقدان الحرية، فإن الدافع عند الأعشى هو الذات العاجزة أيضًا، لكنها عاجزة بسبب فقدان البصر، وهذا ما أظهره في البيتين الأخيرين من

(55) ديوانه ص ٩٤.

(56) ديوانه ص ٨٣ .

قصيدته[٥٧]، حين أشهد الله والحاضرين على اعترافه بجميل النعمان وفضله عليه، مفصحًا عن هدفه من مدحه في استعطافه للملك، وشكواه عَمَاه، وحاجته إلى أنيس يخفف عنه عبء وحدته .

ويتجاوز المثقب العبدي هذا الدافع الفردي إلى آخر جماعي مرتبط بالظروف العامة لقبيلته، التي كانت عاجزة عن فك أسرى لها كانوا بين يدي النعمان .

وهي غاية أبان عنها الشاعر في آخر أبيات قصيدته[٥٨]، حين استعطف الملك في أمرهم .

ويبدو أن تحقيق رغبة كل من الأعشى والمثقب، وإن كانت إحداهما مرتبطة بالذات الفردية والأخرى بالذات الجماعية، هو شيء وفعل قد يحققه الملك، وحتى إذا لم يحققه، فلن يزج بالشاعرين في السجن ولن يقتلهما .

على عكس ما نجده عند عدي بن زيد الذي تدخل الوشاة في علاقته بالنعمان، وعملوا على تحطيمها، وأوغروا صدر الملك عليه حتى أودى به إلى السجن، فعاش ذل العزيز، بعد أن ترعرع في القصور واعتاد خفض العيش وغضارة النعيم، ثم غدا بعد ذلك يتمنى بلهفة المكروب من يحمل شكواه إلى الملك، الذي كان أقرب الناس إليه، والذي لم يكن ليستتب له أمر الملك لولا شاعرنا، إلا أن وشاية الوشاة جعلته يجحد فضل عدي وينكر جميله، ويرمي به في غياهب السجون، ويتركه في عذابه يتأوه الحسرة تلو الحسرة، دون أن يرق له قلبه أو ينصت لشكواه. لقد أصم أذنيه عن آهاته وعن مدحه واستعطافه، بل جعل مصيره الموت المتعمد.

يكون بذلك عدي بن زيد، الشاعر الوحيد الذي عجز عن تحقيق هدفه

(57) ديوانه ص ١٠٠.

(58) ديوانه ص ١١٦ .

(نيل حريته)، وإن مدح واستعطف، في حين استطاع جل الشعراء نيل مرادهم إما بمدحهم واعتذارهم، أو مدحهم واستعطافهم، أو مدحهم وتحريضهم كما هو الشأن عند لبيد بن ربيعة العامري.

لم يكن المدح عند لبيد إلا لإثارة نخوة الملك فينصت إلى قوله،كما لم يكن التحريض إلا وسيلة لصد وجه النعمان عن خصمه. وهي غايات قصد إليها الشاعر قصدًا بعدما هَزِئ الربيع بن زياد العبسي[٥٩] بقوم الشاعر وسخر منهم، وهم بمجلس النعمان أتوه في أسرى من بني عامر يشترونهم منه ومعهم ناس من بني جعفر[٦٠]، فغاظهم ما فعله الربيع بهم،فرجعوا بحال سيئة استفسرعن سببها لبيد – وهو غلام صغير خلفوه في رحالهم بعد أن دخلوا على النعمان بن المنذر – فقرر مرافقتهم عند الملك للأخذ بثأر قومه من الربيع.

ودخل لبيد وقومه على النعمان في مجلسه، فألفوه يأكل طعامًا مع الربيع، فاستأذنه في الكلام، فأذن له[٦١]، وأنشده قصيدته في المدح والتحريض، التي قدم لها بقوله[٦٢]:

لاَ تَزْجُرِ الْفِتْيَانَ عَنْ سُوءِ الرِّعَهْ يَارُبَّ هَيْجا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَهْ

حيث استهلها بنعت النعمان بابن أهل الكبرياء والزهو،كما افتخر بنفسه وقبيلته، ومدح بعدها الملك بأفضل المعاني، بالأصل العريق والعطاء الواسع والقوة والحق، منتقلاً من مدحه إلى تحديد هدف زيارته الكامن في قضاء أرب لهم عنده.

ولما اعترض الربيع بن زياد على كلام لبيد، انبرى له في القصيدة نفسها

(59) ديوان لبيد ص ٣٤٠، الأغاني ١٥ /٢٩٣، ٢٩٤، ١٧ / ١٢٠ .
(60) الأغاني ١٧ /١٢٠، ١٢١، ١٥ / ٢٩٣، ٢٩٤ .
(61) الأغاني ١٧/ ١٢٠ ،١٢١، ١٥/٢٩٤،٢٩٣ .
(62) ديوانه ص ٣٤٠ – ٣٤٣.

بأبيات هجاه فيها، حذر فيها النعمان من الأكل معه، وحرضه حتى أفسد قلبه عليه. فأرسل إليه: «إنك لست صانعًا بانتفائك مما قال لبيد شيئًا، ولا قادرًا على ما زلت به الألسن فالحق بأهلك»(٦٣).

وبذلك يبعد لبيد الربيع بن زياد عن النعمان، فيخلو له مجال القول ويقضي الملك حوائج الجعفريين ويصرفهم(٦٤). ويحقق بذلك الشاعر غايته الفردية والجماعية معًا. غاية الانتقام والأخذ بالثأر، وغاية قضاء المآرب والحاجات عند الملك.

ويمدح كل الشعراء السابق ذكرهم النعمان بن المنذر، وتتعدد بواعثهم المدحية، وتبتعد عن الإعجاب والشكر باعتبارهما دافعين أصليين لم نعثر عليهما إلا في مدح الحارث بن حجر والحارث بن حلزة للنعمان، حيث بدا دافع الإعجاب واضحًا في أبيات الحارث بن حجر التي قال في مقدمتها(٦٥):

سَمِعْتُ بِفِعْلِ الْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ كَمِثْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْمًا وَنَائِلاَ

وقد بدت من بديع ما نظم في هذا الملك، لأنها مجردة من أية غاية نفعية إلا غاية التغني بالجمال وحب الفضائل، والإشادة بالسجايا الحميدة، التي أظهرها الشاعر في معاني الكرم والشجاعة والتقوى والحزم. والتي بها يرى أن الله فضل هذا الملك على كل الناس، وجعله أعز الملوك وأجَلَّ من أن تمدحه الرعية، وساق إليه خير كل بلدة وجَعَلَهُ تحت أمره وتدبيره، ففاضت لذلك خيراته وعطاياه على كل من حل به وارتحل إليه .

ولما كان هذا الإعجاب هو الباعث الأصلي للمدح عند شاعرنا، ارتأينا

(63) الأغاني ١٧ / ١٢٢.
(64) نفسه ١٥ / ٢٩٤ .
(65) ديوان الحماسة ٢ /٢٩٤ .

تصنيف أبياته ضمن المدح الخالص، وأضفنا إليه فيما بعد، أبيات الحارث بن حلزة التي يقول في أولها(٦٦):

لَمَّا جَفَانِي أَخِلاَّئِي وَأَسْلَمَنِي دَهْرِي وَلَحْمُ عِظَامِي الْيَوْمَ يُعْتَرَقُ

وهي ثناء على الممدوح غايته الشكر، ذلك أن الشكر عامة، والمدح بمعنى الشكر، لا يكون الا على فضلٍ قدَّمه المشكور، والشاعر لا يستطيع أداء حقه إلا بالشكر إعظامًا له.

ويتبين هذا الباعث للمدح عند الحارث بن حلزة، لما أخذ النعمان بيده وساعده بعد أن جفاه الأصدقاء، وتخلوا عنه كما تخلى عنه الدهر من كبر. فلم يجد الشاعر وسيلة لرد هذا الجميل للنعمان إلا بمدحه وشكره على سخائه وكرمه وشجاعته ومده له ولأمثاله من المحتاجين والمعوزين يد المعونة .

ونستخلص من هذه الرؤية الموضوعية للقصائد السابقة في مدح النعمان ابن المنذر، أن المعاني التي أضفاها الشعراء على هذا الملك في قصائدهم، ليست مجرد شعارات رفعها الشعراء مجاملة قصد تحقيق هدف من الأهداف، وإنما هي نتيجة أفعال حميدة لهذا الملك، نال عليها الإعجاب والشكر اللذين هما في حقيقة الأمر نعمة عظيمة يسعد بها الممدوح، وتدل على رفعة خلقه ونبل نفسه وعلو مقامه. وهي سجايا خلقية كان يعلمها كل الناس وفيهم الشعراء، لذلك ضربوا على وترها الحساس في استهلالهم واختتامهم لكل أشعارهم المدحية المتنوعة، مؤكدين ومضخمين من قيمتها حسب كل غاية وهدف.

(66) ديوانه ص ٥٨ .

فهرست المصادر

١– الأصمعيات، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (–٢١٦هـ (، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة بيروت لبنان .

٢– الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (– ٣٥٦ هـ(، تح وإشراف لجنة من الأدباء، طبعة دار الثقافة بيروت.

– الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه عبد العلي مهنا وسمير جابر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م.

٣– الديارات، لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابستي (– ٣٨٨ هـ(، عني بتحقيقه ونشره كوركيس عواد، مطبعة المعارف بغداد.

٤– ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)، قدم له وشرحه وضبطه أحمد قاسم، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.

٥– ديوان الحارث بن حلزة، إعداد طلال حرب، الدار العالمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.

٦– ديوان الحماسة، وهو ما اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أشعار العرب، شرح التبريزي، دار القلم بيروت لبنان.

٧– ديوان عدي بن زيد العبادي، حققه وجمعه محمد جبار المعيبد، طبعة ١٩٦٥ م.

٨– ديوان عمرو بن كلثوم، إعداد طلال حرب، الدار العالمية بيروت لبنان .

٩– ديوان المثقب العبدي، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي ١٣٩١هـ –١٩٧١م.

١٠– ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف./ – ديوان النابغة الذبياني، صنعة ابن السكيت، تحقيق: د. شكري فيصل.

١١– ديوان امرئ القيس، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الخامسة، دار المعارف.

١٢– شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت ١٩٨٤ م.

١٣– العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (– ٤٥٦ هـ)، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

١٤– الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين (٦٣٠هـ)، دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨م .

١٥– نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (–٣٣٧هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت .

١٦– مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني (– ٤١٨ هـ)، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة ١٣٧٤ هـ.

١٧– معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، طبعة دار صادر بيروت.

١٨– معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (– ٤٨٧هـ)، تحقيق مصطفى السقا، طبعة ١٣٦٦هـ، ١٩٧٤م .

١٩– المفضليات، للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، الطبعة السادسة بيروت لبنان.

٢٠– منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لأبي الحسن حازم القرطاجني (–٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م، دار الغرب الاسلامي بيروت لبنان.

المراجع

٢١– فجر الإسلام، لأحمد أمين، دار الكتب بيروت، الطبعة الحادية عشرة ١٩٧٥ م.

٢٢– المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي، طبعة دار العلم للملايين بيروت.

٢٣– تاريخ الدولة العربية، لعبد العزيز سالم، طبعة دار النهضة العربية بيروت ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

منهجية البحث في الدرس النحوي

(دراسة معرفية في التفكير اللغوي العربي)

د.سمير أحمد معلوف

اللغة:

كان أول ما واجهه اللغويون العرب أنهم مطالبون بأمرين جليلين أولهما تفسير النص القرآني، وثانيهما قراءة هذا النص قراءة صحيحة تستند إلى معارف لغوية، وكأنهم وطنوا أنفسهم على أن يكونوا قائمين على أمر اللغة العربية يبحثون فيها ويكشفون عن قواعدها وأصولها خدمة للقرآن الكريم الذي نزل بهذه اللغة مشرّفًا إياها على سائر اللغات.

وكان من أوائل عملهم دراسة موضوع بحثهم وتحديده، فقد عرف العرب (اللغة) على أنها اللسان، ووردت هكذا في القرآن الكريم في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿لِسَانُ الذي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهَذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[1]، أما كلمة (اللغة)، فلم يعرفها العرب بمعناها الذي يتداوله الدارسون في عصرنا[2]، ولذلك لم ترد في القرآن الكريم بهذا المعنى، وقد أورد الخليل في معجم العين تفسيرًا لما جاء في الحديث الشريف (من قال في الجمعة والإمام يخطب: صه فقد لغا)، فقال: أي تكلم. والحقيقة أن ما أتى به الخليل في

---

(1) سورة النحل، الآية: ١٠٣، وانظر كذلك: سورة إبراهيم الآية ٤.

(2) ذهب إلى ذلك د. إبراهيم أنيس في قوله: (ويظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن باللغة إلا بكلمة اللسان، تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية)، في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس، ص:١٧.

العين من تفسير لهذه المادة لا يخرج عن هذا المعنى[١].

وقد ذكر الخليل في مفتتح تفسير هذه المادة اللغوية ما يأتي: (اللغة واللغات واللغون: اختلاف الكلام في معنى واحد)[٢]، وهذا التفسير يشير إلى علاقة بين معنى اللغة واللهجة، ونجد فيما أورده ابن منظور عن التهذيب للأزهري ما يوضح هذه العلاقة فقد قال: (التهذيب: لغا فلان عن الصواب وعن الطريق إذا مال عنه، قال ابن الأعرابي: واللغة أخذت من هذا، لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين)[٣]، ولما كان الدارسون العرب القدامى قد حصروا بحثهم في اللغة العربية فإن مفهوم نص الأزهري يقودنا إلى هذه اللغة لا سواها، فيكون الميل عن لغة الآخرين دالاً على ميلهم عن لهجتهم، ويعني ذلك أن العلاقة بين لغة وأخرى في هذا النص هي علاقة بين لهجات لغة واحدة، وليس بين لغات متعددة. ويزيد الأمر تأكيدًا أن سيبويه استعمل في كتابه كلمة اللغة بمعنى اللهجة حيث قال: (هذا ما أجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله)[٤].

ثم دخل الدراسات اللغوية العربية مصطلح جديد هو (العربية)، وهذا المصطلح طارئ، لم يكن معروفًا قبل تدوين اللغة، ويبين ذلك خبرٌ عن أبي عمرو بن العلاء جاء فيه: (قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سَمَّيت عربية أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا . فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حجة؟ فقال: أحمل على

(1) كتاب العين للخليل، مادة (لغو)، ٤ / ٤٤٩.
(2) المرجع السابق نفسه.
(3) اللسان: لغو، ١٥/٢٥٢.
(4) الكتاب: ١/٥٧

الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات)[١].

وقد أصبحت دراسة العربية بهذا المعنى سائدة لدى اللغويين العرب، فهذا سيبويه (١٨٠هـ(يبحث في كتابه أصول ماسماه (العربية) فتتكرّر في رسالة الكتاب هذه الكلمة في رؤوس أبوابه مشيرًا بها إلى اللغة. نجد ذلك في:

١. (هذا باب علم ما الكلم من العربية)[٢]

٢. (هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية)[٣]

وما لبثت كلمة اللغة أن حلّت محل كلمة (العربية) هذه، فاتجه الدارسون إلى استعمالها، والبحث في خصائصها على أنها دالّة على ما تدلّ عليه كلمة اللغة في عصرنا، ولم يبتعد ابن جنّي (٣٩٢هـ(عن تعريفات المعاصرين حين حدَّ اللغة في كتابه (الخصائص) بقوله: (أما حدُّها فإنّها أصوات يُعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم)، وقد جمع في هذا التعريف بين أمرين هما بناء اللغة، فذكر أنها أصوات، ودلالة اللغة، وذلك حين ذكر أنها للتعبير عن الأغراض. وأضاف ابن جني إلى ذلك الحدِّ دراسة لصيغة الكلمة لكي يؤكد أنها عربية أصيلة لا أعجمية دخيلة، فقال: (وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فُعْلَةٌ من: لَغَوْتُ أي تكلّمت؛ وأصلها لُغْوَةٌ ككرة، وقُلَةٍ وثُبَةٍ، كلها لاماتُها واوات)[٤].

كان الانتقال من اللهجة إلى العربية أول القَطْر، فكانت هذه الخطوة تعبيرًا عن وعي اللغويين بأن دراستهم يجب أن تكون شاملة تدرس اللغة على أنها منظومة لها معاييرها، وقواعدها، ومقاييسها التي تنتظم تحتها القواعد الجزئية التي تنظِّم الخطابَ والعلاقة بين المخاطِب والمخاطَب. ولم يكن

(1) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، ص:٣٩.

(2) كتاب سيبويه، ج ١ ص: ١٢.

(3) المرجع السابق نفسه، ص: ١٣.

(4) الخصائص لابن جني ج١، ص: ٣٣.

مصطلح العربية الذي اهتدى إليه الدارسون إلا مرحلة للوصول إلى مصطلح يعبر عن موضوع الدراسة التي يقومون بها ألا وهو (اللغة).

استنباط الكليات:

تنازعت دراسة اللغة عدّة اتجاهات، ولكل واحد منها مسوغات بحثه، وتاريخ نشأته، فكان لدينا من هذه الاتجاهات اتجاهٌ (يتوخى وجوه الاستعمال المختلفة)[١] في الكلام فيتتبّعها، من غير أن يغفل عن المقاييس العامة المطردة، وقد سُلك في هذا الاتجاه أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ(الذي كانت تشغله معرفة لغات العرب وغريبها، لكنه لم يكن بعيدًا عن الاتجاه العام الذي كان يسير فيه غيره من النحاة أمثال عبد الله بن أبي إسحق (١١٧هـ(، وعيسى بن عمر (١٤٩هـ([٢])، واتجاه يدرس اللغة من حيث مقاييسها وعللها، مقيمًا عمله على أن اللغة أمر واقع يُدرس بالاستقراء، فوضع أصحاب هذا الاتجاه لأنفسهم منهجية خاصة توصلهم إلى تصوّر بناء اللغة على نحو كلّي[٣]، تؤلف العناصر

(1) القياس . د. منى إلياس، ص: ١٣.

(2) المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ص: ٢٧ – ٢٨.

(3) يمكن تحديد مفهوم الكلي بأنه هو المنسوب إلى الكل: ويرادفه العام.ونقول: العلم الكلي أي العلم الشامل لكلّ شيء. وفي علم المنطق الكلي هو الشامل لكلّ الأفراد الداخلين في صنفٍ معيَّنٍ.وهو المفهوم الذي لا يمنع من أن يشترك في معناه كثيرون. يقول ابن سينا: (اللفظ المفرد الكلّي هو الذي يدلّ على كثيرين بمعنًى واحد متّفق. إما كثيرين في الوجود كالإنسان، أو كثيرين في جواز التوهّم كالشمس. وبالجملة الكلّي هو اللفظ الذي لايمنع مفهومه أن يشترك في معناه كثيرون. فإن منع من ذلك شيء، فهو غير مفهومه ((النجاة ص: ٨)). انظر معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص: ٣٧٥. وجاء في الكليات للكفوي ج٤، ص: ٨٢، وقد يطلق (الكلي) على الأمر الموجود في ضمن الشخص، أعني الجنس والفصل والنوع، فمعنى مطابقته لكثيرين وجوده في ضمن كل من جزئياته بواسطة تكرر الوجود في ضمن الجزئيات).

الجزئية بنيانه فتؤخذ هذه العناصر ويُضامُّ بعضها إلى بعض للوصول إلى الكلّي الذي يسعى الدارس للوصول إليه، فكأنه يريد قبل البدء بدراسة اللغة البحثَ عن تصوُّر شاملٍ لها، وحين يصل إلى هذا التصور فإنه يستطيع فهم طريقة عمل هذه اللغة، وما يمكن للمتكلم أن يصطنعه من حركة داخل هذا البنيان الكلي الشامل الذي تقوم عليه هذه اللغة، وقد عبر الفارابي عن ذلك حين أشار إلى المراحل التي تقطعها دراسة اللغة والنظر فيها حتى تصل إلى الكليات أو القوانين الكلية فيقول: (فتؤخذ ألفاظهم المفردة أوّلاً إلى أن يُؤتى عليها، الغريب والمشهور منها، فَيُحْفَظُ أو يُكْتَبُ، ثم ألفاظهم المرَكَّبة كلّها من الأشعار والخُطب. ثمّ من بعد ذلك يحدث للنّاظر فيها تأمّل ما كان منها متشابهًا في المفردة منها وعند التركيب، تُؤخذ أصناف المتشابهات منها وبماذا تتشابه في صنف صنف منها وما الذي يلحق كلّ صنف منها. فيحدث لها عند ذلك في النفس كليات وقوانين كلية)[1].

لقد كان همّ هؤلاء الدارسين الوصول إلى القواعد العامة أو الأصول العامة، وهي القواعد التي يقوم عليها بنيان التفكير اللغوي العربي، فوصلوا بذلك إلى مجموعة من المقاييس الكلية.

كان اهتمام التفكير اللغوي العربي بالبحث عن الكليات التي تجمع الجزئيات الكثيرة المتفرقة من القواعد، ساعيًا وراء بناء لغوي متماسك له توجهاته ومعاييره . نجد ذلك في طبيعة المنهج اللغوي الذي اصطنعه النحاة واللغويون أصحاب هذا الاتجاه في دراساتهم،فقد استنبطوا من كلام العرب مجموعة من القواعد الكلية أو القوانين أو الأصول العامة من أجل حمل الجزئيات عليها. بدأ ذلك عند متقدمي النحاة وكان على رأسهم (عبد الله ابن

(1) كتاب الحروف للفارابي، ص:١٣٥.

أبي إسحاق الحضرمي – ١١٧ هـ(، وفيه يقول ابن سلاّم: (كان أوّل مَنْ بعَجَ النّحو ومدّ القياس وشرح العلل)[١]. كما يذكر: (أن ابن أبي إسحاق كان أشدّ تجريدًا للقياس، وكان أبو عمرو (ابن العلاء) أوسع علمًا بكلام العرب ولغاتها وغريبها)[٢]. (وقول ابن سلاّم: (أول من بعج النحو) يفيد أن النحو قبله كأنه كان مستغلقًا على من تقدَّمه فلا يقعون فيه إلا على ظواهر لا ينفذون منها إلى حقائقه، حتى كان هو الذي تسنى له أن ينفذ إلى ما وراء هذه الظواهر، فعلى حين كان أبو عمرو أوسع معرفة من عبد الله بجزئيات كلام العرب، كان عبد الله أقدر على أن يستخلص مما وقع إليه من كلامهم القوانين التي على هديها يتصرفون في الكلام)[٣]، وقد سار على هَدْي ابن إسحاق، وترسم خطاه الخليل بن أحمد الفراهيدي (– ١٧٠هـ(، وتلميذه سيبويه (– ١٨٠هـ(، ومن أخذ عنهما من النحاة اللاحقين واهتدى بهديهما كابن السراج (– ٣١٦هـ(، وأبو علي الفارسي (– ٣٧٧هـ(وسعيد بن سعيد الفارقي (– ٣٩١هـ(وعلي بن عثمان بن جني (– ٣٩٢هـ(.

قواعد البحث اللغوي في التركيب:

كان عمل هؤلاء اللغويين الأصل الذي بُني عليه التفكير اللغوي العربي، ومنه نجمت قواعدهم العامة أو كليات التفكير اللغوي، وقد تهدّوا في عملهم هذا بمجموعة من القواعد ألزموا أنفسهم بها، وهي أصول عملهم، وأساس تفكيرهم اللغوي. ويمكن أن نجملها فيما يأتي:

(1) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص: ١٤.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) القياس، د٠ منى إلياس، ص: ١٢وانظر كذلك كتاب الأصول للدكتور: تمام حسان، ص: ٩٦ ومابعدها ففيه أفكار وآراء حول تفسير كلام ابن سلام لا يختلف في جوهره عمّا جاء في كلام الدكتورة منى إلياس.

١– اللغة نظام متكامل:

اعتمد هؤلاء اللغويون هذا الأصل، في عملهم، فكان موضوع عملهم اللغة بمعناها الشامل. استخرجوا منها قواعدهم وبنوا عليها أصول مسائلهم، فاستقرؤوا اللغة من حيث ألفاظها وتراكيبها، واستنبطوا منها قواعد عامة توجه الدرس اللغوي، وهم في عملهم هذا يحملون اللفظ المفرد على المركب، كما يحملون المركب على المفرد. ولهذا السبب لم يكن دارس النحو في معزل عن دراسة الصرف، بل كان نحويًّا وصرفيًّا في آن معًا، كما كان مشتغلاً باللغة معنى ودلالة، وهذا ما كان عليه الخليل بن أحمد وابن جني وغيرهما.

بل إن هذه النظرة لديهم قد تتعدّى قياس المفرد على المركب أو العكس، إلى النظر إلى اللغة كلها بعلومها المختلفة على أنها بناء واحد يتساند بعضه إلى بعض، ويفسر بعضُه بعضَه الآخر، نجد مصداق ذلك فيما نقله ابن جني عن أبي علي الفارسي حيث قال: وأخبرني (أبو علي) أيضًا قال: سألني سائلٌ قديمًا، فقال: هل يجوزُ الخَرْمُ في أَوَّل أجْزاءِ مُتَفاعِلُنْ من الكامل؟ قال: ولم أَكُنْ حينئذٍ أعرف مذْهبَ العروضيين فيه، فَعَدَلْت به إلى طريق الإعراب، فقلت: لا يجوز. فقال: لِمَ لا يجوز؟ فقلت: لأن التاء التي بعد الميم قد يدركها السكون في بعض الأحوال، فَيُكْرَه الابتداء بحرف قد يكون في بعض أحواله ساكنًا في مثل ذلك المثال بعينه، كما كَرِهَتِ العرب الابتداء بالهمزة المخفّفة، لأنها قد قربت من الساكن، أفلا ترى إلى تناسب هذا العلم، واشتراك أجزائه، حتى إنه ليُجاب عن بعضه بجواب غيره)[1].

وقد أوغل بعض اللغويين في النظر إلى كلية البناء اللغوي فقاسوا على أمور تبدو للناظر متباعدة، ولا يجمع فيما بينها جامع، وعلّلوا لبعض القضايا

(1) سر صناعة الإعراب، ص ٦٣.

بتعليلات توحي بهذه النظرة الكليّة التي نظروا بها إلى اللغة. وهذا ابن جني يعلل لقلب العرب لام فَعْلى – إذا كانت اسمًا، وكانت لامها ياء أو واوًا، بأنهم عوّضوا الواو من غَلبَة الياء عليها في أكثر المواضع، بأن قلبوها في نحو البَقْوى والثَّنْوى واوًا ليكون ذلك ضربًا من التّعويض والتَّكافؤ بينهما(١). لقد رأى ابن جني أن اللغة بنيان كلي لا يجوز أن ننظر إليه نظرة جزئية، ولهذا فإنه اعتمد هذه النظرة الكلية، فرأى أن أكثر الكلمات حين يدخلها إعلال تقلب ألفها ياء، ولكي يُعَوَّض عن هذه الكثرة قُلِبت لام البَقْوى، والثَّنْوى واوًا ولم تقلب ياء، ليكون في اللغة تعويض عن الكثرة، وتكافُؤ بين الكلمات.

كان سيبويه بتوجيه من الخليل بن أحمد من أوائل من اتجه في هذا الاتجاه، فكان يستنبط القواعد من الألفاظ المفردة والتراكيب معًا، ويطرد القاعدة بعد أن يقيس المركب على المفرد أو المفرد على المركب، باحثًا عن الأشباه والنظائر في المفردات والتراكيب. جاء في باب (هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض) ما يأتي: (اعلم أنهم ممّا يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أن يستعمل حتى يصير ساقطًا.وسترى ذلك إن شاء الله. فممّا حُذِف وأصله في الكلام غير ذلك. لم يكُ ولاأَدْرِ، وأشباه ذلك. وأما استغناؤهم بالشيء عن الشيء فإنّهم يقولون: يَدَعُ، ولا يقولون: وَدَعَ، استغنوا عنها بتَرَكَ. وأشباه ذلك كثير. والعِوَضُ قولهم: زَنادِقةٌ وزناديقُ، وفَرازِنَةٌ وفَرازينُ، حذفوا الياء وعوَّضوا الهاء، وقولهم أسْطاع يُسْطيعُ، وإنّما هي أطاع يُطيعُ، زادوا السين عوضًا من ذهاب حركة العين من أَفْعَلَ. وقولهم اللّهمَّ، حذفوا «يا» وأَلْحَقوا الميمَ عِوَضًا)(٢).

(1) المرجع السابق نفسه، ج١، ص: ١٠٣-١٠٤.

(2)كتاب سيبويه، ج ١ ص: ٢٤- ٢٥.

ويذكر في سياق آخر، في أثناء كلامه على تأنيث الفعل مع الفاعل قاعدة عامة يطبق عليها جواز استخدام العبارة (قال فلانة)، وهذه القاعدة هي أنه (إذا طال الكلام كان الحذف أجمل) فيحمل في أثناء التطبيق المركب على المفرد فيقول: (وقال بعض العرب: (قال فلانةُ)، وكلَّما طال الكلام فهو أحسنُ، نحو قولك: حَضَرَ القاضيَ امرأةٌ؛ لأنه إذا طال الكلام كان الحَذْفُ أجْمَل، وكأنَه شيءٌ يصيرُ بَدَلاً من شَيْء، كالمعاقبة نحو قوْلك: زَنادِقةٌ وزَناديقُ، فَتَحْذفُ الياء لمكان الهاء، وكما قالوا في مُغْتَلِمٍ: مُغَيْلِمٌ ومُغَيْلِيمٌ، وكأَنَّ الياءَ صارت بدلاً ممّا حذفوا)[1].

والحقيقة أنهم لم يكتفوا بحمل المفرد على المركب والعكس، بل إنهم حملوا طريقة التعبير عن المعنى على معنى الإعراب في بعض الصيغ فقاسوا التشبيه المقلوب على صيغة لغوية. جاء في (باب من غلبة الفروع على الأصول) من الخصائص، قول ابن جني: (هذا فصل من فصول العربية طريف؛ تجده في معاني العرب، كما تجده في معاني الإعراب. ولا تكاد تجد شيئًا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة. فممّا جاء فيه ذلك للعرب قول ذي الرُّمة:

وَرَمْلٍ كَأَوْراكِ العَذارى قَطَعْتُهُ إذا أَلْبَسَتْهُ المظْلِماتُ الحَنادِسُ

أفلا ترى ذا الرّمة كيف جعل الأصل فرعًا والفرع أصلًا. وذلك أن العادة والعرف في نحو هذا أن تُشَبّه أعجاز النساء بكثبان الأنقاء)[2]. ثم أتى بأمثلة عديدة على المسألة وانتقل بعد ذلك إلى الصيغة اللغوية التي حمل التشبيه المقلوب عليها، فقال: (وهذا المعنى عينه قد استعمله النحويون في صناعتهم، فشبّهوا الأصل بالفرع في المعنى الذي أفاده ذلك الفرع من ذلك الأصل؛ ألا ترى أن

(1) المرجع السابق نفسه، ج٢، ص: ٣٨.

(2) الخصائص لابن جني ج١، ص: ٣٣.

سيبويه أجاز في قولك: هذا الحسنُ الوجهِ أن يكون الجرّ في الوجهِ في موضعين، أحدهما الإضافة، والآخر تشبيهه بالضاربِ الرجلِ الذي إنما جاز فيه الجر تشبيهًا له بالحسنِ الوجهِ[١]؛ على ما تقدّم في الباب قبل هذا)[٢].

٢– اللغة نظام يجد تَحَقُّقَه في الكلام:

كان مصطلح أبي عمرو بن العلاء (– ١٥٤هـ(، (العربية) أول مصطلح يعبر عن اللغة بوصفها نظامًا كليًا يجمع تحته جزئيات كثيرة، فيضم إليه اللهجات القبلية العديدة. مصداق ذلك الخبرُ الذي ذكره ابن نوفل وجاء فيه: (قال ابن نوفل: سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سَمّيت عربية أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا. فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حجة؟ فقال: أحمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات)[٣]. إن اللغة وفق هذا المعيار الذي اصطنعه أبو عمرو بن العلاء لا تخرج عمّا قرَّره الخليل بن أحمد الفراهيدي حين فَسّر اللغة في كتاب العين بقوله (اللّغَةُ واللُّغاتُ

(1) هذه المسألة من مسائل سيبويه، وقد وردت في باب: (هذا بابٌ صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فَعَلَ في المعنى، وما يَعْمَلُ فيه)،حيث قال: (وقد قال قوم تُرْضى عَرَبِيَّتُهُم: هذا الضاربُ الرَّجُلِ، شَبَّهوه بالحَسَنِ الوَجْهِ، وإن كان ليسَ مثله في المعنى ولا في أحواله إلا أَنَّه اسمٌ، وقد يَجُرُّ كما يَجُرُّ ويَنْصِبُ كما يَنْصِب.وقد يُشَبِّهون الشيء بالشيء وليسَ مثله في جميع أحواله)، كتاب سيبويه، ١٨٢/١. وقد أجاز سيبويه أن تقول: (هو الحسنُ الوَجْهِ، على قوله: هو الضاربُ الرَّجل. فالجَرُّ في هذا الباب من وجهين: من الباب الذي هوله وهو الإضافة، ومن إعمال الفعل ثم يُسْتَخَفُّ فيضاف) انظر الكتاب ١/ ٢٠١ وقال المبرّد في المقتضب ٤/ ١٦: (ومن قال: الضاربُ الرَّجلِ يقول تشبيهًا بالحَسَنِ الوجهِ). وانظر:تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب، للفارقي، ص: ١١٧ وما يليها، وابن يعيش ١٢٣/٢ ففيه مناقشة للمسألة وأسباب عدم إجازتها، وانظر كذلك المغني ٧٨١/٢، وشرح الرضي للكافية: ٢٨١/١.

(2) المرجع السابق نفسه، ج١: ص: ٢٠٣–٢٠٤.

(3) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي، ص:٣٩.

واللّغونُ: اختلاف الكلام في معنى واحد)[1]. تحمل هذه العبارة الموجزة معانيَ كثيرة، ذلك أن اختلاف الكلام لا يعني إلا تَغَيُّرَ طريقة نطق الكلام بين إنسان وآخر من متكلّمي اللغة الواحدة، أوتغيُّر المفردات المعبرة عن معنى واحد، أوالاختلاف في صيغة ما من الصيغ الكلامية على أن يؤول هذا الكلام كله إلى معنى واحد، لقد أقام الخليل تعريف اللغة على مسائل متعددة يمكن النظر إليها كما يأتي:

– **للغة صلة بالكلام**؛ لأن اللغة تعني اختلاف الكلام وبقاء دلالته، ويدل ذلك على استخدامات متباينة لمستويات اللغة فقد يكون الاختلاف صوتيًا مثل الكشكشة، وغيرها، وقد يكون على مستوى البناء الصرفي، كما في وسادة وإسادة، أو استخدام مفردة بدل أخرى، كما في القِدْر والبُرْمة، كما قد يكون على مستوى التركيب كما في (ما) الحجازية، والتّميميّة وهذا الاختلاف الذي نلاحظه على مستويات اللغة المختلفة إنّما ينصرف إلى بنية اللغة من غير أن يَمَسَّ دلالتها.

– **اللّغة غير الكلام**، وكأن اللغة أصل والكلام فرع، فاختلاف الناس في طرائق التعبير عن المعنى على مختلف مستويات اللغة هو الكلام، أما اللغة فهي مجموعة هذه الاختلافات، أي إن اللغة بناء كلي، أما الكلام فجزء من هذا البناء الكلي ومجموع كلام الأفراد يحدد اللغة. لأن الكلام على ما يظهر استخدامٌ للغة بطرائق يختلف فيها المتَكلمون، والخليل لم يذكر في تفسير اللّغة أنها الكلام ولكنه أشار إلى أن اللغة تعني اختلاف الكلام وبقاء المعنى، فمتكلّمو اللغة يعبّرون عن مقاصدهم بها، وكل واحد منهم ينحو في استخدامها منحىً يختلف به عن منحى الآخر من حيث الصورة والشكل، لكنهم جميعًا يؤولون إلى المعنى المشترك

(1)كتاب العين ٤ / ٤٤٩ ، مادة ل ، غ ، و.

الذي تدل عليه اللغة وكأن المعنى هو الجامع والمقياس الذي يحدد انتماء المتكلم للغة ما، أو خروجه عنها إلى لغة أخرى وإن اتّجه في طريقة تعبيره عن المعاني اتّجاهًا مباينًا من حيث الصورة لآخرين من مستعملي اللغة.

– **اللغة بناء ومعنى** يُفْهم من تفسير الخليل أن اللغة لا تنفصل عن المعنى، وأن لها وجهين هما المبنى والمعنى، فالمعنى أصل تؤول إليه كل صورة لفظية منطوقة وهو عُرْضة للتّبدل والتغَيُّر، أما المعنى فيجب أن يبقى ثابتًا لا يتغير، وإن تبدّلت صورته اللفظية.

إنَّ هذه الأفكار التي استنبطناها من تفسير الخليل نجد ما يؤكدها في دراسات اللغويين القدامى، لأنها أفكار كانت على ما يبدو قد استقرّت في أذهانهم؛ فصدروا عنها في دراساتهم وأبحاثهم. وكان سيبويه أول من عبر عن هذه الأفكار في كتابه، لأنه صنع الكتاب على عين الخليل، فكان لابد من أن تَتَّسِق أفكاره مع أفكار شيخه.

أسَّس سيبويه كتابه على طريقة أثّرت فيمن جاء بعده من الدارسين، وأرست قواعد منهجية في دراسة اللغة والكلام، قام منهج سيبويه على التمييز بين مصطلحين هما (العربية) و(الكلام)، وأورد في مفتتح كتابه – وهو رسالة الكتاب – مجموعة من المقاييس العامة وضعها لما سمّاه العربية، وكأنه كان بذلك يضع معايير عامة للغة العربية من أجل أن ينظر بعد ذلك في تحقُّق هذه المعايير في الصيغة الكلامية التي يستعملها المتكلمون، فيستنبط قواعد كلامهم وعدولهم عن هذه القواعد على هَدْي من المقاييس الكلية للغة العربية التي ابتدأ بها كتابه. وقد قام منهجه في دراسة العربية على مجموعة من القواعد الكلية تعطي صورة لنظام اللغة كما قرره الخليل وسيبويه معًا، ويقوم هذا النظام على وضع قواعد اللغة على أنها مفردات تنتظم في تركيب يؤدي معنى، وهذه القواعد اشتملت على كليات

بناء المفردة وأنواعها، وكليات بناء التركيب اللغوي، وكليات الأصوات اللغوية، ويمكن أن نحمل هذه الكليات فيما يأتي:

نظام اللغة:

– الكلمة أصغر جزء له معنى في التركيب:

بدأ سيبويه دراسة مقاييس العربية بتصنيف الكلمات في اللغة العربية في باب سماه (هذا باب علم ما الكلم من العربية)[١]، حيث ذكر أقسام الكلم في العربية فقال: (فالكلم: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولافعل)[٢]، ثم بدأ بشرح هذه الفكرة بالأمثلة الموضحة، فقال: (فالاسم: رجل، وفرس، وحائط. وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع.فأمّا بناء ما مضى فذهب وسَمِعَ ومَكَثَ وحُمِدَ. أما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرًا: اذهب واقْتُلْ واضْرِبْ، ومُخبرًا: يَقْتُلُ ويَذْهَبُ، ويَضْرِبُ. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت)[٣]. وشرح بعد ذلك مفهوم (أحداث الأسماء) فقال:(والأحداث نحو الضَّرب والحمد والقتل)[٤]. ثم انتقل إلى الحرف فقال فيه:(وأما ما جاء لمعنىً وليس باسم ولا فعل فنحو: ثم،

(1) الكتاب ج١ – ص: ١٢ شرح السيرافي كلام سيبويه بقوله: (وقوله: ما الكلم، لم يقل الكلام لأنه الكثير. والكلم: جمع كلمة. ولم يقل الكلمات لأن الكلم أخف، ولأن الكلم اسم الذات والكلام المصدر. وأدخل (من) لوجهين: أحدهما تبيين الجنس. والثاني أنه قصد إلى الاسم والفعل والحرف وليس هوكل العربية، ولذلك قال: هذا باب، ولم يقل: هذا كتاب) انظر كتاب سيبويه، ط عبد السلام هارون، ج: ١، ص: ١٢، ح: ١.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) المرجع السابق نفسه.

(4) المرجع السابق نفسه.

وسوف،وواو القسم، ولام الإضافة، ونحوها)[١].

وضع سيبويه في هذا المفتتح من كتابه بداية التفكير التحليلي للغة، وقد بدأ بتحليل التركيب إلى عناصره الأوّليّة، وأصل هذه العناصر الكلمات المفردة، فدرسها من حيث دلالاتها، وصلة بعضها ببعض، وقد اختار في هذا التقسيم أن يضع ما له صلة بتركيب الكلام، فجعل القسمة تقوم على الاسم والفعل والحرف، وقد علل الزجاجي هذه القسمة، وربطها بموضوع الكلام الذي جعله الله تعالى ليُعَبّر به العِبادُ عمّا هجس في نفوسهم، وخاطب به بعضُهم بعضًا بما في ضمائرهم، (فإذا كان هذا معقولاً ظاهرًا غير مدفوع فيبين أن المخاطَبَ والمخاطِبَ والمخَبَّر عنه والمخَبَّرَ به أجسام وأعراض تنوب في العبارة عنها أسماؤها؛ أو ما يعتوره معنى يدخله تحت هذا القسم من أمر أو نهي أو ما أشبه ذلك ممّا تختصّ به الأسماء، لأن الأمر والنّهي إنما يقعان على الاسم النائب عن المسمّى؛ فالخبر إذًا هو غير المخْبَر والمخبَر عنه، وهما داخلان تحت قسم الاسم؛ والخبر هو الفعل وما اشْتُقَّ منه أو تضمّن معناه، وهو الحديث الذي ذكرناه ولا بد من رباط بينهما، وهو الحرف؛ ولن يوجد إلى معنى رابع سبيل فيكون للكلام قسم رابع)[٢].

كان سيبويه واعيًا وهو يضع أقسام الكلم أن التركيب اللغوي لابد له من أن يصاغ من هذه الكلمات، فلا يستطيع متكلم اللغة أن يعبر خارج هذه القسمة، ولهذا فإنّ المبرد صاغ عبارة سيبويه على نحو مغاير فاستخدم الكلام بدلاً من الكلم، وعنى بذلك أن متكلم اللغة لابد من أن يصوغ كلامه على صورة تراكيب لا تخلو من هذه الأنواع الثلاثة، فقال: (فالكلام كله: اسم وفعل

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) الإيضاح في علل النحو، ص: ٤٢.

وحرف جاء لمعنى، لا يخلو الكلام عربيًا كان أو أعجميًا من هذه الثلاثة)[١]. أما ابن السّراج (– ٣١٦هـ(فقد عبر عن هذه المسألة بوضوح حين قال: (الكلام يأتلف من ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف)[٢]. وتابع ابن فارس (– ٣٩٥ هـ(، على الطريق ذاته فقال: (أجمع أهل العلم أن الكلام ثلاثة: اسم وفعل وحرف)[٣].

وقد اكتسبت الكلمة أهمية عند النحاة المتأخرين، وذلك أنهم وجدوا سيبويه يضعها في مفتتح كلامه على التركيب النحوي، ومن هؤلاء النحاة الزمخشري (– ٥٣٨هـ(، في المفصل في النحو، وابن يعيش (– ٦٤٢هـ(في شرح المفصل، فقد عرّف الزمخشري في مفتتح كتابه الكلمة فقال (الكلمة هي اللفظة الدّالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع: الاسم والفعل والحرف). وهذا التعريف لا يعدو أن يكون إيضاحًا وتحديدًا لما جاء به سيبويه الذي وصف الكلمة وأنواعها، ومثّل لها، أما ابن يعيش فأخذ كلام الزمخشري وفصّل فيه كثيرًا[٤].

أما بناء الكلمة المفردة فلم يدرسه سيبويه في رسالة الكتاب، بل أرجأه إلى مكان لاحق لأنه لم يشأ أن يبحث فيما له صلة بالعناصر الأخرى للكلمة المفردة، كالجانب الصرفي أو الصوتي في هذا المقام؛ فقد كان على وعي من أن ذلك ليس مكانه، فهو يبحث في التركيب اللغوي الذي يقوم على نسق لغوي من الكلمات المفردة الدّالة، وهذا النسق اللغوي يقوم عليه الكلام كما أخبرنا

(1) المقتضب للمبرد، ج١، ص: ٣.

(2) الأصول لابن السراج، مرجع سابق، ج١، ص: ٣٦.

(3)الصاحبي، ابن فارس، ج١ ص: ٨٩، وقارن هذا الكلام بما ورد في العسكريات للفارسي، ص: ٢٣ وما بعدها.

(4) شرح المفصّل، ابن يعيش، ج١، ص: ١٨، وما بعدها.

بذلك الزّجاجي، فكل كلام يتواصل به الناس أو يعبرون به عن هواجسهم لا بد له من أن يتألف من عناصره الأساسية، وهي الاسم والفعل والحرف، أما بناء هذه العناصر، وأنواعها، فمسائل يتفرع إليها هذا الأصل، ولذلك فإن سيبويه أرجأ دراستها إلى مكان يلي الرسالة، فدرس بناء الكلمة المفردة، ووضع لها قواعدها الكلية الناظمة لها، جامعًا الأشباه إلى أشباهها والنظائر بعضها إلى بعض، من ذلك ما جا ء في باب (هذا بناء الأفعال التي هي أعمال تَعَدَّاك إلى غيرك وتوقعها به ومصادرها)، حيث ذكر أبنية الأفعال من الثلاثي المتعدي، ولاحظ أن الأفعال (تكون من هذا على ثلاثة أبنية: على فَعَلَ يَفْعُلُ، وفَعَلَ يَفْعِلُ، وفَعِلَ يَفْعَلُ، ويكون المصدر فَعْلاً، والاسم فاعِلاً)[1].

وفي هذا الباب حاول سيبويه أن يجمع الجزئيات بعضها إلى بعض من أجل الخروج بالقواعد الكلية، التي تنتظم داخلها هذه الجزئيات، معتمدًا على فكرة القياس من أجل القاعدة الكلية، وهكذا فإنه بعد أن قرّر أبنية الفعل الثلاثي المتعدي، وأتى بالأمثلة الدالة عليها، انتقل إلى القول: إن بعض ما ذكره من هذه الأبنية جاء على فُعول، مَثُلها في ذلك مثَل الأفعال اللازمة. (وذلك لَزِمَهُ يَلْزَمُهُ لُزومًا، ونَهِكَهُ يَنْهَكُهُ نُهوكًا، ووردتُ وُرودًا، وجَحَدْتُهُ جُحودًا، شَبَّهوه بِجَلَسَ جُلوسًا، وقَعَدَ يَقْعُدُ قُعُودًا، ورَكَنَ يَرْكُنُ رُكُونًا، لأنَّ بناء الفعل واحد)[2]. وكما جاءت المصادر التي ذكرها على فُعول، فإن بعضها جاء على غير هذه الصيغة[3]. وكان يعرض في هذا المقام مشكلة المصادر الثلاثية، وأنها لا تأتي على القياس غالبًا (وقالوا الفَعلَةُ نحوالرَّحمةُ واللّقية. ونظيرها خِلْتُهُ خَيْلَةً. وقالوا

(1) كتاب سيبويه، ٤/ ٥.

(2) المرجع السابق نفسه، ٤/ ٥ –٦.

(3) المرجع السابق نفسه ٤/ ٦و ٧ و ٨.

نَصَحَ نَصاحةً، وقالوا: غَلَبَه غَلَبَةً كما قالوا: نَهَمةٌ، وقالوا: الغَلَبُ كما قالوا: السَّرَقُ. وقالوا: ضَرَبَها الفحل ضِرابًا كالنِّكاح، والقياس، ضرْبًا، ولايقولونه كما لا يقولون نكْحًا وهو القياس)[١]. وإن كانت أحيانًا تراعيه (وقد جاء بعض مصادر ما ذكرنا على فِعْلانٍ، وذلك نحو: حرَمَهُ يَحْرِمُهُ حِرْمانًا، ووجَدَ الشيء يَجِدُهُ وِجْدانًا. ومثله أَتَيْتُهُ آتيهِ إِتْيانًا، وقد قالوا: أَتِيًّا على القياس)[٢]. وقد حاول سيبويه أن يجمع جزئيات هذا الموضوع في كليات بسبب انشعابه وعدم اتساقه في قواعد مستقرّة، ووجد أن الجامع الذي يمكن أن يؤلِّف بين هذه المتباعدات هو المعنى فاعتمده طريقة لصياغة كليات المصادر الثلاثية، وغيرها في بعض الأحيان. مثل (السُّكات)، قاسه على (العُطاس)، لأنه داء، (فهذه الأشياء لا تكون حتى تُريدَ الدّاء، جُعِلَ كالنُّحاز والسُّهام، وهما داءان، وأشباههما)[٣]. وكذلك قاس الأشباه بعضها على بعض في مثل هذا المقام، فقاس (الوِكالةَ) و(الوِصايَةَ) و(الجِرايَةَ)، ونحوهنَّ على(الوِلايَة)، (لأنَّ معناهنَّ القيام بالشيء)[٤]. ولاحظ أن العرب تأتي بما تقاربت معانيه على مثال واحد، نحو: (الفِرار والشِّراد والشِّماس والنِّفار والطِّماح، لأن هذا كلّه مباعَدَةٌ)[٥]. وتابع هذه المسألة في أبواب أخرى من كتابه، مثال ذلك (هذا باب ما جاء من الأدواء على مثال وَجِعَ يَوْجَعُ وَجَعًا وهو وَجِعَ، لتقارب المعاني، وذلك: حَبِطَ يَحْبَطُ حَبَطًا وهو حَبِطٌ، وحَبِجَ يَحْبَجُ حَبَجًا وهو حَبِجٌ)[٦]. وكذلك ما جاء في باب (هذا باب فَعْلان ومصدره

(1) المرجع السابق نفسه ٤/ ٨-٩.
(2) المرجع السابق نفسه ٤ / ٨.
(3) الكتاب ٤ / ١٠.
(4) المرجع السابق نفسه، ٤/ ١١.
(5) المرجع السابق نفسه، ٤/١٢.
(6) المرجع السابق نفسه، ٤/ ١٧.

وفعله، أما ما كان من الجوع والعطش فإنه أكثر ما يُبْنى في الأسماء على فَعْلان، ويكون المصدر الفَعَل، لا ويكون الفِعْل على فَعِل يَفْعَلُ. نحو: ظَمِئ يَظْمَأُ وهو ظَمْآنُ)[1]. وجرى على القاعدة ذاتها فذكر الأفعال الدالة على الألوان ومصادرها، فدرس أبنية هذه الأفعال من الثلاثي وغيره[2].

ومن بناء الكلمة المفردة ما له صلة بعدد أحرفها، فقد لاحظ سيبويه أن عدد أحرف الكلمات العربية يتفاوت وفقًا لطبيعة الكلمة ونوعها. نجد ذلك في باب (هذا باب عدة ما يكون عليه الكلم)، درس فيه الحرف والاسم والفعل من حيث عدد الأحرف وبدأ فيه بالكلمات التي تكون على حرف واحد، فذكر بعض الأدوات التي يؤتى بها قبل الكلمات، وتكون على صورة سابقةٍ تدخل على الكلمات كواو العطف التي يُجاء بها (لتضم الآخر إلى الأوّل)، والفاء، (وهي تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو، غير أنها تجعل ذلك متّسقًا بعضُه في إثر بعض) واو القسم، وكاف الجر ولام الإضافة، ثم انتقل إلى الاسم فلاحظ أنه لا يكون اسم مُظْهر على حرف واحد أبدًا، (لأنّ المظهر يُسْكَتُ عنده وليس قبله شيءٌ ولا يُلحَقُ به شيء، ولا يُوصَلُ إلى ذلك بحرف، ولم يكونوا ليُجْحِفوا بالاسم فيجعلوه بمنزلة ما ليس باسم ولا فِعْلٍ، وإنما يجيء لمعنى). كما لاحظ أنه لا يكون شيء من الفعل على حرف واحد، (ولا يكون شيء من الفعل على حرف واحد لأن منه ما يضارع الاسم، وهو يتَصَرَّف ويُبْنى أبنيةً، وهو الذي يلي الاسم، فلمّا قَرُبَ هذا القُرْبَ لم يُجْحَف به، إلا أن تُدْرك الفعل عِلَّةٌ مطّردة في كلامهم في موضع واحد فيصير على

(1) المرجع السابق نفسه، ٢١/٤.

(2) المرجع السابق نفسه، ٢٥/٤، وانظر في مثل هذا الاتجاه المرجع السابق نفسه، ٢٨/٤ وما بعدها.

حرف)[١].

وانتقل من بعد ذلك إلى ما يكون على حرفين من هذه الأنواع، ذلك أن (الذي يلي ما يكون على حرف ما يكون على حرفين، وقد تكون عليها الأسماء المظهرة المتَمَكِّنة والأفعال المتَصَرِّفة. وذلك قليل؛ لأنه إخلال عندهم بهنَّ، لأنه حذْفٌ من أقلِّ الحروف عددًا)[٢].

ثم درس ما يكون على ثلاثة أحرف، فقال: (وأما ما جاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كل شيء من الأسماء والأفعال وغيرهما، مزيدًا فيه وغير مزيد فيه، وذلك لأنه كأنه هو الأول فمن ثمَّ تَمَكَّنَ في الكلام)[٣].

وتابع بعد ذلك دراسته لما كان على أربعة أحرف، ثم بنات الخمسة؛ فالخمسة أقصى الغاية في الكثرة[٤]. ودرس سيبويه بناء الكلمة المفردة، وميَّز بين الحروف الأصلية والحروف الزائدة فيها، فدرس حروف الزوائد، في باب (هذا باب علم حروف الزوائد)، عدَّدها وذكر أماكن زيادتها في الكلمة[٥].

– الأصوات اللغوية أصغر جزء في بناء الكلمة:

تنبَّه الخليل إلى البناء الصوتي للكلمة، وميَّز بين المقطع الصوتي والصوت اللغوي والحرف، ونقل إلى تلاميذه هذه الأفكار بالتدريب العملي، فقد ورد في كتاب سيبويه في باب (هذا باب إرادة اللفظ بالحرف الواحد)، ما يشير إلى هذه المسائل، قال سيبويه: (قال الخليل يومًا وسأل أصحابه: كيف تقولون إذا أردتم أن تَلفظوا بالكاف التي في لَكَ والكاف التي في مالِكَ، والباء التي في

(1) كتاب سيبويه، ج٤، ص: ٢١٦، ٢١٩.
(2) المرجع السابق نفسه، ٤ / ٢١٩.
(3) المرجع السابق نفسه، ٤/ ٢٢٩–٢٣٠.
(4) المرجع السابق نفسه، والموضع ذاته.
(5) المرجع السابق نفسه ٤ / ٢٣٥ – ٢٣٧.

ضَرَبَ؟) ومن الواضح أن السؤال في هذا الموضع يتّصل بالمقطع الصوتي الذي يتألّف من الحرف الساكن والحركة. وقد التبس الأمر على التلاميذ لأنهم يخلطون بين الصوت والحركة والمقطع الصوتي واسم الحرف، ولذلك فإن ردّهم كان على النحو الآتي:(فقيل له: نقول باءْ كافْ)، لذلك صَحّح الخليل هذا الخلط حين ميَّز بين الصَّوت واسم الحرف، حيث قال: (إنَّما جئتم بالاسم ولم تَلْفظوا بالحرف. وقال: أقول: كَهْ وبَهْ). وحين سُئل عن السبب علل ذلك بقوله: (رأيتُهم قالوا: عِهْ فألحقوا هاءً حتى صَيَّروها يُسْتَطاعُ الكلام بها، لأنَّه لا يُلفظ بحَرف، فإن وصَلْتَ قلتَ كَ وبَ فاعلم يافتى، كما قالوا: عِ يا فتى. فهذه طريقة كلِّ حرفٍ كان متَحرّكًا، وقد يجوز أن يكون الألف هنا بمنزلة الهاء، لِقُربها منها وشبهها بها، فتقول: با وكا، كما تقول: أنا)[1]. فإذا كان هذا شأن المقطع الصوتي فإن الصوت اللغوي المفرد أو الساكن دُرِس بالطريقة ذاتها، وكان موضع اهتمام الخليل، فقد أورد سيبويه في كتابه أنه قال: (كيف تَلفظون بالحرف الساكن نحو ياء غُلامي وباء اِضْربْ ودالِ قَدْ؟ فأجابوا بنحوٍ ممّا أجابوا في المرَّة الأولى فقال: أقول إبْ وإِي وإِدْ، فأُلحقُ أَلِفًا موصولة. قال كذاك أراهم صنعوا بالساكن، ألا تراهم قالوا: ابن واِسْمٌ حيث أَسكنوا الباء والسين، وأنت لا تستطيع أن تَكَلَّم بساكن في أول اسمٌ كما لاتَصِلُ إلى اللفظ بهذه السَّواكن، فأَلحقْتَ أَلِفاَ حتَّى وصلتَ إلى اللفظ بها، فكذلك تُلحِقُ هذه الألفات حتى تَصِل إلى اللفظ بها كما أَلحَقتَ المسَكَّنَ الأوَّل في الاسم)[2].

وكما بيّن سيبويه في كتابه طريقة لفظ الصوت المفرد والصوت المتصل بالحركة (المقطع الصوتي)، فإنه درس مخارج الأصوات وذلك في باب (هذا باب الإدغام،

(1) المرجع السابق، ٣ / ٣٢٠.

(2) المرجع السابق نفسه، ٣/ ٣٢١، وانظر المقتضب: ١/ ٣٢.

هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها، واختلافها)[١]، وقد تحدّث في هذا الباب – كما أوضح – عن عدد حروف العربية وهو تسعة وعشرون حرفًا، وزيادة عددها إلى خمسة وثلاثين حرفًا أو اثنين وأربعين حرفًا بحروف هنّ فروع، وهي في الواقع تصرفات المتكلم بالأصوات اللغوية، كما تحدّث عن صفات هذه الحروف من حيث مخارجها، ومجهورها، ومهموسها، وشديدها، ورِخوها، ومنحرفها، ومُكَرَّرها إلى غير ذلك من الصفات التي نجدها في مواضعها في الكتاب[٢].

– الإعراب في اللغة:

تنتهي الكلمات العربية داخل التركيب بحركات أو سكون، أو تتعرّض نهاياتها للتغيير. ولما كانت هذه الظاهرة مما يميز العربية عن غيرها اهتم بها اللغويون القدماء اهتمامًا كبيرًا، وعدّوها واحدة من الكليات التي تقوم عليها العربية، وقد عرضها سيبويه في كتابه في باب (هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية)، ودرس هذه الظاهرة على أنها ظاهرة تتعلق باللغة لا بالكلام، ولذلك جعل الباب يشير إلى اللغة بقوله: (أواخر الكلم من العربية).

قسم سيبويه هذه المجاري ثمانية مجارٍ ليميّز ما بين المعرب والمبني، فقال عن هذه المجاري (وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النصب والجرّ والرَّفع والجزم، والفتح والضمِّ والكسر والوقف. وهذه المجاري الثمانيةُ يَجْمَعُهُنَّ في اللفظ أربعةُ أضرب: فالنَّصْبُ والفتح في اللفظ ضربٌ واحدٌ، والجرُّ والكسر في اللفظ ضربٌ واحد، وكذلك الرَّفع والضمُّ، والجزم والوقف). ثمّ علّل هذا التقسيم بقوله: (وإنَّما ذكرتُ لك ثمانية مجارٍ لأفْرُقَ بين ما يدخُله ضرْبٌ من هذه الأربعة لِما يُحْدِثُ فيه العامل

(1) المرجع السابق نفسه، ج٤، ص: ٤١٣.

(2) المرجع السابق نفسه، ٤ /٤٣١-٤٣٦.

– وليس شيْءٌ منها إلا وهو يزول عنه – وبين ما يُبْنى عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه لغيرِ شيءٍ أحدثَ ذلك فيه من العوامل، التي لكلِّ عامل منها ضرْبٌ من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب)[1].

يفيدنا هذا النص في استخلاص مجموعة من المسائل التي دار عليها عمل النحاة الذين أعقبوا سيبويه، وبحثوا في هذه الظاهرة التي تحدَّث عنها، فقد فرّق بين الإعراب والبناء: وذلك أن الإعراب – كما تصوّره – ظاهرة تدخل على الكلمة، يُحْدثها العامل، وهي ظاهرة عارضة، فقد ذكر أن المجاري التي يتحدث عنها تفرُق بين ما يدخله ضرب منها، أي إن هذه المجاري ليست أصيلة في الكلمة، بل إنها تدخل عليها من خارجها. وظهرت بذلك مسألة من مسائل فلسفة اللغة، عبّر عنها الزجاجي (– ٣٣٧هـ(حين ناقش مسألة العلاقة بين الحركة والكلام في باب (باب القول في الإعراب والكلام. أيهما أسبق؟)، فقرّر أن الكلام (سبيله أن يكون سابقًا للإعراب)، وعلّل ذلك بأننا (قد نرى الكلام في حال غير معرب، ولا يختلّ معناه، ونرى الإعراب يدخل عليه ويخرج، ومعناه في ذاته غير معدوم). ومثّل لذلك بأمثلة فقال: (مثال ذلك أن الاسم نحو زيد ومحمد وجعفر وما أشبه ذلك، معربًا كان أو غير معرب، لا يزول عنه معنى الاسمية. وكذلك الفعل المضارع نحو يقوم ويذهب ويركب، معربًا كان أو غير معرب، لا يسقط عنه معنى الفعلية. وإنما يدخل الإعراب لمعانٍ تعتور هذه الأشياء). ثم يخلص بعد ذلك إلى نتيجة مفادها (أن الإعراب عَرَضٌ داخل في الكلام لمعنى يوجده ويدلّ عليه، والكلام إذًا سابقه في المرتبة، والإعراب تابع من توابعه)[2].

(1) كتاب سيبويه، ج١، ص: ١٣ – ١٥.

(2) الإيضاح، ص: ٦٧.

وليس معنى السبق في المرتبة أن أحدهما وُجِد قبل الآخر، فقولنا: إن الكلام كان أولاً لا يعني (أن العرب كانت نطقت به زمانًا غير معرب ثم أدخلت عليه الإعراب)، بل (إنها هكذا نطقت به في أول وهلة، ولم تنطق به زمانًا غير معرب ثم أعربته)، وبذلك يمكن أن نقول: (إن الإعراب في الاستحقاق داخل على الكلام لما توجبه مرتبة كل واحدٍ منهما في المعقول، وإن كانا لم يوجدا مفترقين)[١].

وقد درس النحاة المتأخرون هذه الظاهرة، وأبانوا أن الإعراب – كما نُقل عن عبد القاهر الجرجاني (– ٤٧٢هـ(– اختلاف الآخر[٢]،فقال ابن الحاجب (– ٦٤٦هـ(كما ذكر الأستراباذي (– ٦٨٦هـ(:)الإعراب ما اختلف آخره) لأن الاختلاف أمر لا يتحقق ثبوته في الآخر حتى يسمى إعرابًا[٣]، وقد فسر الأستراباذي ذلك بقوله: (والحق أن معنى: يختلف الآخر أي: يتّصف بصفة لم يكن عليهاقبلُ؛ فإنّ (زيد) مثلاً في حال الإفراد لم يستحقَّ شيئًا من الحركات، فلما ضمت الدال بعد التركيب في حالة الرَّفع، فقد اختلف أي: انتقلت من حال السكون، إلى هذه الحركة المعيَّنة)[٤]. وبذلك نظروا إلى الكلمة مفردةً لم يدخلها شيء من الحركات؛ فهي ساكنة، ثم لاحظوا أنها تغيّرت في التركيب، وهذا التغيُّر سمَّوه الاختلاف، وقال عنه الأستراباذي: (إن معنى الاختلاف – كما ذكرنا – انتقال الآخر من السكون إلى الحركة)[٥].

(1) المرجع السابق نفسه، ص: ٦٧ – ٦٨.
(2) شرح الرضي على الكافية، ١/ ١٨.
(3) المرجع السابق نفسه.
(4) المرجع السابق نفسه، ج١، ص: ١٨–١٩.
(5) المرجع السابق نفسه، ١/ ١٩.

إن التوفيق بين ما أورده الزَّجاجي والأستراباذي لا يمكن أن يتمَّ ما لم ننظر إلى المسألة على أنها تصوُّرٌ، لا يقوم على واقع، ذلك أن الكلمة المفردة التي لم تدخل في التركيب ليس لها أن تُنْطَقَ محرَّكة الآخر لأنها كلمة وقعت خارج التأثير الذي يُحْدِثه العامل، مثَلُها في ذلك مثَلُ الصوت اللغوي كما قرَّر الخليل، فهذا الصوت إذا جرّدناه من الكلمة فإنه يُلفظُ ساكنًا، ويُتَوَصَّل إلى النطق به بهمزة الوصل أو الألف الممدودة أو الهاء الساكنة، فهو صوت مفْتَرَ ض في العقل لأنه لم يتَّصل بالحركات التي تجْعَلُ منه ما يُسمّى مقطعًا صوتيًا، فكما يمكن أن نسمّي هذا الصوت الأصل الخالص في أصوات الكلمة، كذلك يمكن أن نسمي الكلمة التي لم تدخل التركيب الكلمة الخالصة، (لأن الواضع لم يَضع الأسماء إلا لِتُستَعمل في الكلام مركَّبةً فاستعمالها مفردةً مخالفٌ لِنَظر الواضع)[1].

والواضح أن اللغويين العرب نظروا إلى الاسم على أنه الأول في النفس والرّتبة، ولذلك قاسوا الكلمات الأخرى كلها سواء أكانت أفعالاً أم حروفًا جاءت لمعنى عليه، وفي مسألة الإعراب نجد هذه الظاهرة واضحة، فحين تكون الكلمة اسمًا فإن لها طبيعة خاصة في الإعراب، تقاس إليها بقية الكلمات، والظاهر أن الاسم تجلَّت طبيعته الخاصة لأنه ألصق بالنفس وأكثر تمكُّنًا فيها من غيره، ومسألة التمكُّن كانت مسألةً مهمة تُبنى عليها كثير من قواعد اللغة.

ومن الكلام المهم الذي تعرض له سيبويه وهو في صدد وضع القوانين الكلية التي تنظم اللغة العربية ما ذكره عن أوليّة الكلمات في اللغة العربية وثقل بعض الكلمات وخفة الأخرى وفقًا لقانون الأولية، وكذلك تمكنها في النفس بسبب أوّليتها وعدم ثقلها، فقال: (واعلم أنَّ بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقلُ من الأسماء لأنَّ الأسماء هي الأولى، وهي أشدُّ تمكُّنًا، فمِن ثمَّ لم

(1) المرجع السابق نفسه، ٢٢/١.

يلْحقها تنوينٌ ولحِقها الجزم والسكون، وإنّما هي من الأسماء. ألا ترى أنَّ الفعل لا بدَّ له من الاسم وإلاّ لم يكن كلامًا، والاسم قد يستغني عن الفعل، تقول: الله إلهنا، وعبد الله أخونا)[١].

وتتضح صورة أوّلية الأسماء لتمكنها بمقابلتها بالأفعال، فالأفعال كما قال: أثقل من الأسماء وذلك لأن الأسماء هي الأولى، وكونها هي الأولى فهي أشد تمكنًا من الأفعال، وكذلك فإن (ما ضارع الفعل المضارع من الأسماء في الكلام ووافقه في البناء أُجري لفظه مُجرى ما يستثقلون ومنعوه ما يكون لما يستخفّون، وذلك نحو أبيض وأسود وأحمر وأصفر، فهذا بناء أذهبُ وأعلمُ، فيكون في موضع الجرِّ مفتوحًا، استثقلوه حين قارب في الكلام ووافق في البناء)[٢]. ذلك أنه ابتعد من الاسمية وصار أدخل في الفعلية.

وجعل سيبويه الخفة التي تنتج عن الأولية والتمكُّن درجات، فذكر أن النكرة أخف عليهم من المعرفة، وهي أشد تمكنًا؛ لأن النكرة أوّل، ثم يدخل عليها ما تُعَرّف به، ثم إن الواحد أشدّ تمكنًا من الجميع، لأن الواحد الأول،والمذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أوّل، وهو أشد تمكّنًا، وإنما يخرج التأنيث من التذكير[٣].

وقد فسَّر أبو علي الفارسي (– ٣٧٧ هـ(، كما حكى عنه ابن جني (– ٣٩٢هـ(كلام سيبويه، وجعَّل الأوّلية للتمكن في النفس لا للسبق الزمني، فقال: (اعلم أنّ أبا علي – رحمه الله – كان يذهب إلى أنّ هذه اللغة – أعني ما سبق منها ثمّ لحق به بعدها – إنّما وقع كلُّ صَدْر منها في زمان واحد، وإن كان تقدّم

(1) المرجع السابق ج١، ص: ٢٠– ٢١.
(2) المرجع السابق ج١، ص: ٢١.
(3) المرجع السابق ج١، ص: ٢٢.

شيء منها على صاحبه فليس بواجب أن يكون المتقدِّم على الفعل الاسم، ولا أن يكون المتقدِّم على الحرف الفعل؛ وإن كانت رتبة الاسم في النفسِ من حصَّة القوة والضَّعف أن يكون قبل الفعل؛ والفعل قبل الحرف.وإنما يعني القوم بقولهم: **إن الاسم أسبق من الفعل أنه أقوى في النفس، وأسبق في الاعتقاد من الفعل، لا في الزمان**. فأما الزمان فيجوز أن يكونوا عند التواضع قدّموا الاسم قبل الفعل. ويجوز أن يكونوا قدّموا الفعل في الوضع قبل الاسم، وكذلك الحرف. وذلك أنهم وزنوا حينئذٍ أحوالهم ومصائر أمورهم، فعلموا أنهم محتاجون إلى العبارات عن المعاني، وأنها لابدَّ لها من الأسماء والأفعال والحروف، فلا عليهم بأيِّها بدؤوا، أ بالاسم أم بالفعل أم بالحرف؛ لأنهم قد أوجبوا على أنفسهم أن يأتوا بهنّ جُمَعَ؛ والمعاني لا تستغني عن واحد منهن. هذا مذهب أبي علي وبه كان يأخذ ويفتي)[١].

ولهذا فإن ابن السّرّاج (– ٣١٦هـ(حدَّ الإعراب بقوله: (الإعراب الذي يلحَق الاسم المفرد السالم المتمكِّن)، ثم شرح معنى التمكُّن في الاسم بقوله: (وأعني بالتمكُّن ما لم يُشبه الحرف قبل التثنية والجمع الذي على حدِّ التثنية)[٢]. ويعني ذلك أن الاسم كان لديهم الأصلَ الذي يُبنى عليه الكلام، ومعيار تمَكُّن الكلمة في النفس مدى اقترابها من الاسم أو ابتعادها عنه، أو بُعدها عن الاسمية واقترابها منها. ولذلك فإن الكلمات تُعرب أو تُبنى وفق علاقتها بالاسم اقترابًا منه أو ابتعادًا عنه[٣]. وقد ذهب البصريون هذا المذهب، ويتضح ذلك من خلافهم

(1) الخصائص، ابن جني، مرجع سابق، ج٢، ص: ٣٠.

(2) الأصول، ابن السراج، ج١، ص: ٤٥.

(3) من المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين مسألة بناء الأفعال أوإعرابها، فقد ذهب البصريون إلى أن الإعراب أصل في الأسماء فرع في الأفعال؛ فإن الأصل في الفعل البناء،

مع الكوفيين في مسألة بناء فعل الأمر فقد قالوا: إنما قلنا: إنه مبنيٌّ على السكون؛ لأن الأصل في الأفعال أن تكون مبنية، والأصل في البناء أن يكون على السكون، وإنما أُعرب ما أُعرب من الأفعال أو بُني منها على الفتحة لمشابهةٍ مَّا بالأسماء)[١].

ويُفهم من كلام سيبويه حول هذه المسألة أنه يذهب هذا المذهب أيضًا، فهو حين تحدَّث عن حروف الإعراب قال: (وحروف الإعراب للأسماء المتَمَكِّنة، وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع: الهمزة، والتاء، والياء، والنون)[٢]. فجعل إعراب المضارع لمشابهته الاسم، أما البناء فقد جعله للأسماء غير المتمكنة التي تشبه الحرف، وللأفعال التي لم تجر مجرى المضارعة، وكذلك للحروف[٣].

ويتَّضح رأيه في أثناء تعليله لحركات البناء، فهو يقيس في هذا الموضع على الاسم وما يضارعه من الأفعال، فيجعل بناء الكلمة أو إعرابها تابعًا لمدى علاقتها بالاسم أو ما يضارعه، يقول في ذلك: (والفتح في الأفعال التي لم تَجْرِ مجرى المضارعة، قولهم: ضربَ، وكذلك كل بناء من الفعل كان معناه فَعَلَ. ولم يُسكِّنوا آخر فَعَلَ؛ لأن فيها بعض ما في المضارعة، تقول: هذا رجل ضَرَبَنا، فتصف بها النكرة، وتكون في موضع ضاربٍ إذا قلت: هذا رجل ضارب. وتقول إن فَعلَ فَعَلْتُ، فيكون في معنى إن يفعل أَفعَلْ، فهي فعل كما أن المضارع فِعْلٌ،

وذهب البصريون إلى أن الإعراب أصل في الأسماء وفي الأفعال. انظر شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، ج١/ ص: ٤٦.

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري، ج٢، ص٥٣٤.

(2) كتاب سيبويه، ج١ / ص: ١٣.

(3) المرجع السابق نفسه، ج١، ص: ١٥.

وقد وقعت موقعها في إنْ، ووقعت موقع الأسماء في الوصف، فلم يُسَكِّنوها كما لم يُسكنوا من الأسماء ماضارع المتمكِّن، ولا ما صُيِّر من المتمكن في موضع بمنزلة غير المتمكن)[١].

وأوضح ابن جنّي هذه المسألة، في كتابه (الخصائص)، وهو في صدد الحديث عن أصل اللغة بين التوقيف والاصطلاح، وأجاب عن تساؤل بعض الدارسين حول ما ورد في الآية الكريمة ﴿وعلَّم آدمَ الأسماءَ كلّها﴾[٢] حيث ذكر أنه قد يقال: (فاللغة فيها أسماء، وأفعال، وحروف؛ وليس يجوز أن يكون المعَلَّمُ من ذلك الأسماء دون غيرها؛ مما ليس بأسماء، فكيف خصَّ الأسماء وحدها؟ قيل: اعتمد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى القُبُلِ الثلاثة، ولابدَّ لكل كلام مفيد من الاسم، وقد تستغني الجملة المستقلة عن كل واحد من الحرف والفعل، فلما كانت الأسماء من القوّة والأوّليّة في النفس والرُّتبة، على ما لاخفاء به جاز أن يُكتفى بها مما هو تالٍ لها، ومحمول في الحاجة إليه عليها)[٣].

وكانت للاسم هذه الميزةُ؛ لأنه يدلُّ حسب رأي أبي الحسن الأخفش (– ٢١٥هـ(على الشيء بعينه أما الأفعال فهي أدلة، (وليست الأدلة بالشيء الذي يدلُّ عليه، وأما زيدٌ وعمروٌ وأشباه ذلك فهو الشيء بعينه)[٤].

يبيّن ما أوردناه أن موضوع مستويات اللغة كان واضحًا في ذهن سيبويه وضوحًا تامًّا إلا أنه كانت له طريقته في عرض هذه المستويات. وقد أفاد من طريقة سيبويه في النظر إلى اللغة وفق هذه المستويات دارسون آخرون منهم أبو

(1) المرجع السابق، ج١ / ص: ١٦.
(2) سورة البقرة الآية: ٣١.
(3) الخصائص، ج١ ص: ٤١-٤٢.
(4) كتاب سيبويه، ج١، ص: ١٥، ح: ٤.

نصر الفارابي (– ٣٣٩هـ(في كتابه إحصاء العلوم[١]، وكذلك بعض اللغويين المتأخرين، فأقاموا دراساتهم على مستويات اللغة بدْءًا بالصوت وانتهاء بالدلالة. نجد ذلك عند السكاكي (– ٦٢٦هـ(، صاحب مفتاح العلوم، الذي أقام دراسة اللغة على تقسيم علومها أقسامًا هي:

– القسم الأول: في علم الصرف: درس في أصوات اللغة ومخارجها.

– القسم الثاني: في علم النحو: درس فيه التركيب اللغوي.

– القسم الثالث: في علمي المعاني والبيان: درس فيه دلالة التركيب، والصورة الفنية.

وكان ذلك وعيًا منه أن اللغة تُدرس وفق مستوياتها المتدرّجة، وهي المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي[٢].

الإسناد في اللغة:

وضع سيبويه في رسالة كتابه نظام الإسناد في اللغة العربية وعدَّه من الضروريات التي لا يستغني عنها المتكلم حين يُنشِئ كلامه، كما بَيَّنَ أنَّ المسند والمسند إليه هما العنصران اللذان لا يَنْفَكُّ أحدهما عن الآخر، فهما اللذان بهما يقوم أي كلام. قال سيبويه: (هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لايَغنى واحدٌ منهما عن الآخَر، ولا يَجِدُ المتَكَلِّمُ منه بُدًّا).

وقسم بعد ذلك أنواع الإسناد نوعين، ويُفهم من هذه القِسمَةِ أن سيبويه يريد أن يضع قاعدتين في آن معًا الأولى منهما: قاعدة التركيب العربي الذي لا يتحصَّل إلا بوجود عنصري الإسناد فيه، والثانية: قاعدة أنواع الجملة العربية، وهي التي تُقسم نوعين: الجملة الاسميّة، والجملة الفعلية، وجاءت هذه القِسمة في

(1) إحصاء العلوم، أبو نصر الفارابي، ص: ٥–٨.

(2) انظر مفتاح العلوم للسكاكي، ص: ٣٩.

الأمثلة التي بيَّنَ بها سيبويه مراده، حيث قال: (فمن ذلك الاسمُ المبْتَدأُ والمبنيُّ عليه وهو قولك: عبدُ الله أَخوكَ، وهذا أخوك. ومثلُ ذلكَ: يَذْهبُ عبدُ اللهِ، فلا بدَّ للفعلِ من الاسم كما لم يَكُنْ للاسم الأوَّلِ بُدٌّ من الآخِرِ في الابتداءِ). ثم انتقل بعد ذلك إلى ما يُلحَق بالجملتين الفعلية والاسمية، فذكر ما يكون بمنزلة الابتداء مما دخل عليه واحد من النواسخ، سواء أكان فعلاً ناسخًا أم حرفًا، فقال: (ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبدُ الله منطلقًا، ولَيْتَ زَيدًا مُنْطلقٌ؛ لأنَّ هذا يحتاجُ إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى ما بعده)[1].

جعل سيبويه الاسم المتمكن أصلاً في صياغة التركيب، فهو بعد أن قرر أنواع الجملة، وقسمها قسمين عاد إلى الاسم ليجعله أصل التركيب اللغوي، فكأنه يرى الجملة الاسمية أساسًا لتركيب الجمل، ذلك أن الاسم حين يُلفظ به فإنه يكون مبتدأ، والمبتدأ خالٍ من العوامل اللفظية، إذ يُقال في تعريفه: (المبتدأ ما جرَّدته من عوامل الأسماء، ومن الأفعال والحروف، وكان القصد فيه أن تجعله أولاً لثانٍ مبتدأ به دون الفعل، يكون ثانيه خبره ولا يستغني واحد منهما عن صاحبه. وهو معَرَّضٌ لِما يعمل في الأسماء)[2].

ولذلك خصَّ الجملة الاسمية بكلام خاص، فقال: (واعلم أن الاسم أولُ أحواله الابتداء، وإنما يَدخُلُ الناصب والرافع سوى الابتداء والجارُّ على المبتدأ. ألا ترى أن ما كان مبتدًا قد تَدخل عليه هذه الأشياء حتى يكون غير مبتدأ، ولا تصل إلى الابتداء ما دام مع ما ذكرت لك إلا أن تدعه. وذلك أنّك إذا قلت: عبد الله منطلقٌ إن شئت أدخلت رأيتُ عليه، فقلت: رأيتُ عبدَ الله

(1) كتاب سيبويه، ١ / ٢٣.

(2) الأصول لابن السراج، ج١، ص:٥٨.

منطلقًا، أو قلت: كان عبد الله منطلقًا، أو مررتُ بعبد الله منطلقًا، فالمبتدأ أول جزء كما كان الواحد أول العدد، والنكرة قبل المعرفة)[١].

يدلُّ كلام سيبويه على أنه يجعل المبتدأ أول أحوال الاسم، ثم تدخل العوامل على هذا الاسم فتُغيِّر فيه، وكأن الجملة الاسمية أول الجمل، فكما أن الصوت أساس الكلمة التي هي أساس تكوين الجملة، فكذلك نفهم من الكلام أن الجملة الاسمية أساس التركيب اللغوي، ويمكن القول: إن لدينا ما نسميه الصوت الخالص، والكلمة الخالصة، والجملة الخالصة.

تُؤَكِّدُ أبواب الكتاب هذا التَّوجُّه لدى سيبويه، فقد اعتمد في صنع أبواب الكتاب على الاسم الذي يُعَدُّ الأول بين الكلمات، ولأنه أشدُّ تمكُّنًا من غيره في النفس فإن الكلام كله يُبنى عليه. ولذلك وردت في الكتاب الأبواب الآتية:

- باب الفاعل
- هذا باب الفاعل الذي لم يَتَعَدَّه فعله إلى مفعول[٢]
- هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول[٣]

وبعد أن ينتهي من أبواب الفاعل ينتقل إلى أبواب المفعول:

هذا باب المفعول الذي يتعداه فعله إلى مفعولين، وليس لك أن تقتصر على أحدهما دون الآخر[٤].

(1) كتاب سيبويه، ١/ ٢٣-٢٤.

(2) المرجع نفسه، البابان في ج١، ص: ٣٣.

(3) المرجع السابق نفسه،١ / ٣٤، وبقية أبواب الفاعل في الصفحات التالية٣٧ /٣٩ /٤١.

(4) المرجع السابق نفسه، ج١/ ٤٣، وبقية الأبواب الخاصة بالمفعول في الصفحات: ٤٤ /٤٥.

ثم ينتقل إلى أبواب أخرى لها صلة بالاسم الذي هو عمدة التركيب، وتدلُّ الأبواب كلها على اعتماد الاسم الذي هو في الأصل مبتدأ أصلاً يبنى عليه الكلام، فيكوّن به الجملة، ثم يُدخل عليه العوامل من فعل أو نواسخ أو غير ذلك.

– قواعد الكلام العربي:

لقد كانت هذه المعايير التي قام عليها التركيب العربي الأصل الذي اعتمده اللغويون العرب في تحليل الكلام العربي واستنباط قواعده، فهم بعد أن ثبَّتوا قواعد ما سمَّوه (العربي) اتجهوا إلى رصد ظواهر الكلام العربي، ودخلوا في مسائل الأبواب التي صاغوها على صورة كليات تشتمل على الجزئيات التي يُسمح للمتكلم أن يتخذها طريقًا للتعبير يتميز به عن غيره من مستعملي اللغة.

كانت أول ظواهر القواعد العامة للكلام العربي أن للألفاظ العربية سمات خاصة تتجلى في كلام العربي، ويفترق أحدهما عن الآخر في كلامه وفق طريقة تعبيره عن المعاني بالألفاظ ذات الصفات الخاصة، وهذه المفردات بصفاتها يُبنى عليها التركيب اللغوي ولا تَعني الخروج عن قواعد اللغة لكنها جزء من طبيعة العربية، فالعربية تدلّ فيها كلّ لفظة على معنى من المعاني، ولذلك تَختلفُ الألفاظ باختلاف المعاني، وقد تأتي في اللغة كلمات مترادفة، يستعمل بعضها أحدهم، ويستعمل آخر غيرها للتعبير عن المعنى، وقد تَتَّفق اللفظتان في المبنى وتختلفان في المعنى، واستعمال هذه الألفاظ وفق تغيُّر معانيها جزء من باب استعمال اللفظ للتعبير عن المعاني. وقد أوضح سيبويه صفات المفردات العربية وبيَّنَ علاقتها بالمعاني حيث قال في باب(هذا باب اللفظ للمعاني): (اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلافَ اللفظينِ والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، وسترى ذلك إن شاء الله تعالى. فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلسَ وذهبَ. واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو:

ذهب وانطلقَ. واتّفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وَجَدْتُ عليه من المَوْجِدَةِ، ووَجَدْتُ إذا أردتَ وِجْدانَ الضَّالةِ. وأشباه هذا كثير)[1].

أما الأمرُ الثاني الذي أشار إليه سيبويه مما له صلة بالكلام فهو ما ورد في باب (هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض)، فذكر ما ينشأ في كلام العربي من ظواهرَ جاءت على خلاف الأصل، فالعرب قد يتصرَّفون في كلامهم مخالفين في ذلك الأصل الذي درجوا على اتباعه، ويمكن للدارس أن يجمع هذه التصرفات في قواعد كليه تضمُّها، وقد نصَّ سيبويه في هذا الباب على مجموعة من هذه القواعد، وهي أن العرب:

ممّا يَحذفون الكلم، وإن كان أصْلُهُ في الكلام غير ذلك.(مثل: لم يَكُ ولا أَدْرِ)

يَحذفون، ويُعَوِّضون. (مثل: زَنادِقَةٌ، وزَناديقُ، وفَرازِنَةٌ وفَرازينُ)

يستغنون بالشيء عن الشيء الذي أَصله في كلامهم أن يُستَعمَلَ حتى يصير ساقطًا. (مثل: يَدعُ، فإنَّهم يقولونَ يَدَعُ ولا يقولون وَدعَ)[2].

وأشار سيبويه في باب آخر إلى مسألة تتصل بصياغة الكلام للتعبير عن المعنى، فذكر أن الكلام يتصف بصفات مختلفة وفق استقامة قواعده اللغوية، وتعبيره الصحيح عن المعنى، وهو باب قصد منه سيبويه تأكيد فكرة قدرة المتكلم على صياغة التعابير المقبولة نحويًا ودلاليًا، وكذلك قدرته على الخروج على معيار الصِّحة اللغوية والمعنوية فذكر أن من الكلام المستقيم الحسن مثل أَتَيْتُكَ أمسِ، وسآتيكَ غَدًا. ومنه المحالُ، وهو أن تَنقض كلامك بآخِرِه فتقول:أتيتُك غَدًا وسآتيكَ أَمسِ، ومنه المستقيم الكَذِب، مثل: حملت الجَبَلَ،

(1) المرجع السابق نفسه، ١ / ٢٤.

(2) المرجع السابق نفسه، ١ / ٢٤ – ٢٥.

وشَرِبتُ ماء البحر، ومنه المستقيم القبيح وهو أن تضع اللفظ في غير موضعه، مثل: قد زيدًا رأيت. ومنه المحال الكَذِب كأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أَمسِ[١].

وقد أفرد سيبويه بابًا خاصًّا لتصرف الشعراء في الكلام وبيَّن التجوُّزات التي يُسمح لهم بالقيام بها بسبب أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من أمور عدَّدها، والشعر وإن كان كلامًا لكنه كلام خاص ولذلك فإن الشاعر يستطيع أن يتصرف في قواعد الكلام أكثر من غيره. وقد سمى الباب الذي درس فيه هذه المسائل (هذا باب ما يحتمل الشعر)، ذكر فيه مسائل صرف ما لا ينصرف، ومدّ وزن مفاعل، ليصبح على مفاعيل مثل: مساجد تصبح مساجيد، وغير ذلك من التجوُّزات الخاصة بالشعر[٢].

كانت عناوين أبواب الكتاب طريقةً من الطرق التي لجأ إليها سيبويه من أجل وضع قواعد كلية للكلام، فقد صاغ هذه العناوين بطريقة تُلَخِّص أهم صفات التركيب العربي الذي يتحدَّث عنه، وبذلك فإنه قسم التراكيب العربية أنواعًا، وجعل كما مرّ معنا معيار النظر إلى التركيب عدّة أمور هي: أن الصيغة تقوم على الإسناد، وهذه الصيغة تحتمل أن تكون جملة اسمية أو فعلية، وأن مبنى الجملة على الاسم الذي أولُ أحواله الابتداء، ولاريب أن الصيغة اللغوية لابد من أن تُبنى على الكلمات التي تدخل التركيب فيلحقها الإعراب. وهذه المسائل كلها تُلَخِّص قواعد اللغة التي يقوم عليها الكلام في حين تُلَخِص عناوين الأبواب قواعد الكلام التي استُقرئت من كلام العرب.

(1) المرجع السابق نفسه، ١ / ٢٥ – ٢٦.

(2) المرجع السابق نفسه، ١ / ٢٥ – ٢٦ وما بعدها.

إن تَأَمُّلَ أبواب الكتاب واحدًا بعد آخر يوصلنا إلى هذه الفكرة، وحينها نُدرك أن سيبويه اصطنع منهجه القائم على وصف الجملة العربية بأنواعها المختلفة، وفق طريقته الخاصة، ومن هذه الأبواب التي نتَحَدَّثُ عنها: (باب الفاعل/ هذا باب الفاعل الذي لم يتَعَدَّه فِعْلُه إلى مفعول/ هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول/ هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحد المفعولين دون الآخر). لقد جعل سيبويه الاسم مبتدأ الجملة وأضاف إليه العوامل، سواء أكانت فعلاً أم غيره، لقد كان همُّه أن يصف التركيب العربي، وفق منهج علمي موضوعي.

نظر تابعو سيبويه إلى منهجه هذا وجزّؤوه بطرائقهم الخاصة، ولكنهم لم يبرحوا ساحته، فهذا ابن السراج يبتدئ كتابه من حيث وصل سيبويه إلى موضوع الكلام، فيتحدث عن بنية الكلام وممَّ يتألف، ثم يشرح عناصره واحدًا واحدًا لينتقل إلى الإعراب والبناء، والعوامل، ثم يصل إلى الأسماء المرتفعة فيبتدئ بذكر المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل، إن هذا المنهج الذي اتَّبعه ابن السراج لا يعدو أن يكون منهج سيبويه وقد أُعيد ترتيبه[1].

أما الطريقة الثانية التي اتَّبعها سيبويه فكانت القواعد التي جمع بها أصول اللغة والكلام العربيين، وقد تكررت هذه القواعد في الكتاب، وجمعت تحتها كثيرًا من جزئيات قواعد اللغة والكلام، ويمكن تقسيمها قسمين؛ قواعد اللغة، وقواعد الكلام، فمن قواعد الكلام:

-كأنهم إنما يُقدِّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أَعْنى، وإن كانا جميعًا يُهِمَّانِهم ويَعْنِيانِهم[2].

(1) الأصول، ابن السراج، ج١ / ص:٣٦، وما بعدها.
(2) المرجع السابق نفسه، ١/ ٣٤.

– العرب يستخِفُّون فَيَحْذفون التنوين والنون، ولا يَتَغَيَّرُ من المعنى شيء[١].

فإذا ما تناولت هذه القواعد الكلية اللغة لا الكلام كانت أَعمَّ ومُلزمة للمتكلمين، ومن هذه القواعد: (لا يجوز أن تُضْمِرَ فعلاً لا يَصلُ إلا بِحَرْفِ جَرٍّ، لأنَّ حرف الجرِّ لا يُضْمَرُ)[٢]، ومنها: (ليس في العربية شيء يَعْمَلُ في حرفٍ فَيَمْتَنِعَ أن يُشْرَكَ بينه وبين مثله) مثال ذلك: هذا ضارِبُ زَيْدٍ وعَمْرٍو إذا أَشْرَكْتَ بين الآخِرِ والأوَّلِ في الجارِّ[٣].

عَلَّلَ سيبويه أسباب تصَرُّف المتكلِّم بقواعد الكلام، وأرجع ذلك إلى عدَّة أسباب، منها:

– الاتساع والاختصار: والاختصار هو ما يُطلق عليه المعاصرون: الاقتصاد اللغوي، قال في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذينَ كَفَروا كَمَثَلِ الَّذي يَنْعِقُ بِما لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِداءً ﴾[٤]، (إنما يريدُ: أهلَ القريةِ، فاختصَرَ، وعَمِلَ الفِعْلُ في القرية كما كان عامِلاً في الأَهْلِ لو كان هاهنا)[٥].

– الاستخفاف: من ذلك استخفافُهم حذف التنوين والنون من غير أن يتغيَّر المعنى، من ذلك قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ﴾[٦]، فقد حذف التنوين مُسْتَخِفًّا من غير أن يتغيَّر شيء من المعنى[٧].

– التشبيه: فقد ذكر أن العرب يكثر في كلامهم تشبيه الشيء بالشيء، وإن

(1) المرجع السابق نفسه، ١ / ١٦٥ – ١٦٦.
(2) المرجع السابق نفسه، ١ / ٩٤.
(3) المرجع السابق نفسه، ١ / ١٦٩.
(4) سورة البقرة الآية: ١٧١.
(5) كتاب سيبويه، ١ / ٢١٢.
(6) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.
(7) نفسه، ١ / ١٦٥ – ١٦٦.

لم يكن مثله في جميع أحواله، فقال: (وقد يُشَبِّهون الشيء بالشيء وليس مثله في جميع أحواله، وسترى ذلك في كلامهم كثيرًا. وقال المرَّار الأسدي:

أَنا ابْنُ التَّارِكِ البَكْرِيِّ بِشْرٍ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَرْقُبُهُ وُقُوعًا

سمعناه مِمَّن يَرويه عن العرب، وأَجْرى بِشْرًا على مجرى المجرورِ، لأنه جعله بمنزلة ما يُكَفُّ منه التنوين)[1].وقال ابن يعيش في المفصل: (فإن الشاهد فيه أنه أضاف (التارك) إلى (البكريِّ) على حدِّ (الضَّارِب الرَّجلِ) تشبيهًا بالحسن الوجه وخفض بشرًا عطف بيان على البكري وأجراه عليه جري الصِّفة على الموصوف. هذا مذهب سيبويه ولوكان بدلاً لم يجز: التَّارك بشرٍ؛ لأن حكم البدل أن يُقَدَّر في موضع الأول)[2].

– طول الكلام: ذكر ذلك في أثناء تحليل قول عمرو بن امرئ القيس الخزرجي:

الحافِظو عَوْرَةَ العَشيرةِ لا يَأْتيهِم من وَرائِنا نَطَفُ

فقال: (لم يَحذِف النون للإضافة، ولا ليُعاقبَ الاسم المنَوَّنَ، ولكن حذفوها كما حذفوها من اللَّذَينِ والَّذين حيث طال الكلام وكان الاسم الأوّل منتهاه الاسم الآخر)[3].

– إرادة المتكلم: (ومن ذلك قولُ العربِ: مِنْ لَدُ شَوْلاً فَإلى إِتْلائِها

نَصَبَ لأنه أراد زمانًا. والشَوْلُ لا يكون زمانًا ولا مكانًا فيجوز فيها الجرُّ كقولك من لَدُ صَلاةِ العَصر إلى وقتِ كذا، وكقولك: من لَدُ الحائطِ إلى مكانِ كذا، فلمَّا أراد الزمانِ حَمَلَ الشَّولَ على شيءٍ يَحسُنُ أن يكون زمانًا إذا

(1) المرجع السابق نفسه، ١ / ١٨٢.
(2) ابن يعيش، ٣ / ٧٣، وراجع هذه المسألة في: شرح الرضي للكافية: ١/ ٢٨٥.
(3) المرجع السابق نفسه، ١ / ١٨٥ – ١٨٦.

عَمِلَ في الشَّوْلِ، ولم يَحسُنْ إلا ذا، كما لم يَحْسُنْ ابتداءُ الأسماء بعد إن حتى أَضْمرتَ ما يَحْسُنُ أن يكون بعدها عامِلاً في الأسماء. فكذلك هذا، كأنك قلت: من لَدُ أَنْ كانَتْ شَوْلاً فَإلى إِتْلائِها)[1].

خاتمة: توجه اللغويون العرب منذ بداية عملهم إلى تجريد قواعد كلية، تُستَنبَطُ من اللغة على أنها نظام له بنيانه، وهو النظام الذي لا يجوز للمتكلمين الخروج عليه، وكذلك تجريد قواعد للكلام العربي، وهو الصيغ اللغوية التي طبَّق بها المتكلم قواعد اللغة، وقد استطاع هؤلاء المتكلمون أن يصطنعوا لأنفسهم مجموعة من التراكيب والصيغ التي يمكن للدارس أن يُجَرِّد منها مجموعة من القواعد، هي في الحقيقة قواعد الكلام التي تستند إلى قواعد اللغة. وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه على رأس أولئك الدارسين الذين أرسوا دعائم الدرس النحوي، وفق رؤية معرفية تصوغ للغة بنيانها المنهجي الذي يمكن أن نستمدَّه من كتاب سيبويه سِفْرِ العربية الأول.

المصادر والمراجع

١- إلياس، منى، القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكريات لأبي علي الفارسي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٥ م

٢- الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط٤، ١٩٦١م

٣- أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥م.

٤- الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمد أحمد شاكر، دار المعارف للطباعة والنشر، ذخائر العرب، (٧)، ١٩٥٢م.

(1) نفسه، ١ / ٢٦٤ – ٢٦٥.

٥- ابن الحاجب، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر، الكافية في النحو، شرح رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦- حسان، تمام، الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء،ط١، ١٩٨١م
٧- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.
٨- سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد رشدي شحاتة عامر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠ م.
٩- الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر ١٩٧٣.
١٠- الزجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م.
١١- ابن السراج، محمد بن سهل، الأصول، تحقيق د. محمد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٩٨٥م.
١٢- سعيد، جلال الدين، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٤ م
١٣- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي، مفتاح العلوم، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م.
١٤- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، بيروت.
١٥- ضيف، شوقي، المدارس النحوية، نسخة مصورة عن طبعة دار المعارف بمصر.
١٦- ابن عقيل، شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، وعليه أضواء على الشرح، تأليف: عاصم بهجت البيطار، وعبد الفتاح الغندور، وحسن عبده الريس، وزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٧– الفارابي، أبو نصر، كتاب الحروف، تحقيق : محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٠.

١٨– إحصاء العلوم، صححه، ووقف على طبعه،عثمان محمد أمين، مطبعة دار السعادة، مصر، ١٩٣١ م.

١٩– ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، طبع عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٢٠– الفارسي، أبو علي، العسكريات، تحقيق: إسماعيل أحمد عمايرة، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨١.

٢١– الفارقي، أبو القاسم سعيد بن سعيد، المسائل المشكلة في أول المقتضب للمبرد، تحقيق د. سمير أحمد معلوف، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ١٩٩٣

٢٢– الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، منشورات: وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٤.

٢٣– الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني، الكليات، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢.

٢٤– المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب بيروت.

٢٥– ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب، حققه وشرحه: الدكتور مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، وراجعه: سعيد الأفغاني، دار الفكر دمشق.

٢٦– ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط: ١٩٩٢.

٢٧– ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت.

بلاغة المجاز المرسل
عند القرطبي وابن جزي وأبي حيان الأندلسي

د. خلدون صبح

وهو أحد أنواع المجاز اللغوي، وقد أشار القدماء إلى هذا النوع من المجاز فابن قتيبة يقول: «العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الآخر أو مجاورًا لها أو مشاكلاً»[1].

وعرَّفه القزويني بقوله: «هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه»[2]. وبذلك أخرج القزويني المجاز المرسل من باب التشبيه.

وسُمِّي هذا النوع مرسلاً، لأنَّ الإرسال في اللغة الإطلاق، والمجاز الاستعاري مقيَّد بادّعاء أنَّ المشبه من جنس المشبه به، والمرسل مطلق ومحرر من هذا القيد. وقيل: إنما سُمِّي مرسلاً لإرساله عن التقييد بعلاقة مخصوصة، بل ردد بين علاقات بخلاف المجاز الاستعاري، فإنه بعلاقة واحدة وهي المشابهة[3].

وذكر السيوطي[4] هذا النوع من المجاز تحت عنوان (المجاز في المفرد) بعد أن عدَّ (المجاز العقلي) مجازًا في التركيب، وذكر أنواعه.

المجاز المرسل عند المفسرين الأندلسيين:

تناول المفسرون الأندلسيون المجاز المرسل بالتحليل والدراسة للوصول إلى المقتضى البلاغي لهذا النوع أو ذاك فمن أنواع المجاز التي ذكروها في تفاسيرهم:

---

(1) تأويل مشكل القرآن، ص ١٠٢.

(٢) الإيضاح ٣٩٧/٢؛ والتلخيص، ص ٢٩٥.

(٣) حاشية الدسوقي ٢٩/٤.

(٤) الإتقان ٧٥٦/٢ وما يليها.

١ – إطلاق اسم الكل على الجزء:

نحو قوله تعالى: ﴿يجعلون أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾[١]. ولم يشر القرطبي[٢] في تفسيره إلى معنى الأنامل، فالمراد من الأصابع، وهي الكل، الجزء، فعبَّر الله عزَّ وجلَّ بالكل عن الجزء، مبالغة بالفرار والهروب النابع من المنافقين، والإصرار على عدم استماعهم إلى القرآن أو الإسلام. وهذا المعنى ذكره ابن جزي فقال: «فإن قيل: لِمَ قال أصابعهم ولَمْ يقل أناملهم، والأنامل هي التي تجعل في الآذان؟ فالجواب أنَّ ذكر الأصابع أبلغ لأنها أعظم من الأنامل ولذلك جمعها، مع أنَّ الذي يجعل في الآذان السبابة خاصة»[٣].

ومما يلاحظ في كلام ابن جُزي السابق أنه لم يشر إلى علاقة الجزء بالكل، أو الكل بالجزء، باصطلاح الألفاظ نفسها، وهذا ما تميَّز به أبو حيان حينما فسَّر الآية السابقة فقال: «... وأراد بالأصابع بعضها لأنَّ الأصبع كلها لا تجعل في الأذن، إنما تجعل فيها الأنملة، لكن هذا من الاتساع وهو إطلاق كل على بعض. ولأنَّ هؤلاء، لفرط ما يهولهم من إزعاج الصواعق، كأنهم لا يكتفون بالأنملة، بل لو أمكنهم السد بالأصبع كلها لفعلوا، وعدل عن الاسم الخاص لما يوضع في الأذن، إلى الاسم العام، وهو الأصبع، لما في ترك لفظ السبابة من حسن أدب القرآن، وكون الكنايات فيه تكون بأحسن لفظ. لذلك ما عدل عن لفظ السبابة، إلى المسبِّحة والمهلِّلة، وغيرها من الألفاظ المستحسنة، ولم يلفظ المسبحة ونحوها، لأنها ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد، وإنما أحدثت بعد»[٤].

(1) سورة البقرة ١٩/٢.
(2) الجامع ٢١٠/١.
(3) التسهيل ٣٩/١.
(4) البحر ٨٦/١.

وأبو حيان في تفسيره السابق استعمل (العام) و(الخاص) وهي ألفاظ تفرَّد بها إضافةً إلى ما اصطلح عليه من علاقة الجزء بالكل، والكل بالجزء، بل إنه أطلق تسميات على الأصابع كالمهللة والمسبحة، وبرر عدم استعمالها، معتمدًا العلمَ الاستدلالي، بكونها لم تكن معروفة في وقتها.

ومن إطلاق الكل على الجزء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون﴾[١].

قال السيوطي في تفسير الآية:أجسامهم أي وجوههم، لأنه لم ير جملتهم[٢].

أما القرطبي فلم يذكر معنى الوجه، وإنما ذكر المنظر العام أو الهيئة. ولم يصرِّح بإطلاق الكل على الجزء [٣].

واقتصر ابن جزي على ذكر حسن الصور من غير أن يفصل أو يفرق بين صورة الوجه أم الجسم[٤].

وقال أبو حيان في ذلك: «﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ الخطاب للرسول ﷺ أو للسامع، أي لحسنها ونضارتها، وجهارة أصواتهم، فكان منظرهم يروق ومنطقهم يحلو»[٥].

ونلاحظ في هذا الموضع أنَّ المفسرين الثلاثة لم يصطلحوا على إطلاق الكل بمعنى الجزء، وإنما قد نستدل من كلامهم على معنى ملاحة الوجوه.

(1) سورة المنافقون: ٤/٦٣.
(2) الإتقان ٢/٧٥٥.
(3) الجامع ١٨/١١٥.
(4) التسهيل ٤/١٢٢.
(5) البحر ٨/٢٧٢.

ومن الممكن أن تعكس هذه العلاقة اللغوية المجازية، فيطلق اسم الجزء على الكل.

٢ – إطلاق اسم الجزء على الكل:

نحو قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[١]. فصل القرطبي القول في الآية السابقة، وفسَّر «وجه» بمعنى الذات الإلهية فقال: «﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ أي ويبقى الله؛ فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه، وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا: ابن فورك، وأبو المعالي، وغيرهم. وقال ابن عباس: الوجه عبارة عنه كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾[٢]. وقال أبو المعالي: وأما الوجه فالمراد به عند معظم أئمتنا وجود الباري تعالى، وهو الذي ارتضاه شيخنا. ومن الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾. والموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء وجود الباري تعالى. وقد مضى في (البقرة) القول في هذا عند قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٣] وقد ذكرناه في (الكتاب الأسنى) مستوفى.

قال القشيري: قال قوم هو صفة زائدة على الذات لا تُكيَّف، يحصل بها الإقبال على من أراد الرب تخصيصه بالإكرام. والصحيح أنْ يقال: وجهه وجوده وذاته، يقال: هذا وجه الأمر، ووجه الصواب وعين الصواب. وقيل: أي يبقى الظاهر بأدلته كظهور الإنسان بوجهه. وقيل: وتبقى الجهة التي يتقرب بها إلى الله»[٤].

فالقرطبي يستشهد بالشعر لإثبات فناء كل شيء في الآخرة إلا ذات الله

(1) سورة الرحمن ٢٧/٥٥.
(2) سورة الرحمن ٢٧/٥٥.
(3) سورة البقرة ١١٥/٢.
(4) الجامع ١٥٠/١٧-١٥١.

ووجوده ويقيس الآية على آية أخرى في سورة البقرة، فإطلاق الجزء وهو (الوجه) أراد به الكل وهو (ذات الله).

وابن جزي يصرِّح بهذا الوجه والمعنى فيقول: «الوجه هنا عبارة عن الذات»[١].

ويقيس أبو حيان الآية على كلام العرب مشيرًا إلى علاقة الجزء بالكل، فيقول: «... والوجه يعبر به عن حقيقة الشيء والجارحة منتفية عن الله تعالى ونحو كل شيء هالك إلا وجهه، وتقول صعاليك مكة: أين وجه عربي كريم يجود عليَّ»[٢].

فالمراد من قول الصعاليك (وجه عربي) رجل عربي. فأطلقوا الجزء على الكل.

٣ – إطلاق المسبَّب على السبب :

نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾[٣].

وكلمة (رزقًا) هي محل المجاز: «فالسماء لا تمطر رزقًا، وإنما تمطر مطرًا يتسبب عنه الرزق. فالرزق نتيجة للسبب الذي هو المطر. والعلاقة المانعة عن إرادة معنى الرزق الحقيقي تُسمَّى المسببية»[٤].

وهذا التحليل الدقيق للآية لم نجده بالتفصيل في تفاسير الأندلسيين، بل إن القرطبي فسَّر الرزق، أي فسَّر الشيءَ بالشيء نفسه، من غير أن يشير إلى مسببه وهو المطر، فقال في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾: جمع بين إظهار الآيات وإنزال الرزق؛ لأنَّ بالآيات قوام الأديان، وبالرزق قوام الأبدان، وهذه الآيات

(1) التسهيل ٤/٨٨٤.
(2) البحر المحيط ٨/١٩٢.
(3) سورة غافر: ٤٠/ ١٣.
(4) صناعة الكتابة، ص ٢٠٠.

هي السماوات والأرضون وما فيهما وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والبحار والأنهار والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هلكوا»[١]. واقتصر ابن جزي على تفسير الرزق بالمطر فقط[٢].

وتميز أبو حيان في تحليله للمجاز المرسل في هذه الآية، إذا ما قورن بالقرطبي، وابن جزي، إذ أشار إلى أنَّ المطر سبب قوام البدن، أي الرزق، فقال في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾: وهو المطر الذي هو سبب قوام بنية البدن، فتلك الآيات للأديان، كهذا الرزق للأبدان»[٣].

ومن إطلاق المسبَّب على السبب قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤].

قال القرطبي: « ﴿لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي طَوْل نكاح، فحذف المضاف. وقيل: النكاح ها هنا ما تُنكح به المرأة من المهر والنفقة، كاللِّحاف اسم لما يُلتحف به، واللباس اسم لما يلبس، فعلى هذا لا حذف في الآية، قاله جماعة من المفسرين؛ وحملهم على هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فظنوا أنَّ المأمور بالاستعفاف إنما هو عدم المالَ الذي يتزوج به. وفي هذا القول تخصيص المأمورين بالاستعفاف؛ وذلك ضعيف، بل الأمر بالاستعفاف متوجّه لكل من تعذَّر عليه

(1) الجامع ١٥/٢٦٧.
(2) التسهيل ٤/٣.
(3) البحر ٧/٤٥٤.
(4) سورة النور: ٢٤/٣٣.

النكاح بأيَّ وجه تعذَّر، كما قدمناه، والله تعالى أعلم»[١].

فالمال والمؤونة يتسبب عنه النكاح، والنكاح نتيجة للسبب الذي هو المال، والعلاقة المانعة من إرادة معنى المال الحقيقي تسمَّى المسببية: وأشار ابن جزي إلى هذا المعنى المجازي من غير أن يسميه أيضًا فقال: «﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أمر بالاستعفاف وهو الاجتهاد في طلب العفة من الحرام، لمن لا يقدر على التزوج، فقوله: ﴿لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾. معناه لا يجدون استطاعة على التزوج، بأي وجهٍ تعذر التزوج، وقيل معناه: لا يجدون صداقًا للنكاح، والمعنى الأول أعم، والثاني أليق بقوله حتى يغنيهم الله من فضله»[٢].

فابن جزي رجح القول الثاني، وهو اعتماد المال كسبب لعدم القدرة على الزواج معتمدًا على تتمة الآية، ويقال: إنَّ أرفع مستويات التفسير القرآني هو تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك فعل ابن جزي، حينما صرَّح بأنَّ معنى المؤونة أليق من المعنى الأول، فناقش ورجح القول الآخر..

أما أبو حيان ففسر قوله تعالى ﴿لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ بقوله: قيل النكاح هنا اسم ما يمهر وينفق في الزواج، كاللحاف واللباس لما يلتحف به ويلبس، ويؤيده قوله : ﴿حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فالمأمور بالاستعفاف هو مَن عدم المالَ الذي يتزوج به، ويقوم بمصالح الزوجية»[٣].

ولم يصرح أبو حيان بالمجاز المرسل، وإنما فسَّر المعنى القرآني، كما فعل القرطبي، وابن جزي.

(1) الجامع ٢٢٥/١٢.
(2) التسهيل ٦٦/٣.
(3) البحر ٤٥١/٦.

والبلاغة الكامنة في هذه العلاقة أنَّ السبب والنتيجة يندمجان حتى يكادا أن يكوّنا شيئًا واحدًا نستطيع أن نعبر عنه بإحدى الطريقتين، إما السبب أو النتيجة، فيصبح أحدهما رمزًا للآخر يشير إليه ويصرِّح به.

وإذا عكسنا العلاقة السابقة يصبح إطلاق السبب مجازًا ليدل على المسبب.

٤ – إطلاق السبب على المسبَّب:

نحو قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾[١]. أي القبول والعمل به، لأنه مسبَّب عن السمع[٢].

ذكر القرطبي، وهو يفسر الآية السابقة، هذا المعنى فقال: «ويجوز أن تكون) ﴿مَا﴾ نافية لا موضع لها؛ إذ الكلام قد تم قبلها، والوقف على العذاب كاف؛ والمعنى: ما كان يستطيعون في الدنيا أن يسمعوا سمعًا ينتفعون به؛ ولا أن يبصروا إبصار مهتد. قال الفراء: كانوا يستطيعون السمع، لأنَّ الله أضلَّهم في اللوح المحفوظ. وقال الزجاج: لبغضهم النبي ﷺ وعداوتهم له لا يستطيعون أن يسمعوا منه ولا يفقهوا عنه. قال النحاس: وهذا معروف في كلام العرب؛ يقال: فلان لا يستطيع أن ينظر إلى فلان إذا كان ذلك ثقيلاً عليه»[٣].

فعدم السمع لا يضاعف العذاب، وإنما هو سبب في النتيجة أو المسبّب، وهو عدم الإيمان. والعلاقة المانعة من إرادة معنى الرزق الحقيقي تُسمَّى السببية، والقرطبي أشار إلى المعنى المجاز معتمدًا على معنى (ما) النافية، وأكَّد رأيه بكلام الفراء، والزجاج، والنحاس.

وقال ابن جزي عند تفسير الآية ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ (مَا)

(1) سورة هود: ١١/٢٠.

(2) الإتقان ٢/٧٥٧.

(3) صناعة الكتابة، ص ٩٤.

نافية، والضمير الكفار، والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون كقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، وقيل غير ذلك، وهو بعيد»[١].

ومما قاله أبو حيان في هذه الآية: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾: إخبار عن حالهم في الدنيا على سبيل المبالغة، يعني السمع للقرآن، ولما جاء به الرسولﷺ»[٢].

وبالتدقيق في قول أبي حيان (السمع للقرآن) نفهم معنى الإيمان، ولكنه لا يشير إلى المجاز المرسل، بل لا يذكر نوعه، وإنما صرَّح باللون البلاغي الكامن وراء هذا النوع من الإخبار، وهو المبالغة في الكفر.

ومن علاقات المجاز المرسل تسمية الشيء باسم ما كان عليه.

٥– تسمية الشيء باسم ما كان عليه:

نحو قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾[٣]، أي الذين كانوا يتامى، إذ لا يُتْمَ بعد البلوغ[٤].

وهذا النوع من المجاز المرسل يطلق عليه أيضًا الماضوية[٥]، أي: ما كان عليه الشيء في الماضي، فيسمونه باسم ما كان عليه. والمجاز في هذه العلاقة أنهم يستعملون اللفظ للدلالة على ما كان عليه الشيء في الماضي، ويريدون ما هو عليه في الحاضر، ويجرون بذلك على أنَّ دلالة الصفة على الحاضر حقيقة، وعلى ما عداه مجاز..

قال القرطبي في تفسير الآية السابقة: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾: وأراد

(1) التسهيل ١٠٣/٢.
(2) البحر ٢١٢/٥.
(3) سورة النساء ٢/٤.
(4) الإتقان ٧٥٧/٢.
(5) علي، أسعد: صناعة الكتابة، ص ١٩٤.

باليتامى الذي كانوا أيتامًا؛ كقوله: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[1]. ولا سحر مع السجود، فكذلك لا يُتمْ مع البلوغ. وكان يقال للنبي ﷺ: (يتيم أبي طالب) استصحابًا لما كان.

﴿**وَآتُوا**﴾ أي أعطوا، والإيتاء الإعطاء. ولفلان أتْوٌ، أي عطاء. أبو زيد: أتَوْتُ الرجل آتوه إتاوةً، وهي الرِّشوة. واليتيم من لم يبلغ الحلم، وقد تقدَّم في (البقرة) مستوفى. وهذه الآية خطاب للأولياء والأوصياء»[2].

إنَّ هذا المجاز يخرج عنه حكم فقهي، ولا بدَّ من حمله على معنى الماضوية لأنَّ عدم حمله على معنى ما كان يجعل المدلول متضمنًا أن نعطي القاصر ماله، وإعطاء القاصر ماله وهو لم يبلغ سن الرشد بعد ينبىء بضياع المال لأنه لا يجيد التصرف به. ولذلك لا بدَّ من علاقة الماضوية، أي إعطاء المال لمن كان يتيمًا، ثم أصبح راشدًا، فالبلاغة القرآنية مرتبطة بالمعاني الفقهية للتشريع الإسلامي، والقرطبي صرَّح بهذا المعنى وقاسه على آية أخرى، وفسَّر المجاز القرآني بالمجاز القرآني، إلا أننا كما عهدناه، لا يذكر اسم العلاقة أو نوع المجاز.

أما ابن جزي فأورد عدة معان للآية، ثم صرَّح في أحد الأوجه بمعنى الأوجه السابقة، وهذا ما تميز به عن القرطبي فقال: «﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾ خطاب للأوصياء، وقيل للعرب الذين لا يورثون الصغير مع الكبير، أمروا أن يورثوهم، وعلى القول بأنَّ الخطاب للأوصياء، فالمراد أن يؤتوا اليتامى من أموالهم ما يأكلون ويلبسون في حال صغرهم، فيكون اليتيم على هذا حقيقة، وقيل المراد دفع أموالهم إليهم إذا بلغوا فيكون اليتيم على هذا مجاز، لأنَّ اليتيم قد كبر»[3].

(1) سورة الأعراف ١٢٠/٧.
(2) الجامع ٩/٥.
(3) التسهيل ١٢٩/١.

وتفرَّد أبو حيان عن سابقَيْه بتسمية المجاز باعتبار ما كان، وأكد وجود المجاز في الآية السابقة:فقال:«... واليُتم في بني آدم فقد الأب، وهو جمع يشمل الذكور والإناث، وينقطع هذا الاسم شرعًا بالبلوغ، فلا بد من مجاز في اليتامى، لإطلاقه على البالغين اعتبارًا، وتسمية بما كانوا عليه شرعًا قبل البلوغ من اسم اليتم، فيكون الأولياء قد أمروا بأن لا تؤخر الأموال عن حد البلوغ، ولايمطلوا إن أُونِسَ منهم الرشد.وإما أن يكون المجاز في﴿**آتُوا**﴾ويكون معنى إيتائهم الأموال: الإنفاق عليهم منها شيئًا فشيئًا، وألا يطمع فيها الأولياء والأوصياء، ويكفوا عنها أيديهم الخاطئة، وعلى كلا المعنيين الخطاب لمن له وضع اليد على مال اليتيم شرعًا»[(١)].

إنَّ أبا حيان التفت – في حين لم يلتفت القرطبي وابن جزي– إلى وجه المجاز، وذكر نوعين أحدهما يعود إلى المجاز المرسل، وأطلق عليه اسمًا هو اعتبار ما كان أي الماضوية.وقد تعكس هذه العلاقة المجازية فيُسمَّى الاسم باسم ما يؤول إليه.

٦ – تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه:

نحو قوله تعالى:﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾[(٢)]، أي عنبًا يؤول إلى الخمرية[(٣)].

ويقصد البلاغيون بالمستقبلية النسبة إلى المستقبل، أي ما سيكون عليه الشيء في المستقبل، فيسمونه باسم ما سيكون عليه.والمجاز في هذه العلاقة أنهم يستعملون اللفظ للدلالة على ما سيكون عليه الشيء في المستقبل، متجاوزين ما هو عليه في الحاضر[(٤)].

(1) البحر ١٦٥/٣.
(2) سورة يوسف ٣٦/١٢.
(3) السيوطي: الإتقان ٧٥٨/٢.
(4) صناعة الكتابة، ص ١٩٥.

والقرطبي حين يفسر الآية لا يشير إلى معنى المستقبلية في تفسيره. وإنما يعدها اسمًا من أسماء العنب، حسب ما وردت في لهجات العرب، أو على حذف مضاف هو (عنب)، أي (أعصر عنب خمر). وفي ذلك يقول: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي عنبًا، بلغة عمان، قاله الضحاك. وقرأ ابن مسعود: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ عنبًا﴾. وقال الأصمعي: أخبرني المعتمر بن سليمان أنه لقي أعرابيًا ومعه عنب فقال له: ما معك؟ قال: خمر، وقيل معنى ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنب خمر، فحذف المضاف. ويقال: خمرة وخَمْر وخمور، مثل تمرة وتمر وتمور[١].

أما ابن جزي فذكر نوع المجاز وسماه بـ (ما يؤول إليه) فقال في ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾: قيل فيه سُمِّي العنب خمرًا بما يؤول إليه، وقيل هي لغة»[٢].

وصرَّح أيضًا أبو حيان فقال: «وسمي الخمر خمرًا باعتبار ما يؤول إليه، وقيل الخمر بلغة غسان اسم العنب، وقيل في لغة أزد عمان، وقال المعتمر لقيت أعرابيًا يحمل عنبًا في وعاء، فقلت ما تحمل قال خمرًا أراد العنب...»[٣].

٧ – إطلاق اسم الحال على المحل:

والمجاز في هذه العلاقة أنهم يستعملون اللفظ الدال على (الحال)، وهم يريدون غيره، فتتجاوزه إرادتهم إلى (المحل) الذي ينزل أو يقيم فيه[٤].

وقد ورد هذا اللون من المجاز في قوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٥].

وصرَّح القرطبي بهذا المعنى لكنه لم يشر كعادته إلى علاقة المحلية، فقال:

(1) الجامع ١٦٦/٩.
(2) التسهيل ١١٩/٢.
(3) البحر ٣٠٨/٥.
(4) صناعة الكتابة، ص ١٩٢.
(5) سورة آل عمران: ١٠٧/٣.

﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. أي في جنته ودار كرامته خالدون باقون. جعلنا الله منهم وجنبنا طرق البدع والضلالات، ووفقنا لطريق الذين آمنوا وعملوا الصالحات. آمين[١].

أما ابن جزي فتجاوز هذا الجزء من الآية ولم يفسره[٢].

ونص أبو حيان على معنى الجنة فقال: «ولما أخبر تعالى أنهم مستقرون في رحمة الله، بيَّن أنَّ ذلك الاستقرار هو على سبيل الخلود، لا زوال منه ولا انتقال، وأشار بلفظ الرحمة إلى سابق عنايته بهم، وأنَّ العبدَ وإنْ كثرت طاعته لا يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى.

وقال ابن عباس: المراد بالرحمة هنا الجنة وذكر الخلود للمؤمن ولم يذكر ذلك للكافر إشعارًا بأنَّ جانب الرحمة أغلب....»[٣].

ومما يلاحظ هنا أنَّ المفسرين الثلاثة لم ينصوا على علاقة المحلية باللفظ وإنما صرحوا بالمعنى من غير أن يذكروا علاقة المحلية.

ومن إطلاق اسم الحال على المحل قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾[٤]. أي في عينك. على قول الحسن البصري[٥].

قال القرطبي عند تفسير الآية السابقة: «رآهم النبي ﷺ في منامه قليلاً، فقصَّ ذلك على أصحابه، فثبَّتهم الله بذلك. وقيل: عنى بالمنام محل النوم وهو العين؛ أي في موضع منامك، فحذف، عن الحسن. قال الزجاج: وهذا مذهب

(1) الجامع ٤/١٦٠.
(2) التسهيل ١/١١٥.
(3) البحر ٣/٢٦.
(4) سورة الأنفال ٨/٤٣.
(5) الإتقان ٢/٧٥٨.

حسن، ولكن الأولى أسوغ في العربية؛ لأنه قد جاء ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾[1]. فدلَّ على أنَّ هذه رؤية الالتقاء، وأنَّ تلك رؤية النوم»[2].

«ذكر القرطبي الوجه الأول وهو قول الجمهور أنَّ الرؤية هي رؤية منام، ثم انتقل إلى قول الحسن البصري وهي رؤية العين. وذكر علاقة المحلية في قوله (محل النوم). وذكر قول الزجاج باستحسانه هذا القول، لكنه عاد ورجح قول الجمهور، عندما فرَّق بين رؤية المنام، ورؤية العين، بأنْ أورد الآية التي تليها والمتضمنة معنى الرؤية العينية الحقيقية.

ولم يورد ابن جزي إلا رأي الجمهور؛ فقال: «﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ الآية: كان رسول الله ﷺ قد رأى الكفار في نومه قليلاً فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم»[3].

وفسَّر أبو حيان الآية فقال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ الخطاب للرسول ﷺ. وتظاهرت الروايات أنها رؤيا منام، رأى الرسول ﷺ فيها الكفار قليلاً فأخبر بها أصحابه فقويت نفوسهم وشجعت على أعدائهم وقال النبي ﷺ لأصحابه حين انتبه (أبشروا لقد نظرت إلى مصارع القوم). والمراد بالقلة هنا قلة القدر واليأس والنجدة، وأنهم مهزومون مصروعون. ولا يحمل على قلة العدد لأنه ﷺ رؤياه حق، وقد كان علم أنهم ما بين تسعمئة إلى ألف فلا يمكن حمل ذلك على قلة العدد، وروي عن الحسن أنَّ معنى في منامك في عينك، لأنها

(1) سورة الأنفال ٨/٤٤.
(2) الجامع ٧/٣٨١.
(3) التسهيل ٢/٦٦.

مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة، لأنه ينام فيها فتكون الرؤية في اليقظة وعلى هذا فسَّر النقاش وذكره عن المازني وما روي عن الحسن ضعيف[١].

وهكذا فإنَّ أبا حيان يرجح كما رجح القرطبي وابن جزي الرؤيا في المنام لكنه يذكر الرأي الآخر المعوَّل على المجاز أي إطلاق اسم الحال وهو المنام على المحل وهو (عينك) وقاسها على قولنا للقطيفة، وهي الحال، الدثار المحمَّل: مَنَامَة لأنها مكان النوم، لكنه في النهاية يضعف قول الحسن.

وإذا ما عكسنا العلاقة المجازية اللغوية المرسلة يُصبح المحل يدل على اسم الحال.

٨ – إطلاق المحل على اسم الحال:

ويقصد البلاغيون النسبة إلى المحل، أي المكان. والمجاز في هذه العلاقة أنهم يستعملون اللفظ الدال على المكان وهم يريدون غير المكان، فتتجاوز إرادتهم المكان إلى من فيه أو ما فيه[٢].

ومن الآيات القرآنية التي تضمنت هذه العلاقة المجازية قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾[٣]. أي أهل ناديه، أي مجلسه[٤]. ومنها قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾[٥]. أي: اسأل أهل القرية. ومن بلاغة هذه الآية أنَّ المكان والمكين سيشهدان على إخوة يوسف مبالغة وتوكيدًا منهم على أنهم صادقون حتى طلبوا سؤال المكان لإخراج ما في نفسهم من صدق فجلعوا المكان وأهله شاهدين.

قال القرطبي عند تفسير الآية السابقة: «قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا

(1) البحر ٤/٥٠١.
(2) صناعة الكتابة، ص ٣٣٤.
(3) سورة العلق: ٩٦/١٧.
(4) الإتقان ٢/٧٥٨.
(5) سورة يوسف: ١٢/ ٨٢.

فِيهَا وَالْعِيرَ﴾. حققوا بها شهادتهم عنده ورفعوا التهمة عن أنفسهم لئلا يتهمهم. فقولهم: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهلها، فحذف؛ ويريدون بالقرية مصر وقيل: قرية من قراها نزلوا بها وامتاروا منها. وقيل المعنى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ وإن كانت جمادًا، فأنت نبي الله، وهو ينطق الجماد لك؛ وعلى هذا فلا حاجة إلى إضمار؛ قال سيبويه: ولا يجوز كلِّم هندًا وأنت تريد غلام هند؛ لأنَّ هذا يُشْكِل. والقول في العير كالقول في القرية سواء. ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا»[1].

إنَّ إيراد القرطبي رأي سيبويه في هذا الموضع غير مناسب لهذا المقام فقولنا: (كلم هندًا) يتضمن لغزًا وإبهامًا غير مقبولين في الفصاحة العربية. أما قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾. فلا يمكن أن نسأل عقليًا الجماد وإن صرَّح القرطبي بذلك لأنَّ أهل القرية كانوا قد خبروهم وشاهدوهم أي: واسأل أهل القرية. وأما أن نقيس جملة من كلام العرب، لا توافق معنى القرآن الكريم على آية منه، فهذا لا يُقبل، وإن صرَّح به سيبويه واستشهد به القرطبي.

وأشار المفسرون الأندلسيون إلى علاقة المجاز من غير أن يصرحوا بالمجاز، ولكنهم حللوا المعنى بأنهم فسروا إطلاق المحل على اسم الحال، فالقرطبي توسع في تفسير الآية وبيَّن أنَّ المراد بـ (النادي) (أهل النادي)، ثم أكد كلامه بأمثلة شعرية ورد فيها النادي بمعنى أهل النادي أو المجلس، فقال[2]: «.... والنادي في كلام العرب: المجلس الذي ينتدي فيه القوم، أي يجتمعون، والمراد أهل النادي، كما قال جرير[3]:

لهم مجلسٌ صُهْبُ السِّبالِ أذلةٌ سواسية أحرارها وعبيدُها

(1) الجامع ٩/٢١٤.

(2) الجامع ٢٠/١١٣.

(3) ديوان ذي الرمة ٢/١٢٣٥، ونسب خطأ لجرير.

قال زهير[١]:

وفـيهم مقامـاتٌ حِـسَانٌ وجُوهُهـا وأندِيـــةٌ ينتابُهـــا القـــولُ والفِعْـــلُ

وقال آخر [المهلهل][٢]:

[نبئـت أنَّ النّـار بعـدك أوقـدت] واسـتبَّ بعـدك يـا كليـب المجلـسُ

وقد ناديت الرجل أناديه إذا جالسته. قال زهير[٣]:

وجـار البيـت والرجـل المنـادي أمـــامَ الحـــيِّ عقـــدُهما سَـــواءُ

وفسَّر ابن جزي الآية على هذا المعنى، فقال في قوله تعالى:﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾: النادي والندى المجلس الذي يجتمع فيه الناس وكان أبو جهل قد قال: أيتوعدني محمد فوالله ما بالوادي أعظم ناديًا مني فنزلت الآية تهديدًا وتعجيزًا له، والمعنى: فليدع أهل ناديه لنصرته إنْ قدروا على ذلك[٤].

وأكد أبو حيان كلام سابقيه، فقال: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾ إشارة إلى قول أبي جهل وما بالوادي أكبر ناديًا مني، والمراد أهل النادي. وقال جرير:

لهم مجلس صهبُ السّبال أذلة

أي أهل مجلس ولذلك وصف بقوله (صهب السبال أذلة) وهو أمر تعجبي أي لا يقدره الله على ذلك لو دعا ناديه لأخذته الملائكة عيانًا[٥].

وهكذا نجد أنَّ العلاقة المجازية في الآية هي المحلية، حيث ذُكر المكان وتُجوِّز

(1) شرح شعر زهير، ص ٩٣.

(2) نوادر أبي زيد الأنصاري، ص ٢٩؛ ومجالس ثعلب، ص ٤٦، ٥٦٢؛ وأمالي ابن الشجري ١/٣٢٤،١٨٤،٥٢.

(3) شعر زهير بن أبي سلمى، ص ١٤٢٠.

(4) التسهيل ٤/٢٠٩.

(5) البحر ٨/٤٩٥.

المكان إلى من فيه. لكننا كما رأينا، لم يُسمّوا هذا النوع من المجاز، وإنما اكتفوا بتفسيره على الإضمار، وقاسوا الآية على الشعر العربي للاستدلال على الإضمار. ومن المجاز المرسل قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[1].

ونلاحظ أنَّ القرطبي أورد معنى المجاز وهو المكانية فذكر المحل (القرية) وأراد الحال (ساكنيها).

ومن الجدير بالذكر أن ننص في هذا المقام على المعنى الفقهي الذي أخرجه القرطبي من الآية السابقة في قوله: «في هذه من الفقه أنَّ كل من كان على حق، وعلم أنَّه قد يُظن به أنه على خلاف ما هو عليه أو يتوهَّم، [عليه] أن يرفع التهمة وكل ريبة عن نفسه، ويصرِّح بالحق الذي هو عليه، حتى لا يبقى لأحد مُتَكلَّم» [2]. لذلك على كل إنسان ردَّ التهمة عنه إن كان بريئًا وهذا واجب مستنبط من الآية وهنا نلاحظ شدة ارتباط البلاغة العربية في القرآن الكريم باستنباط الأحكام الفقهية في بعض المواضع من القرآن الكريم.

أما ابن جزي فنراه يتفرد عن القرطبي بذكر لفظ المجاز فهو يصطلح على وجود المجاز في الآية الكريمة في لفظ (الْقَرْيَةَ)، (وَالْعِيرَ). فيقول: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ تقديره: واسأل أهل القرية، وكذلك أهل العير: يعنون الرفقة، هذا هو قول الجمهور وقيل المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ولا يبعد أن تخبره الجمادت لأنه نبي، والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز؛ والقرية هنا هي مصر[3].

وتبرز شخصية ابن جزي المناقشة والمتعمقة في وجوه التأويل، ويؤيد رأي

(1) سورة يوسف: ٨٢/١٢.
(2) الجامع ٢١٤/٩-٢١٥.
(3) التسهيل ١٢٦/٢.

الجمهور ويرجحه على أنه مجاز، ويصرح بذلك بقوله: (والأول أظهر) ويقصد بالأول تفسير الآية على تقدير محذوف (أهل) القرية.

وحمل أبو حيان الآية على الإضمار فقال عند تفسير الآية: «والظاهر أن ذلك على إضمار أهل، كأنه قيل: وَسَلِ القرية وأهل العير، إلا أنه أريد (بالعير) القافلة فلا إضمار في قوله: والعير»[١].

وفي هذا القول نلاحظ أنَّ أبا حيان رجح الإضمار في قوله و(اسأل القرية) ونفاه في قوله تعالى (والعير) ولم يذكر نوع المجاز ولا علاقته، وهو مجاز مرسل علاقته المحلية، ذكر المحل وهو القرية وأراد الحال وهم أهلها.

ومن المجاز اللغوي نجد تسمية الشيء باسم آلته حيث يتحد الفعل باسم آلته حتى يصل اسم الآلة إلى درجة من الإبلاغ يُعبر عن الفعل.

٩– تسمية الشيء باسم آلته :

ويقصدون بهذه العلاقة كون الشيء واسطة في التأثير، عليه يتوقف التأثير والتأثر، إذ به يعالج المؤثِّر، ومثاله أن يذكر اسم ويراد به الأثر الذي ينتج عنه، وبذلك يستعمل اللفظ الدال على آلة الشيء مكان الشيء نفسه[٢].

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[٣]. أي ثناء حسنًا، لأنَّ اللسان آلته[٤].

وقد عدَّ القرطبي هذا اللون البلاغي من باب الاستعارة ويبدو أنهم كانوا يخلطون أحيانًا بين أنواع البلاغة أو أنه أراد استعارة اللسان للقول أو الثناء. ومردّ

(1) البحر المحيط ٣٣٧/٥.
(2) صناعة الكتابة، ص ٢٠١.
(3) سورة الشعراء: ٨٤/٢٦.
(4) الإتقان ٧٥٩/٢.

ذلك إلى عدم اصطلاح المفسرين الأندلسيين على كل نوع من أنواع البلاغة وتسميته، فكانوا يعتمدون على كلمات بعينها كالمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية، ونراه يتابع فيستعمل الكناية للتعبير عن هذه العلاقة فقال[١]: «والمراد باللسان القول، وأصله جارحة الكلام. قال القتبي: وموضع اللسان موضع القول على الاستعارة، وقد تكني العرب بها عن الكلمة. قال الأعشى [باهلة][٢]:

إني أَتَتْـــني لـــسانٌ لا أسَـــرُّ بهـــا مـن عَلْـوٌ لا عجَـبٌ منهـا ولا سـخرُ

أما ابن جزي فاكتفى بأن فسَّر ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ بالثناء الجميل[٣] ولم يفصل. واعتمد أبو حيان رأي ابن عطية، ولم يصرِّح بلفظ المجاز أو الاستعارة أو الكناية كما أوردها القرطبي فقال في قوله تعالى ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾: قال ابن عطية هو الثناء وتخليد المكانة بإجماع من المفسرين. وكذلك أجاب الله دعوته فكل ملة تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد ﷺ، وقال مكي: وقيل معنى سؤاله أن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق، فأجيبت الدعوة في محمد ﷺ، وهذا معنى حسن إلا أنَّ لفظ الآية لا يعطيه إلا بتحكم على اللفظ انتهى[٤].

وهكذا نرى تفرّد القرطبي في تحليله للمجاز، وإن لم يصطلح على النوع المجازي، ولكنه أشار إلى الآلة بمعنى الجارحة، وذكر لفظ الاستعارة، وأيَّد رأيه ببيت من الشعر للأعشى، فالمجاز الموجود في الآية هو مجاز مرسل، علاقته الآلية، باعتبار أنَّ اللسان آلة للذكر، فذُكر وأريد به الذِّكر مجازًا بعلاقة الآلية.

(١) الجامع ١٠٦/١٣.
(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٩٠/٤؛ وخزانة الأدب ١٩١/١، ١٥٦/٤، ٥١١/٦.
(٣) التسهيل ٨٧/٣.
(٤) البحر ٢٦/٧.

ومن المجاز اللغوي:

١٠ – تسمية الشيء باسم ضده:

ونعني بهذه العلاقة استعمال كلمة في معناها المعاكس لها، وهذا المعنى يجب أن يفهم من سياق الكلام وغرض هذه العلاقة، إما المدح والاستحسان أو الذم والسخرية نحو قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١]. والبشارة حقيقة في الخبر السار[٢].

وفي سورة البقرة يفسِّر القرطبي قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣].

فيقول: لما ذكر الله عزَّ وجل جزاء الكافرين ذكر جزاء المؤمنين أيضًا. والتبشير الإخبار بما يظهر أثره على البشرة – وهي ظاهر الجلد – لتغيّرها بأول خبر يرد عليك؛ ثم الغالب أن يُستعمل في السرور مقيَّدًا بالخير المبَشَّر به، وغير مقيَّد أيضًا. ولا يُستعمل في الغمّ والشر إلا مُقيَّدًا منصوصًا على الشر المبشَّر به. قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. ووجهٌ بشيرٌ إذا كان حسنًا بيِّن البشارة (بفتح الباء). والبُشرى: ما يُعطاه المبَشِّر. وتباشير الشيء: أوله»[٤].

والقارىء لكلام القرطبي حول الآية السابقة يجده يشير إلى معنى التضاد، فقد نصَّ في تفسيره على أنَّ البشارة تستعمل في السرور، أما استعمالها في سورة آل عمران فجاءت على سبيل التضاد، فهو يقارن بين آية البقرة التي جاءت فيها

(1) سورة آل عمران: ٢١/٣.
(2) السيوطي: الإتقان ٧٥٩/٢.
(3) سورة البقرة: ٢٥/٢.
(4) الجامع ٢٢٧/١.

البشارة مستعملة في حالتها الغالبة، وبين آية آل عمران التي جاءت فيها البشارة على سبيل التضاد.

وأبو حيان أشار إلى معنى التضاد في الآية من غير أن يسمي نوع المجاز المرسل ولكنه تفرَّد بذكر الغرض البلاغي لهذا الأسلوب فخرَّجه على سبيل التهكم والاستهزاء بالكافرين. قال: «... وتقدَّم أنَّ البشارة هي أول خبر سار فإذا استعملت مع ما ليس بسار فقيل: ذلك هو على سبيل التهكم والاستهزاء»(١).

وهكذا فإنَّ المجاز في الآية الكريمة هو مجاز مرسل علاقته التضاد، وبلاغة الصياغة في الآية أتت مبتدئة بلفظ البشارة حيث تنفرج النفوس وتُفرج بالخبر السار ثم ما تلبث أن تنقبض وتُصعق بلفظ العذاب حتى تضيق الأنفس فتنقَّلت الآية بين إقبال مطمع، وهو البشارة ثم مَنْع مُقمِع وهو العذاب.

– إن دراسة المفسرين الأندلسيين للمجاز المرسل وعلاقاته لم تقم على أساس إطلاق المسميات على هذه العلاقات، ولم يصطلحوا على تسمية المجاز بالمجاز المرسل، وإنما كان جلُّ اهتمامهم منصبًا على إخراج المعنى الموجود في كل آية، وهذا لا يعني أنَّ تقصيهم للمجاز المرسل لم يترافق في بعض الأحيان مع إطلاق التسميات على هذه العلاقات، فنراهم حينًا يطلقون على الماضوية (اعتبار ما كان) وعلى الجزئية والكلية (العام والخاص) وتفرَّد أبو حيان في ذلك عن القرطبي وابن جزي.

والمتقصي في تفاسير الأندلسيين يجد أنهم يطلقون اسم (المجاز) من غير أن يحددوا العلاقة أو يصرِّحوا بأنها استعارة في بعض المواضع. وعلى هذا فإن همهم الأول والأخير تفسير معاني القرآن.

ولعلَّ استعمالهم لفظ (الاستعارة) يدل على عمق نظرتهم إلى المجاز في

(1) البحر ٢/٤١٤.

القرآن الكريم، لأنَّ علاقات المجاز المرسل تدل على الاستعارة، فنحن نطلق المحل على الحال، أي نستعير المكان لتعريف أهله، أو الجزء للدِّلالة على الكل، فهذه التقسيمات للعلاقات، إنما هي تقسيمات عقلية وليست فنية، ففنية الصورة تُسبر بفهم المجاز وتحليله. والأندلسيون عندما درسوا المجاز المرسل كانت دراستهم تتقصى معنى الصورة وليس تسميتها أو نوعها، فأطلقوا المجاز على كل ما علاقته المشابهة أو غير المشابهة، بسبب فهمهم العميق لطبيعة تكوين الصورة، فكل ما يطلق من مسميات، يراد بها مدلولات أخرى ترافقها في اللفظ وتفهم في سياق الدال، كان المفسرون الأندلسيون يصنفونها تحت عنوان المجاز، أو الاستعارة، وإن كان مجازًا عقليًا أو لغويًا أو استعارة.

ولا ننسى أن نذكر الأحكام الشرعية التي استكنهوها في بعض الآيات، من المجاز الموجود فيها، فالقرطبي أشار إلى بعض القضايا الفقهية معتمدًا على المجاز.

ومن المجاز أيضًا الكناية: وهي كلام يحتمل معنيين، أحدهما قريب، والآخر بعيد. وهذا النوع المجازي بحث فيه المفسرون الأندلسيون، حيث يتفارق المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ويلتحمان في الوقت نفسه في جملة واحدة. والكناية تظهر بلاغتها من التلويح والتلميح، والإشارة والتطويح، دون التصريح والمباشرة والتقرير.

المصادر والمراجع

١–الإتقان في علوم القرآن : السيوطي، تقديم: مصطفى البغا، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣
٢–الأمالي : ابن الشجري، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
٣–الإيضاح في علوم البلاغة : القزويني، شرح : محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، طبعة ٣، ١٩٨٩.
٤–البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ٢، ١٩٩٠.
٥–التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ٤، ١٩٨٣.
٦–تأويل مشكل القرأن: ابن قتيبة، تحقيق : السيد صقر، دار التراث، القاهرة، طبعة ٢،

١٣٩٣هـ.
٧–التلخيص في علوم البلاغة: القزويني، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، مصر، طبعة ٢، ١٩٣٢م .
٨–الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، راجعه : صدقي جميل، خرج حديثه : عرفان العشا، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ .
٩–حاشية الدسوقي على شرح السعد التفتازاني لتلخيص المفتاح ضمن كتاب شروح التلخيص: محمد بن أحمد الدسوقي، القاهرة، ١٩٣٧.
١٠– خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الخانجي، ١٩٨٦.
١١– ديوان ذي الرمة: شرح أبي نصر أحمد ابن حاتم الباهلي، رواية ثعلب، ت: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، طبعة ١، ١٩٨٢.
١٢– شرح شعر زهير: صنعه أبو العباس ثعلب، ت : فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، طبعة ١، ١٩٨٢.
١٣– صناعة الكتابة: أسعد علي، فيكتور الكك، بيروت، طبعة ٣، ١٩٧٧.
١٤– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل: الزمخشري، منشورات البلاغة، مطبعة القدس، طبعة ٢، د.ت.
١٥– الكامل: المبرد محمد بن يزيد، ت: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ١، ١٩٨٦.
١٦– الكتاب: سيبويه، ت: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٧٥م.
١٧– لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت.
١٨– مجالس ثعلب: ثعلب، أبو العباس، ت: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، طبعة ٢، ١٩٤٨.
١٩– مفتاح العلوم: السكاكي، محمد بن علي، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، د.ت.
٢٠– نوادر أبي زيد الأنصاري: أبو زيد الأنصاري، ت: الشرتوتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩.
٢١– نضرة الإغريض في نصرة القريض: العلوي، المظفر بن الفضل، ت: نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم السادس والعشرون)(*)

د . وفاء تقي الدين

باب الحاء

حابس

حابس، حابسة، حابسات، حوابس ١: ٢٨٤/ ٢: ٤٣٠، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٥، ٤٧٣، ٤٨٠، **٤٨٣**، ٤٨٤/ ٣: ٢٢٦

حوابس القيء ١: ١٥٦/ ٢: ٤٥٨

حابس للدم، حابسة للدم، حوابس الدم ١: ٢١٧، ٢٣٥، ٢٣٩/ ٢: ١٧٣، ٢٠٨، ٤٣٨/ ٣: ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧

حابس للعرق ١: ٢٣٩

(*) نُشرت الأقسام الخمسة والعشرون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٨: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) و (مج ٧٩: ص٧١، ٣٣٣، ٦٢٥، ٨٣٧) و (مج ٨٠: ١٦١، ٣٩١، ٦٢١، ٨٨٩) و (مج ٨١: ١٣٩).

تكرر هذا المصطلح في القانون وصفًا لبعض الأدوية، لكن ابن سينا لم يذكره في خواص الأدوية وصفاتها كما فعل في القاشر والجالي والجاذب وغير ذلك حيث ذكر لكل منها حدَّه الطبي.

والظاهر من استعمال ابن سينا لهذا المصطلح أنه يريد به مايمنع سيلان أي مادة تخرج من الجسم، فقد يكون الدواء حابسًا للدم أو العرق أو القيء أو غير ذلك، فهو يقابل المُدِرَّ. وليس في هذا الاستعمال خروج على المعنى اللغوي: حبسه يحبسه حبسًا منعه وأمسكه عن وجهه. وهوضد التخلية.

حاج*

حاح [الإهمال تصحيف][1]	٢: ٤٨٢
أصل الشوكة التي هي الحاح	٢: ٤٨٢
عصارة ورق الحاح	٢: ٣٤

لم يذكر ابن سينا هذا النبات في مفردات القانون، لكنه ورد عرضًا في أثناء الكلام على معالجة البواسير وغيرها.

والحاج مما ذكرته كتب المفردات وكتب النبات واللغة. قال أبو حنيفة في كتابه: «حاج: قال أبو زياد من الأغلاث، وهو الذي يسميه أهل العراق العاقول، وله شوكة حادة. لا أعرف له ثمرة ولا زهرة ولا ورقًا، وهو أحب إلى الماشية من

---

*كتاب النبات ١: ١٣٠، والحاوي ٢٠: ٣١٣/ ٢٢: ١٢٤، والصيدنة ١٤٦، وشرح أسماء العقار ٢٠ (١٦٦)، ومفردات ابن البيطار: ٢: ٣، والشامل ٢١٢، ومالايسع ١٦٠، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٨، ٢٢٥ (عاقول)، وقاموس الأطباء ١: ٨٤، ومعجم أسماء النبات ٨ (١٧)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٢٦، ولسان العرب وتاج العروس (حيج)، ومحيط المحيط ٢٠٩، والمعجم الوسيط ١: ٢١٠.

(١) كذا وردت بالإهمال في طبعة بولاق والمصورة. وهي بالمعجمة في آخرها في طبعة رومة.

الينبوت.... والحاج عندنا مما تدوم خضرته، وتذهب عروقه في الأرض مذهبًا بعيدًا، ويتداوى بطبيخها، وله ورق دقاق طوال كأنه مساو للشوك في الكثرة وشوكه طوال مستوية حادة...» وجعل الرازي هذا الاسم واقعًا على ماسماه ديسقوريدس ارتقى وهو الخلنج فخطأه ابن البيطار وابن الكتبي، لأن الحاج شوكة معروفة تدعى في الشام ومصر وغيرهما بالعاقول، وهي التي يقع عليها الترنجبين بخراسان،. وذكر البيروني من أسمائها اشترخار المعربة من الفارسية. الاسم العلمي لشجر الحاج Alhagi manniferumجنبة شائكة من القرنيات تفرز منًّا.

صحف هذا الاسم في القانون بإهمال الحرف الأخير، وهو في معجمات اللغة بالجيم المعجمة ومن الاسم العربي أخذت التسمية العلمية.

حَادّ

دواء حاد، أدوية حادة، أحدّ ١: ١١٠، ١٩٩، ٢١٨، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٨١، ٢٨٩، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٠٧، ٣١٣، ٣١٧، ٣٣٤، ٣٤٠، ٣٤٦، ٣٦٣، ٣٦٧، ٣٨٨، ٣٩٤، ٤٠٧، ٤٥٥، ٤٥٩/ ٢: ٨٢، ١٦٢، ١٦٤، ١٧٣، ٤٤٠، ٤٩٣/ ٣: ١٢٨، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٣١، ٤٠٤.

حِدَّه (في الدواء) ١/: ١٠١، ٢٣٧، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٧، ٣١١،

مفيد العلوم ٤٧، ومعجمات اللغة (حدد)

٣٢٨، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٧٤،
٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٠، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠،
٤١٧، ٤٣٨، ٤٦٣، ٤٦٩، ٤٧٠/ ٢:
٢٣، ٧٨، ١٢٧، ١٦٧، ٢٩٧، ٣٠٦،
٣١٢، ٣٨٠، ٤٩٣/ ٣: ١٦٣، ١٦٧،
١٨١، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٢٠، ٢٢٥

الحدة صفة تكررت في القانون كثيراً، ووصفت بها الأخلاط والأمراض والأعراض والأدوية قد يطلق الوصف بها فيقال دواء حاد، وقد يقيد فيقال حاد الطعم أو حاد المذاق..الخ.

جاء في مفيد العلوم الذي يشرح ألفاظ المنصوري للرازي أن «الدواء الحاد هو الأكال للحم» ولم أجد هذا الحد في القانون أو في سائر المراجع لكن سياق الكلام غالبًا مايوحي بهذا المعنى، ومثال ذلك من القانون قول ابن سينا «في مداواة القروح.. ماكان منها عفنًا استعملت فيه الأدوية الحادة الأكالة مثل القلقطار والزاج والزرنيخ والنورة..»[1] وقوله: «أما أفعال الأدوية فيجب أن نعد المشهورات.. منها عدًا ثم نتبعهابالرسوم والشروح لأسمائها فيقال دواء مُسخِّن ملطِّف محلِّل حادّ مُخَشِّن مُفتِّح مُرْخٍ..»[2] لكنه لم يشرح بعد ذلك المراد بالحاد.

الحِدَّة في معجمات اللغة هي النزق والغضب والطيش. وفي المعجم الوسيط لمجمع القاهرة.«الحدة: القوة. يقال: أخذته حدة الغضب، وهو معروف بحدة التفكير أي عمقه». وعلى كل فمعنى الدواء الحاد معنى منقول من المعنى اللغوي الأصلي.

(١) القانون ١: ٢١٨.

(٢) القانون ١: ٢٣٢.

حاسيس*

حاسيس ١: ٣٢١

هو من مفردات القانون قال فيه ابن سينا: «حاسيس. الماهية: هو دواء أرمني ويقال أيضًا فارسي. قالت الخوز هو أقوى من الأوفربيون، وإذا زادت شربته على الدرهم قتل. الطبع: حار يابس في الرابعة. الخواص: محرق مسيخ الطعم. أعضاء الغذاء: محرق للمعدة مقيء»

فما قاله ابن سينا يبدو مماثلاً لما نقله الرازي في الحاوي دون أن يحدد مرجعه، ثم كررت سائر المراجع المعلومات نفسها، وزاد عليها ابن جزلة طرق معالجة من تجاوز المقدار المحدد من هذا العقار، ثم زاد مؤلف الشامل أنه نبات، حيث قال: «حاشيش: هذا نبات فارسي...» لكنه لم يصفه هو أو غيره، وحاول ابن الكتبي أن يتوسّع قليلاً في تحديد ماهيته فقال: حاسيس: دواء فارسي وقيل إنه أرمني جامد كالشمع، وقيل هو نبات مسيخ الطعم فيه حلاوة ما حار حاد محرق أقوى من الفربيون مقيءٌ..» ثم ذكر فعله وأعرض الانسمام به وطرق معالجته. فهذا العقار فيما بدا لي مجهول منذ قرون.

ورد الاسم في القانون المطبوع ببولاق بسينين مهملتين، وكذلك في منهاج البيان ومفردات ابن البيطار، لكنه كتب بمعجمتين في بعض نسخ القانون المخطوطة[1] وفي المطبوع برومة وفي الشامل أيضًا، وهو في الحاوي حاشش بلا ياء بين المعجمتين، وفي تذكرة داود حاماسيس. فمن الصعب أن يجزم الباحث بضبط اسم لم يُتفق أصلاً على مدلوله. لكنني أُرجّح أن الصواب هو الإعجام.

---

* الحاوي ٢٠: ٣٣٣ (حاشش)، ومنهاج البيان ٧٩ب ومفردات ابن البيطار ٢: ٣، والشامل ٢١٢ (حاشيش)، ومالايسع ١٥٩، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٨ (حاماسيس).

(١) المخطوطة رقم ٥٤٥١ والمصورة.

حاشا*

حاشا ١: ١٥٢، ١٨٧، ٢٠٥، ٢٣٢، ٢٥١، **٣١٤**، ٣٨٣/ ٢: ١٩، ٢٢، ٥١، ٦٤، ٧٩، ٨٨، ٨٩، ١٧٧، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٥٦، ٢٥٩، ٣٤٢، ٣٨٠، ٤٠٩، ٤٦١، ٤٦٢، ٥٢٥، ٥٢٩، ٦٢٣/ ٣: ٤٧، ١٧٥، ١٨٦، ٢٢٢، ٢٣٤، ٣٢٤، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٧، ٣٥٦، ٣٧٣، ٣٧٧، ٤١٤

أصول الحاشا ٢: ٣٧٦

حب الحاشا ٢: ٥٢٤

زهر الحاشا ١: ٣١٥

شراب الحاشا ١: ٣١٥، ٣٨٣، ٤٠٩/ ٣: **٣٧٧**

طبيخ الحاشا ٢: ٨٨

أقماع الحاشا ٣: ٣٤٨

ماء الحاشا ٢: ٣٤٥

ذكره ابن سينا في مفردات القانون فنقل تحليته عن ديسقوريدس حيث قال: «الماهية: قال ديسقوريدس هو نبات يعرفه جلّ الناس، وهو شجرة شوكية

* كتاب ديسقوريدس ٢٥٦ (ثومس)، ٣٩٤ (الشراب الذي يتخذ بالحاشا)، والحاوي ٢٠: ٣٢٣، والملكي ٢: ١٠١، والصيدنة ١٤٦، ومنهاج البيان ٧٩أ والمختارات ٢: ٨٦، ومفيد العلوم ٣٥ (حاشى)، وشرح أسماء العقار ١٩ (١٥٧) حاشى، ومفردات ابن البيطار ٢: ٢، والمعتمد ٧٩، والشامل ١٧٨، ومالايسع ١٥٩، وحديقة الأزهار ١٢٢ (١٢٩)، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٨، ومعجم أسماء النبات ١٨٠ (٢٣)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٦٤١.

صغيرة، في مقدار مايصلح أن يُهيأ من أغصانه فتل القناديل إذا لُفّ عليه القطن، حواليها ورق صغار دقاق، وعلى أطرافها رؤوس صغار من الزهر[١] فرفيرية، وأكثر ماتنبت في مواضع صخرية، ومواضع رفيعة[٢]، لها زهر أبيض إلى الحمرة وقضب رقاق تشبه قصب الإذخر وزهرها مستدير» ثم ذكر خواص هذا النبات وفوائده الطبية. ومنها تقوية الأعصاب والبصر والهضم والإدرار..

في المراجع وصف للحاشا يشبه ماجاء في القانون ويبين أنه نوع من أنواع الصعتر. قال أبو عمران في شرح أسماء العقار: «حاشى هو نوع من الصعتر، واسمها باليوناني ثومرون[٣] وبعجميّة الأندلس طميلة» على حين قال ابن البيطار: «يعرفه شجارو الأندلس وعامتها بصعتر الحمير وهو كثير بأرض المقدس وماوالاها..» وبيّن ابن العباس المجوسي في الملكي أن أفضله ماجلب من نواحي الشام. ومن أسمائه المشهورة أيضاً الصعتر البري. واسمه Tymus capitatus وهو جنس نبات من الفصيلة الشفوية يستعمل تابلاً. وكان يصنع منه شراب ذكر ابن سينا نسخة له في أقرباذين القانون.

كلمة حاشا كلمة آرامية. قاله الشهابي في معجمه : لم ترد هذه اللفظة في معجمات اللغة العربية وجاءت في كتب المفردات حاشا كما في القانون أو حاشى كما في بعض المراجع الأخرى.

حافر

الحوافر ٣: ٢٣٩

(١) في القانون «عليها زهر» والأصح مانقلته من كتاب ديسقوريدس.

(٢) إلى هنا ينتهي كلام ديسقوريدس.

(٣) كذا في المطبوع الذي اعتمدته، والصواب ثوموس كما في القانون.

◦ منهاج البيان ٧٩ب، والمعتمد ٨٠، والشامل ٢١٢، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٩، ومعجم الألفاظ الزراعية ٥٧٨، ومعجمات اللغة (حفر).

حافر الحمار انظر (حمار)

حافر الفرس انظر (فرس)

من الأدوية الحيوانية التي استخدمت في الطب القديم حوافر الحيوانات، وقد ذكر منها ابن سينا في معالجاته حافر الحمار وحافر الفرس يحرق كل منهما ويسحق فيدخل في تركيب بعض الأدوية، وقد فهرست كلاً منهما مع اسم الحيوان نفسه.

الحافر واحد حوافر الدابة، الخيل والبغال والحمير. وحَدَّهُ الأنطاكي في التذكرة بقوله: «حافر هو غير المشقوق في ذوات الأربع وهو عوض القرن في ذوات الأظلاف، ولم يجتمع القرن والحافر في حيوان إلا الكركدن المعروف بحمار الهند...» هذا عند الأطباء. أما التعريف العلمي الحديث له فهو كما جاء في معجم الشهابي: (Sabot (Ungula حافر. جمع حوافر، ظفر الخيليات يغطي آخر سُلامى الأصابع، وهو مركب من الأجزاء الآتية: نَسْر Fourch-ette وحاميان أو حاميتان mamelles.

حافر اسم فاعل من حفر لأنه يحفر الأرض يجمع على حوافر.

حَالِبِيّ

الحالبي ١: ٢٦٢، ٣٢١

اتخذ ابن سينا هذا الاسم مدخلاً في أدويته المفردة فقال: «الحالبي. الماهية: نبات محلِّل.. يشفي الورم العارض في الحالب» فلم يصف هذا النبات ربما لأنه

• الحاوي ٢٠: ٣٢٨، ومنهاج البيان ٧٩ب، والمختارات ٢:٩، والمفردات ٢: ٣، والشامل ٢١٢، ومالايسع ١٥٩، والتذكرة ١: ٤٨، ومعجم أسماء النبات ٢٥ (١٠) وانظر (اطراطيقوس) في باب الهمزة.

كان قد ذكره رأس مادة في الأدوية المفردة أيضًا باسم اطراطيقوس[١]، لكنه لم يصفه في ذلك الموضع أيضًا واكتفى بذكر فائدته كما فعل هنا.

وهو كما جاء في كتاب ديسقوريدس: «نبات له ساق على طرفه زهر أصفر شبيه بزهر البابونج وبعضه مايضرب لونه إلى الفرفيرية، وله رؤوس مشققة، وورق شبيه في شكله بالكواكب. وأما الورق الذي على الساق فإنه إلى الطول ماهو وعليه زغب، وورق هذا النبات ينفع من التهاب المعدة والأورام.. وزعم قوم أن زهر هذا النبات ... وافق الأورام الحارة العارضة للأُرْبِيَّة[٢]، وزعموا أن من عرض في أربيته ورم إن تناول هذا الزهر وهو يابس بيده اليسرى وشده على الورم سكن الضَرَبان العارض منه». والاسم العلمي لهذا النبات هو Aster tripolium وهو جنس زهر من المركبات الاسطرية.

بين ابن سينا أن اسم الحالبي منسوب إلى الحالب وهو مجرى البول من الكلية إلى المثانة، والمراد هنا موضع الحالب من أسفل البطن.

حاناقيس*

حاناقياس ١: ٣٣٤

حاناقيس ١: ٣٣٤

ورد هذا الاسم في كتاب القانون أثناء الكلام على أصناف اليتّوع الذي جاء فيه «.. وقالوا أيضًا إن اليتوع سبعة أصناف، أحدّ الجميع اليتوع الذي يقال له الذكر واسمه حاناقياس..»

(١) في كتاب ديسقوريدس ٣٥٢ (اسطيراطيقوس) وهو الصواب.

(٢) الأُرْبِيَّة هي منثنى الفخذ على أسفل البطن.

* كتاب ديسقوريدس ٣٦١ (يتوع)، ومفردات ابن البيطار ٤: ٢٠٤ (يتوع). وانظر مادة (يتوع)

كذا وردت اللفظة في كتاب القانون المطبوع بالنون، وهي في كتاب ديسقوريدس وعند ابن البيطار حاراقياس بالراء. وانظر مادة (يتوع) في معجمنا هذا.

حَبّ*

حبّ، حبة، حبوب (طبيعية) ١: ١٦٤، ٢٣٢، ٢٦٣، ٢٧٧، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٢١، ٣٣٣، ٣٦٧، ٣٧٠، ٤٠١، ٤٠٦، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٦٤/ ٢: ١٣٨، ٢٢١، ٢٣٠، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٩، ٥٢٩، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٣، ٦٠٨/ ٣: ١٥٣

حبة، حبوب، حبتان، حبوبات (صنعية)

١: ١٩٧، ١٩٨، ٢٠١، ٢٦٣، ٣١٢، ٣٦٦، ٢: ٢٠، ٦٤، ٦٩، ٨٨، ١٥٢، ١٧١، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٤، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣٠٣، ٣٣٥، ٣٤١، ٣٤٧، ٣٥٩، ٥٩٧، ٣٩٩، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤٣٢، ٤٤٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٩، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٧، ٦١٣/ ٣: ٢٤، ٢٩، ٤٨، ٥٦، ١٤١، ٢٨٣، ٢٩١، ٣٤٠، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤١٠، ٤١٢، ٤٢٩، ٤٣٨.

* اقرباذين القلانسي ٥٥، والشامل ١٧٩، ومالايسع الطبيب جهله ١٦٠، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٩، ١١٠، ومعجمات اللغة (حبب)، والكليات للكفوي ٢: ٢٥١، ومحيط المحيط ١٤١.

حبوب باردة ٢: ٤٨

حب صغار، حبوب صغار ٢: ٤٦٩/ ٣: ٣٦٣، ٣٩٣

حبوب كبار ٢: ٦٩

حبوب لينة منضجة ٢: ٢٢٧

حُبَّ الدواءُ، يُحَبّ ١: ٣٦٩، ٤٢٦/ ٢: ١٥٨، ١٩٢، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٢، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٠٦، ٤٦٢، ٤٨٣/ ٣: ٢٤، ٣٧، ٤٨، ٥٦، ٧٧، ٢٩١، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٢٠، ٤٣٨

مُحَبَّب ٢: ١٠٧/ ٣: ٣٩٣

حبّ (للاستسقاء) ٢: **٣٩٥، ٣٩٧**

حب (لتدبير المزاج البارد في الكبد) ٢: **٣٥٩**

حب (لتسكين القيء) ٢: **٣٤١**

حب (لتنقية المعدة) ٢: **٣٠٣**

حب (للخوانيق) ٢: **٢٠٤**

حب (لعسر النَفَس) ٢: **٤٢٤**

حب (للقولنج) ٢: **٤٦٢**

حب (للمانيا) ٢: **٦٤** (نسختان)

حب مسهل للصفراء ١: ١٩٨

حب مسهل للسوداء ١: ١٩٨

حب هندي ٣: **٣٩٦**، ٤١٠

حب يمسك تحت اللسان ٢: **١٧٧**

أحساء متخذة من الحبوب ١: ١٥٢/ ٢: ٥٣٨

حليب الحبوب الباردة ٢: ٣١٤

لب الحبوب ٢: ٢٣٢

وفيما يلي الحبوب المفهرسة باسم نباتها والمحالة على الموضع الذي يقتضيه الاسم المضاف إليه: حب الأترج، حب الآس، حب اسطوخودس، حب الأشقيل، حب الاصطمحيقون، حب الأفاويه، حب الأفتيمون، حب الأفسنتين، حب الأفيون، حب الأميرباريس، حب الأنجدان، حب الأنجرة، حب الأوفربيون (انظر فربيون)، حب الإيارج، حب البابونج، حب باذاورد، حب البان، حب البرنج (برنك)، حب البزور (بزر)، حب البطيخ، حب البلسان، حب البنج، حب البوزندان، حب التربد، حب ثمرة البلسان، حب الجاورس، حب الجاوشير، حب الجرجير، حب الحاشا، حب الحرمل، حب الحصرم، حب الحنظل، حب الخبازى، حب الخبز، حب الخربق، حب الخردل، حب الخروع، حب الخشخاش، حب الخطمي، حب الخيار، حب الدادي، حب الدبق، حب الدند، حب الدهمست، حب الديمست (دهمست)، حب الرازيانج، حب الرواند، حب الرشاد، حب رعي الحمام، حب الرمان، حب الزبيب، حب الزربناد، حب الزيتون، حب السرو، حب السفرجل، حب السقمونيا، حب السكبينج، حب السندروس، حب السورنجان، حب الشاهترج، حب الشبث، حب الشبرم، حب شجرة زوفرا (زوفرا)، حب الشيطرج، حبوب صبرية (صبر)، حب الصنوبر، حب الطرفاء، حب العرعر، حب العنب، حب عود الصليب، حب الغار، حب الفاريقون، حب الغافت، حب الفاشرا، حب الفاوانيا، حب الفجل، حب الفربيون، حب الفلفل، حب الفوفل، حب الفيلزهرج، حب القاقلّى، حب القُرَّيص، حب القرطم، حب القثاء، حب القرع، حب القرنفل، حب القطن، حب القند، حب القوقايا، حب الكاكنج، حب الكبر، حب الكراويا، حب الكرسنة، حب الكرفس، حب الكرم، حب الكرمدانة، حب الكلكلانج، حب كما دريوس، حب الكمثرى، حب

اللازورد، حب اللبلاب، حب اللبنى، حب المازريون، حب الماهنودانه (ماهودانة)، حب المحلب، حب المصطكى، حب المقل، حب الملح، حب الماهودانة،حب الخيارشنبر، حب المرو، حب المقل، حب الميسم، حب الميعة، حب النشاء، حب النيلوفر، حب الهرطمان، حب ورق الغرب (غرب)، حب اليبروح، حب اليتوع.

في لفظ الحبّ اصطلاحان: أولهما الحب الذي يراد به بذور النباتات عامة وقد يخص به بعضها وهو ماتذكره عادة معجمات اللغة. قال الكفوي في الكليات: «الحب بالفتح جنس الحنطة والشعير والأرز وغيرها من أجناس الحبوبات..» وهذا الاصطلاح تكرر بوجهٍ خاص في كتاب الأدوية المفردة وأثناء الكلام على التغذية. وماورد في القانون من حبوب النبات على اختلاف أصنافه ألحقتُ كلاً باسم نباته إلا ماكان اشتهر في كتب المفردات مقرونًا باسم الحب عَلَمًا عليه مثل حب الزلم وحب الملوك وحب النيل... فذكرته مدخلاً قائمًا بذاته في الموضع الذي يقتضيه ترتيب حروفه.

والاصطلاح الثاني هو ماصنع من الأدوية المركبة على هيئة الحبوب. قال القلانسي في أقرباذينه «الحب ماحبِّبَ على هيئة الحبات أي جعل على هيئتها وجمعه حبوب، والحبوب ضروب منها للإسهال ومنها للسعال ومنها.. وجميعها يعمل مثل الحبوب مدورة ومطولة صغارًا وكبارًا» وفي محيط المحيط: «الحب عند الأطباء مايعمل من الأدوية المجبولة كتلاً مستديرة بقدر الحمّص فإن كانت أعظم من ذلك يقل لها البنادق». وهذا الاصطلاح يتكرر غالبًا في القراباذين والمعالجات وسأذكر كلاً من هذه الحبوب بالترتيب الذي يقتضيه لفظها أيضًا متداخلة مع الحبوب الأولى .وقد سبق أن ذكرت مانسب منها إلى العقار الأساسي في تركيبه محالاً على اسم ذلك العقار.

حب ابن الحارث*

حب ابن الحارث ٣: **٣٩٤**، ٤١١

ذكر ابن سينا بيانه في أقرباذين القانون وقال إنه يزيل البهق الفاحش في ثلاثة أيام، وينفع من الحمى وأوجاع المفاصل.. ومن أخلاطه الهليلجات والصبر وشحم الحنظل والصعتر الفارسي .. الخ. وجاء مثل هذا أيضًا في أقرباذين القلانسي.

حب ابن هبيرة

حب ابن هبيرة ٣: **٣٩٤**، ٤١١

ذكره ابن سينا أيضًا في الموضعين اللذين ذكر فيهما الحب السابق وبين فوائده وتركيبه فقال إنه المُجمع عليه الظاهر النفع في الرياح والصفراء ورياح البواسير.. وبيَّن أخلاطه ومنها الهليلجات أيضًا وجوزبوا والصبر وغيرها.

حب أفلاطون

حب أفلاطون ٢: ٢١٢

هو من الحبوب المركبة التي صنعها أفلاطون فنسبت إليه ولم يذكر ابن سينا تفصيل مفرداته، لكنه ورد عرضًا في بعض المعالجات ولاشك أنه كان معروفًا في عهده مشهورًا يستعمل في ذلك الموضع. ومع ذلك أوضح ابن سينا أنه حب يصنع من الميعة فقال: حب أفلاطون وهو حب الميعة.

حب البرمكي**

حب البرمكي ٣: **٣٩٣**، ٤٠٨، ٤١١

حب دواء البرمكي ٣: ٤١٢

---

* أقرباذين القلانسي ١٢٦.

** أقرباذين القلانسي ١٢٦.

هو حب مركب ذكر ابن سينا بيانه في أقرباذين القانون وقال إنه ينفع من الأورام، ومن أبرز العقاقير الداخلة في تركيبه الصبر وشحم الحنظل وبعض الأفاويه. ونجد النسخة نفسها في أقرباذين القلانسي.

حب بهرام

حب بهرام ٢: ٣٩٥

ذكره ابن سينا في جملة أدوية مركبة تنفع من الاستسقاء، لكنه لم يبين تركيبه. ولم أجده بهذا الاسم في المراجع.

حب بيمارستاني

الحب البيمارستاني ٢: ٩٣

ذكر ابن سينا هذا الحب فيما يستعمل للاستفراغ علاجًا للفالج، ولم يبين ماتركيبه، والظاهر أنه حب معروف كان يستعمل في البيمارستان.

حب الجاثليق*

حب الجاثليق ٣: ٣٩٢

هو حب مركب مسهل ذكر ابن سينا تفصيله في أقرباذين القانون، ونقله منه ابن الكتبي في تركيب مالايسع الطبيب جهله فقال: «حب الجاثليق من القانون وهو حب مسهل...» فأتى بما جاء في القانون ثم ذكر نسختين أخريين لهذا الحب نفسه.

الحب الجامع لابن جهم**

بيان الحب الجامع لابن جهم ٣: ٣٩٤

---

* تركيب مالايسع الطبيب جهله ٣٠ أ حب الجاثليق من القانون، حب الجاثليق آخر.

** تركيب مالايسع الطبيب جهله ٣٠ أ حب آخر ويسمى الجامع.

ذكر ابن سينا بيانه مفصلاً في القانون وقال إنه ينفع الرأس والمعدة والكبد..الخ وفي تركيب مالايسع الطبيب جهله حبٌّ قال ابن الكتبي إنه يدعى الجامع ولم ينسبه لابن الجهم ولم يقل إنه نقله من ابن سينا مع أنه مطابق لما في القانون.

حب الخمسة

حب الخمسة ٢: ٣٩٥

ذكره ابن سينا أثناء تعداده للأدوية النافعة من الاستسقاء ولم يبين ماهي مفرداته الخمسة. ووجدت في أقراباذين القلانسي حبًا مؤلفًا من خمسة أخلاط قال إنه يخرج الديدان الطوال، وفي مالايسع الطبيب جهله أنواع من الحبوب النافعة للاستسقاء أحدها ذو خمسة أخلاط، ولكن أيًا من المؤلفَيْن لم يسم مركبَه حب الخمسة.

حب خوري

الحب الخوري ١: ١٥٦

ورد هذا الاسم في القانون في جملة أدوية مفردة يُصنع منها دواءٌ لتنويم الأطفال. فكتب في طبعة بولاق «الخوري» بالراء، وفي طبعة رومة «الجوزي» بالجيم والزاي، وكذلك هو أيضًا في مخطوطتين من مخطوطات القانون، وهو في المصورة ومخطوطة ثالثة «الخوزي» بالخاء والزاي وهذا الوجه هو ما أُرجّحه نسبة إلى الخوز، وهم شعب معروف يسكن منطقة الأهواز المعروفة باسم خوزستان.

حب الدوري*

بيان حب الدوري من كتاب القَهلمان [1] ٣: ٣٩٣

هو حب مركَّب مما ورد بيانه في كتاب الأدوية المركبة في القانون، وقال إنه يطيب النكهة ويجلو البصر، ويشهي الطعام .. وأخلاطه قرفة وقرنوة وفوّة وكزبرة وهيل بوا وغيرها. وجدت مثيل هذا الحب استطباباً وتركيباً في تركيب مالايسع الطبيب جهله لكنه لم يسمه باسم معين ولانسبه إلى طبيب أو كتاب.

حب الذهب**

حب الذهب ٢: ١٤٣، ٤٥٩

هو حب مركب ورد ذكره مرتين في كتاب القانون دون بيان تركيبه. الأولى في علاج بعض أمراض البصر، والأخرى في علاج القولنج. نسبه داود الأنطاكي في تذكرته إلى ابن سينا فقال: «حبّ الذهب وهو الموسوم بحب الصبر وهو من تراكيب رئيس الفضلاء ابن سينا» وذكر له فوائد كثيرة جداًحتى قال: «وبالجملة فملازمته تغني عن الأدوية». لكنني وجدت هذا الحب في الكتاب الملكي الذي ألفه علي بن العباس المجوسي قبل ابن سينا بنحو نصف قرن وفيه: «صفة حب الذهب النافع من أوجاع الرأس ويجلو البصر وينقي البدن: يؤخذ صبر اسقوطري عشرون درهمًا، هليلج أصفر عشرة دراهم، مصطكى وكثيراء وسقمونيا وزعفران من كل واحد ثلاثة دراهم، ورد أحمر منزوع الأقماع خمسة دراهم. يدق الجميع ناعمًا، وينخل بحريرة، ويعجن بماء، ويحبَّب كبارًا، ويجفف

---

* تركيب مالايسع الطبيب جهله ٣٠أ

(١) وردت اللفظة في المطبوع المعتمد بالفاء والصواب ما أثبته، القلهمان هو أحد الأطباء القدامى ممن عاصروا الاسكندرانيين. انظر عيون الأنباء ١: ١٠٩= ١٥٩

** الكتاب الملكي ٢: ٥٥٦، ومنهاج البيان ٨٣ب، وأقرباذين القلانسي ١١٣، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٣٠ب، وتذكرة أولي الألباب ١: ١١٠.

في الظل. والشربة من درهمين إلى درهمين ونصف» وهو في المراجع الأخرى بنفس التركيب تمامًا ولم ينسب المجوسي هذا الحب إلى نفسه أو إلى غيره، وأظنه من الحبوب المعروفة منذ القديم، واشتهر بهذا الاسم بسبب لونه.

حب الربو

حب الربو ١: ٣٠٤/ ٢: ٢٢٣

حب مركب ذكر في القانون مرتين الأولى في كتاب الأدوية المفردة في أثناء كلام ابن سينا على الزرنيخ حيث قال إنه قد يدخل في تركيب حب الربو. والأخرى في كلامه على علاجات ضيق النَفَس حيث قال: «ومن الأدوية القوية الزرنيخ بالراتينج يُتَّخذ منه حب للربو» لكنه لم يبين طريقة صناعة هذا الحب. وفي القراباذينات كثير من الحبوب النافعة من الربو لكنني لم أعثر فيها على حب يدخل الزرنيخ في تركيبه.

حب الرَّشَاد*

حب الرشاد ١: ١٩٩/ ٢: ٢٢١، ٤٥١، ٥٣٩، ٦١٣/ ٣: ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٥٨، ٣٩٣

حب الرشاد الأبيض ٣: ٣٥٣

حب الرشاد المقلو ٣: ٣٥٩

دهن الرشاد ٣: ٤٠٨، ٤١١

هو أحد العقاقير المفردة، لم يذكره ابن سينا بهذا الاسم مادة من مفرداته لا في فصل الحاء ولا الراء، لكنه تكرر في أثناء المعالجات.

* كتاب النبات ١: ٨٣، والملكي ١: ١٨٥، ومنهاج البيان ١٣٣أ، والمختارات ٢: ٩٨ومفيد العلوم ٥٢، ومفردات ابن البيطار ٢: ٥، وتذكرة أولي الألباب ١: ٦١، ومعجم أسماء النبات ١٢٤ (١). وانظر (حرف).

وحب الرشاد هو الاسم المعروف عند العامة للحُرُف، الذي ذكرته المراجع باسم رشاد وباسم حب الرشاد. قال أبو حنيفة في كتاب النبات: «الثُفَاء هو الحرف الذي تسميه العامة حب الرشاد، وقد جاء فيه خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم». وفي مفيد العلوم: «رشاد هو النبات المعروف بالحرف..». راجع مادة (حرف) التي ستلي في هذا الباب.

حب الزَّلَم*

حب الزلم ١: **٣٢١**/ ٢: ٥٣٩، ٥٤١، ٣٧٤.

هو عقار ذكره ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة في القانون فقال: «الماهية: هي حبة طيبة الطعم جداً، وينبت بشهر زور.. مسمّن..» وجاء في المراجع الأخرى أنه يعرف بمصر بحب العزيز لأنه كان يحبّه، وبالأندلس بفلفل السودان .. وقال ابن الحشاء في مفيد العلوم «هي أصول نبات يشبه السعد»، وفصل ابن البيطار في صفة نباته فقال: «هو نبات كالقصب الرقيق والديس لابزر له ولا زهر، له عروق كثيرة تحت الأرض، فيها حب مفرطح في طعمه حلاوة، يؤكل، ويسمى حب الزلم، وهو المعروف عندنا بالأندلس وبالمغرب أيضًا فلفل السودان. يُزرع عندنا زرعًا كثيراً. وأكثر نباته بالزابات من أعمال إفريقية، وهو بري عندهم..» ووصف حبه نقلاً عن ابن وافد فقال: «هو حب دسم مفرطح أكبر من الحمص قليلاً، أصفر الظاهر، أبيض الباطن، طيب الطعم، لذيذ المذاق، ويُجلب من بلاد البربر..» والذي في المراجع القديمة الأخرى لا يخرج عما ورد في كتاب ابن البيطار.

---

* الحاوي ٢٠: ٣٣٢، والملكي ٢: ١١٤، والصيدنة ٢٠٦، ومنهاج البيان ٨١ب، والمختارات ٢: ٩٥، وشرح أسماء العقار ١٩ (١٦١)، ومفيد العلوم ٥٧ (زلم)، ومفردات ابن البيطار ٢: ٤، ١٦٦ (زلم)، والشامل ١٨٠، والمعتمد ٨٠، ومالايسع ١٦٠، وحديقة الأزهار ١٢٠ (١٢٧)، وقاموس الأطباء ٢: ١٠١ وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٩، ومعجم أسماء النبات ٦٦ (٢)، ومعجم الشهابي ٢٠٩، ومحيط المحيط ٢٧٧.

الاسم العلمي لهذا النبات هو Cyperus esculentus من الفصيلة السعدية من وحيدات الفلقة تتخلل جذوره درناتٌ سمر صغار في جوفها شحمة بيضاء دقيقة حلوة تؤكل. كذا في معجم الألفاظ الزراعية.

ضبطت الزلم في معجمات اللغة بالتحريك وكصُرَد.

حب السعال*

حب السعال، حبوب السعال ٢: ٢٣٠/ ٣: ٣٢

حب السعال المعروف ٢: ٢٣١

حب للسعال ٣: **٤٢٨**

حبوب السعال البارد ٢: ٢٣٢

حبوب السعال الحار ٢: ٢٣١

حب ينفع كل سعال ٣: **٤٢٨**

هو حب مركب ذو نسخ عدة يتداوى بها من السعال، ذكر ابن سينا بعضها في أقرباذين القانون. وفي غيره من المراجع نسخ بعضها منقول من القانون. ويدخل في تركيب هذا النوع من الحبوب عدد من المسكنات والمنومات كالخشخاش والأفيون، وعدد من الصموغ كالكثيراء والميعة، والحبوب الدسمة كاللوز والبندق، تضاف إليها أفاوية، ثم تُجمع بالعسل.

حب السمنة**

حب السمنة ١: ١٥٦، ٤٣٤، ٣/٣٢٢: ٣٠٢، ٣٠٣

---

* الملكي ٢: ٥٦١، ومنهاج البيان ٨٨ب، وأقرباذين القلانسي ١٢٠، ١٢٦، ١٢٨، والتذكرة ١: ١١٢.

** الحاوي ٢٠: ٣٣١/ ٢٢: ٣٠، والملكي ٢: ١١٤، والصيدنة ١٤٨، ٢٣٣، ومنهاج البيان ٨١أ، والمختارات ٢: ٩٦ ومفيد العلوم ٣٥، ومفردات ابن البيطار ٢: ٤، والمعتمد ٨٠، ومالايسع الطبيب جهله ١٦١، وقاموس الأطباء ٢: ١٦٢، ومعجم أسماء النبات ٣٨ (٧).

ثمرة حب السمنة ١: ٣٢٢

عقّار نباتي، ذكره ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة فقال: «الماهية: شجرة قفرية على قدر الذراع أبيض الورق ليس بشديد البياض، ثمرته كالفلفل، دهني لبني، قال بعضهم هو بزر صامريوما.. يسمّن ويحسن .. يبطؤ في المعدة..». وقد نقل البيروني وابن البيطار وصف هذا العقار عن ابن جريج وهو: «شجرة تنبت في القفار على قدر ذراع، ورقها أبيض ليس بشديد البياض، يحمل ثمرة على قدر الفلفل، لها لبن، ولحبها زهر». وعن حبيش أنه قد يسمى شهدانج البر، وعن صاحب الكافي أنها هي صامريوما. وأفاد ابن الحشاء أن نبات حب السمنة غير معروف بالمغرب. أما مؤلف الشامل فقال: «حب السمنة. هذا حب دهن على قدر الفلفل، هو حب شجر مصري على قدر الذراع، ورقه إلى البياض، وهو حار رطب دهن، يبطيء في المعدة، وإذا انهضم غذّى كثيراً، ويسمّن.. ويسمى هذا الحب شهدانج البر» ومثله أيضًا في قاموس الأطباء. الاسم العلمي لهذا النبات هو Cannabis sativa. ويعرف في بلادنا باسم القُنّب.

حب الشبيار*

حب الشبيار، حبوب الشبيار ٢: ٢٢، ٥٩، ٦٤، ١٥٢، ١٥٣

هي حبوب مركبة معروفة لم يبين ابن سينا تركيبها لكنها مفصلة في المراجع. وأساسها الصبر، وهي تنفع من أوجاع المعدة وتسهل إسهالاً خفيفًا.

كلمة شبيار معرّبة من الفارسية يقابلها بالعربية الصبر. قال القلانسي في أقرباذينه «حب الشبيار هو حب الصبر لأن الشبيار بالفارسية هو الصبر. كذا

---

* منهاج البيان ٧٩ب، وأقرباذين القلانسي ٥١، ومنهاج الدكان ٩٢، وتركيب مالايسع ٣٠ب، ٨٣ب، وتذكرة الأنطاكي ١: ١١١، وبرهان قاطع ٣: ١٢٤٨ (شب يار).

أورده الأستاذ أبو الفرج بن هندو[١] في كتابه المسمى بمفتاح الطب»، وجاء في منهاج الدكان لأبي المنى الإسرائيلي: «حب الشبيار معناه بالفارسية رفيق الليل، يستعمل بالليل وينام عليه فيفعل فعله بلا أذى..» والذي وجدته في المعجمات الفارسية: شب يار تعني الصبر بالعربية، ومعروف أيضًا أن شب بالفارسية معناها الليل ويار الصديق.

حب الشعثا

حب الشعثا ٢: ٣٩٥

عرض هذا الاسم في القانون في ضمن أدوية مركبة تنفع من الاستسقاء الزقي. ولم يبيّن تركيبه.

حبّ الضُّرَاط*

حب الضراط ٢: ٤٦٢

ذكره ابن سينا في جملة أدوية مسهلة حيث قال: «وجميع اليتّوعات تحل ألبانها القولنج مثل اللاعية ومثل الشبرم ونحوه ويعرف حبه بحب الضراط...»

وجدت في منهاج البيان والمختارات وتذكرة داود الأنطاكي أن المازريون هو حب الضراط، وعلى كل حال فالمازريون والشبرم كلاهما من اليتوعات ذات الألبان.

---

(١) هو علي بن الحسين بن هندو حكيم طبيب شاعر (ت ٤٢٠) أشهر كتبه مفتاح الطب وهو مقالة في عشرة أبواب. عيون الأنباء (١: ٣٢٣) = (٤٢٩)، وتاريخ حكماء الإسلام ٩٣. وفوات الوفيات ٢: ٤٥، ومعجم المؤلفين ٧: ٨٢.

* منهاج البيان ٧٩ب، والمختارات ٢: ٩٨ وتذكرة أولي الألباب ١: ١١٠.

حبّ العَرُوس*

حب العروس ١: ٣٧٥

في كتاب الأدوية المفردة تكلم ابن سينا على النيلوفر فقال: هو كرنب الماء، ويسمى حب العروس فيما يقال. وفيه خلاف..»

تابعه ابن جزلة في المنهاج دون أن يشير إلى الخلاف. أما ابن البيطار فقال في مفرداته: «حب العروس هو الكبابة» وتابعه القوصوني في قاموس الأطباء، واعتمده الأمير مصطفى الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية. وذكرت سائر المراجع الوجهين معًا. قال ابن الكتبي: «حب العروس هو الكبابة، وقيل حب النيلوفر». وفي تذكرة الأنطاكي: حب العروس اللينوفر الهندي أو الكبابة. وفي معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى ذُكر هذا المصطلح في ترجمة عدد من العقاقير منها الكبابة ومنها النيلوفر.

حبّ الفَقْد**

حب الفقد ٢: ٣٠٧، ٣٧٦، ٤١٣، ٤١٦، ٤١٧

بزر الفقد ٢: ٤٩١، ٦٠٢.

تكرر ذكره في القانون في أثناء المعالجات، لكنه لم يرد في كتاب الأدوية

---

* منهاج البيان ٨١ب، والمختارات ٢: ٩٧ ومفردات ابن البيطار ٢: ٥، ومالايسع ١٦٢. وقاموس الأطباء ١: ٢١٦، وتذكرة الأنطاكي ١: ١١٠، ومعجم أسماء النبات ١ (٦)، ٥٧ (٢٠)، ١٢٥ (١٥) العروس، ١٤١ (٢)، ومعجم الألفاظ الزراعية ٥٣٥ وانظر (كبابة) و (نيلوفر).

** منهاج البيان ٨٢أ، ومفيد العلوم ٣٦، والمختارات ٢: ٩٦ ومفردات ابن البيطار ٣: ١٦٥، والشامل ١٨٠، والمعتمد ٨٢، ومالايسع ١٦٢، ومعجم أسماء النبات ١٩٠ (١)، والقاموس واللسان والتاج (فقد).

المفردة. وعرّف في كتب المفردات بأنه حب البنجنكشت. قال ابن البيطار إنه «سمي بذلك لأنه يفقد النسل فيما زعموا. قال أبو حنيفة إنه يلقى في شراب العسل فيشده..» وذكرت المراجع الأخرى من أسمائه أيضًا الفليفلة، وفلفل الصقالبة، وحب الطاهرة، وبزر سبسبان، وغيرها. اسمه العلمي هو Vitex agnus castus.

ضبط ابن البيطار هذا الاسم بقوله: «حب الفقد بفتح الفاء والقاف..» وهكذا ضبط أيضًا في لسان العرب ضبط قلم. ثم خطّأ الفيروزابادي هذا الضبط إذ قال في القاموس: «والفَقْد ولايحرك، ووهم الأزهري، نبات وشراب من زبيب أو عسل.». الخ» وهذا الضبط هو ما اختاره الدكتور أحمد عيسى ومحققو كتب المفردات المحدثين.

حب فنقدس*

عصارة الحب المنسوب إلى جزيرة فنقدس ٢: ١٤٧ [الصواب قنيدُس]

عرض هذا الاسم في جملة عقاقير تدخل في تركيب دواء ينفع من الماء في العين. وكتب اسم الجزيرة فنقدس بالفاء ثم القاف في القانون بطبعتيه، وفي المصورة قيقيدس.

مما جاء في مفردات ابن البيطار قوله: «حبة فندية[1]: هو حبة المثنان[2]، منسوبة إلى جزيرة فنيدس، وهي الكرمدانة وسنذكرها مع المثنان في الميم». الاسم العلمي لهذا الحب كما في معجم الدكتور أحمد عيسى هو Coccus cnidios

* كتاب ديسقوريدس ٥٦٥ (ثومالا)، ومفردات ابن البيطار ٢: ٥، ومعجم أسماء النبات ٦٨ (٥).

(١) كذا، والصواب قندية.

(٢) في المرجع ميتان.

ومن أسمائه في هذا المعجم المثنان والكرمدانة وحب السمنة وقوقص قنيدس... وقد ذكر ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء[١] جزيرة اسمها قنيدس هي إحدى ثلاث جزائر قال القدماء إن الطب ظهر فيها. ولفظ قنيدس هو الصواب في اسم هذه الجزيرة ولذلك يسمى الحب الذي ينسب إليها حبة قندية.

حب فيلغريوس

حب فيلغريوس ٢: **٣٩٥**

هو حب مركَّب منسوب إلى فيلغريوس الطبيب اليوناني الذي تكرر ذكره في القانون عشرين مرة، وعده ابن أبي أصيبعة[٢] في طبقات الأطباء الذي كانوا منذ زمان جالينوس وقريبًا منه. أمّا هذا الحب المنسوب إليه فقد أورد ابن سينا نسخته كاملة مفصلة فقال: «يؤخذ توبال النحاس وورق المازريون وبزر أنيسون من كل واحد جزء، ويتخذ منه حبٌّ، ويسقى القوي منها مثقالاً والضعيف درهمًا» لعلاج الاستسقاء.

حبّ القِلْقِل*

حيب القلقل ١: **٣٢٢**/ ٢: ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٤

حب القلقل أبيض ١: ٣٢٢

حب القلقل الصغير ١: ٣٢٣

حب القلقل المقلي ١: ٣٢٢

---

(١) عيون الأنباء (١: ٥) = (١٢).

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١: ١٠٣) = ١٥٠.

* الحاوي ٢٠: ٣٣١/ ٢١: ٣٠٧، ومنهاج البيان ٨٢أ، والمختارات ٢: ٩٦ ومفردات ابن البيطار ٤: ٢٨، والمعتمد ٨٢، وتذكرة الأنطاكي ١: ٢٥٠، ومعجم أسماء النبات ٤٣ (١)، ومعجم الألفاظ الزراعية ١٢٨، ٢٠٠، ومعجمات اللغة (قلل).

ذكره ابن سينا في فصل الحاء من كتاب الأدوية المفردة فقال الماهية: الأبيض منه أكبر من القرطم، ليس بخالص الاستدارة، ينكسر عن لب دهني طيب الطعم. قال بعضهم هو بزر الرمان السري. قال هذا القائل: وأصله المغاث فيما يظن..» ذكر من أفعاله أنه يقوي الأبدان المسترخية، ويسخن لكنه مصدع، والإكثار منه يتخم..» والصغير شديد اللذع للمعدة.

القلقل مما ذكرته معجمات اللغة وكتب النبات، فنقلت وصف أبي حنيفة له وهو: «شجرة خضراء تنهض على ساق، ونباتها الآكام دون الرياض، ولها حب كحب اللوبيا حلو طيب يؤكل، والسائمة حريصة على أكله. ومنابته الغليظ والجلد من الأرض. وحب القلقل مهيج على النكاح يأكله الناس لذلك، ويقال القلقل وقلقلان وقلاقل». ونقل ابن البيطار عن أبي عمران أن «القلقلان أحمر بطون الورق أحمر ظهورها[1]، والقلقل من النبات الذي إذا جف ثم هبت عليه الريح كان له جرس وزجل» تُرجم اسم هذا النبات بالاسم العلمي Cassia tora جاء هذا في معجم الدكتور أحمد عيسى، ومعجم الأمير الشهابي[2]، لكن مايرهوف رَجَّح أن يكون القلقل نوعًا من جنسCrotalaria ومعناه اليوناني الصنجيّة إشارة إلى صوت الحبات في السنفة اليابسة عندما تجف، نقله الشهابي في معجمه[3]، ويؤيده ماجاء في لسان العرب:«قيل: القلقل ينبت في الجلد وغلظ السهل، ولا يكاد ينبت في الجبال، وله سنف أفيطح ينبت في حبات كأنهن العدس، فإذا يبس فانتفخ وهبت به الريح، سمعت تقلقله كأنه جرس..» ثم نقل كلام أبي حنيفة، وأتمه بقوله: «وأنشد:

(١) لعل إحدى الصفتين هي أخضر بدلاً من أحمر.

(٢) معجم الألفاظ الزراعية ١٢٨.

(٣) المرجع نفسه ٢٠٠.

كأن صوتَ حَلْيِها إذا انْجَفلْ هز رياح قلقلانًا قد ذبل

ضبط القلقل في القاموس كزبرج أي بكسر القافين، أما قلقلان وقلاقل فبضمهما قال: والعامة تقول الفلفل بالفاء، وهو خطأ.

حبّ قوقايا*

حب القوقايا ٢: ٢٠، ٣٨، ١٤٤، ١٦٨، ١٧٦، ٢٣٥، ٢٥٦/ ٣: ٢٦٨، ٢٦٩.

حب القوقاي ٢: ١٠٧/ ٣: ١٣٩

قوقايا ٢: ٤٢، ٧٥، ٢٠٤، ٢٥٨

معجون جالينوس المنسوب إلى قوقا ٢: ٢٦٨

هو حب مركب تكرر ذكره في معالجات القانون، وبخاصة في معالجة أمراض الرأس لكنه لم يرد في أقرباذين القانون، ولم يشرح ابن سينا تركيبه ربما لشهرته في عالم الطب. وهو يعرف باسم آخر هو حب جالينوس نسبة إلى الطبيب اليوناني الذي ركبه.

ذكرت القراباذينات هذا الحب باسميه المعروفين، حب القوقايا، وحب جالينوس، ومنهم من فصل طريقة صنعه كابن جزلة الذي قال في المنهاج: «حب القوقايا، وهو حب جالينوس ينفع من أوجاع الرأس البلغمية ويجلو البصر ويخرج الفضلات الرديئة من البدن. وصنعته: صبر اسقوطري وعصارة الأفسنتين وورقه ومصطكى من كل واحد جزء، سقمونيا وشحم حنظل من كل واحد نصف جزء. يعجن بعد دقه ونخله، بماء أو بماء الكرفس المُغْلى، ويحبّب والشربة منه مثقال».

* منهاج البيان ٨٣ب، وأقرباذين القلانسي ١١٥، ٥٢٠، ومفيد العلوم ١١٢، وتركيب مالابيسع ٣٠ب، والتذكرة ١: ١١١

اسم هذا الحب معرب كما هو واضح. قال القلانسي[١]: «قوقايا: حب معروف أكثر عمله في تنقية الرأس، ولهذا سمي بهذا الاسم لأن قوقايا بالسريانية هو الرأس».

حب قيرس*

حب قيرس ٢: ٣٩٧

ذكر هذا الحب في القانون مرة واحدة حيث نقل ابن سينا ما قاله جالينوس في علاج مُسْتَسقى حار الاستسقاء: «... وضمدت كبده بالباردة وبحب قيرس وبالمازريون المنقع بالخل...»

جاء في كتاب ديسقوريدس قوله: «قيروس هو الموم. أجوده ما كان علكًا طيب الرائحة..» ثم بين طرق تكريره وتبييضه وصنعه أقراصًا وحبوبًا. وقال ابن سينا في القانون إن الموم هو الشمع، وفي مفردات ابن البيطار «قيرس هو الشمع باليونانية. وأهل المغرب يسمون الشمع قيرا..» وقلما يستعمل الأطباء هذا الاسم المعرَّب للشمع، وقد يرد في كلام ينقلونه عن اليونانيين كما مر في القانون.

فحبّ قيرس إذًا معناه حب الشمع وهو معرب من اليونانية.

الحبّ الماهاني**

الحب الماهاني ٣: ٣٩١

في المقالة التاسعة من اقرباذين القانون أورد ابن سينا بعض الحبوب المركبة ومنها الحب المنتن الذي بيَّنه على عدة نسخ. أولها ماسماه حب المنتن الأكبر قال

---

(١) الاقرباذين ٥٢٠.

* كتاب ديسقوريدس ١٧٣، ومفردات ابن البيطار ٤: ٤٢.

** انظر مراجع (حب منتن).

في بيان نسخته «وهو ينفض الأخلاط الغليظة ويفتح السدد، وينفع من وجع المفاصل والخاصرة والبرص والبهق والجذام وداء الفيل. وهو الحب المعروف بالماهاني..» ثم ذكر أخلاطه.

وجدت في المراجع عدة نسخ للحب المنتن الأكبر وغيره، ولكن أيًا منها لم يذكره باسم الحب الماهاني. والماهاني نسبة إلى ماهان وهي مدينة بكرمان ولعل هذا الحب نسب إلى بعض أهلها.

حب الملوك*

حب الملوك ١: ٣٦٩/ ٢: ٦١٩

جاء في كتاب الأدوية المفردة قول ابن سينا: «ماهودانه. الماهية: هو الذي يقال له حب الملوك. وشجرته تسمى في بلادنا السيسبان»

وفي المراجع مثل الذي في القانون. فهذا النبات إذًا هو مايعرف علميًا باسم Euphorbia lathyris. وقد يطلق هذا الاسم على نباتات أخرى لم يُردها ابن سينا حيث استخدم هذا الاسم في القانون. كما يطلق اسم حب الملوك على دواء مركب بينّه ابن الكتبي في تركيب مالايسع الطبيب جهله.

حب المنتن**

حب المنتن ٢: ٩٣، ٣٣٥، ٤٤٩، ٥٧٤، ٦٠١،

---

* الصيدنة ١٤٨، ومختارات ابن هبل ٢: ٩٦، والشامل ١٨٠، والمعتمد ٨١، ومالايسع الطبيب جهله ١٦٠، وتركيب مالايسع ٣٣ب، وتذكرة الأنطاكي ١: ١١٠، ومعجم أسماء النبات. ٦٠ (١٩)، ٧٩ (١٩)، ١٠١ (١٨).

** الكتاب الملكي ٢: ٥٥٧ (نسختان)، ومنهاج البيان فيما يستعمله الإنسان ٨٤أ، ومفيد العلوم ٣٨، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٣١أ (نسختان).

٦١٢، ٦١٣، ٦١٩، ٦٢٧/ ٣: ٣٠،
٢٨٥

حب المنتن الأصغر ٣: **٣٩١**

حب المنتن الأكبر ٣: **٣٩١**

حب المنتن الأكبر النافع من القولنج ٣: **٣٩١**

حب المنتن للكندي ٣: **٣٩١**

ذكره ابن سينا في اقرباذين القانون ضمن المقالة التاسعة في السلاقات والحبوب، حيث أورد ثلاث نسخ منه. سمى الأولى حب المنتن الأكبر، والثانية حب المنتن الأصغر، والثالثة حب المنتن للكندي، وكلها تنفع من آلام المفاصل، ويدخل في تركيبها الجاوشير والسكبينج وشحم الحنظل وبعض الصموغ وغيرها.

نقلت المراجع نسختَي الأصغر والأكبر، وتفرَّد ابن سينا بنقل نسخة الكندي. وما يسمى عادة في كتب الأدوية المركبة دواء أصغر يكون نسخة مختصرة عن الأكبر، أي حذفت منها بعض المفردات الداخلة في الأكبر.

حب الميسم

في القانون، كتاب الأدوية المفردة، مدخلان أحدهما باسم حب الميسم، والآخر باسم ميسم، وعند التحقيق يتبين أن المراد بهما عقار واحد، وقع في وصفه وتحديد ماهيته تداخل واضطراب، وسيناقش في مادة (ميسم) فاطلبها في باب الميم من هذا المعجم.

سليمان البستاني

مترجِمًا وناقِدًا مقارِنًا

د. ممدوح أبو الوي

مقدمة:

اليوم ودائمًا كانت هناك دعوات للمثاقفة وحوار الحضارات, ولعل الترجمة من أهم سبل التواصل بين الشعوب، وهي ضرورية لكل الآداب, الغنية والتي هي أقل غنىً, وما تقوقع أدبٌ على ذاته إلا أصابه الضعف.

ولقد تأثرت كل الآداب بعضها ببعض, فلقد تأثر الأدب الروسي على سبيل المثال بالأدب العربي, وهذا ما أثبتته الدكتورة مكارم الغمري في كتابها «مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي» فلقد قدمت الأدلة الكافية على تأثر عمالقة الأدب الروسي بالأدب العربي, مثل بوشكين, ليرمنتوف, تولستوي, بونين, وغيرهم.

والترجمة هي أهم وسيلة من وسائل النهضة والتقدم, فنهضت الأمة العربية في عهد محمد علي الذي اهتم كثيرًا بالترجمة والمترجمين, وأحدث قلمًا للترجمة عام ١٨٣٥, وكذلك الأمر في القرن العشرين. وفي عصر ازدهار الأدب العربي في العصر العباسي أحدث الخليفة المأمون دار الحكمة، وهو معهد علمي كان يهتم بالترجمة , وهذا شأن الآداب الأجنبية العالمية، فما نهض الأدب الروسي إلا بفضل الترجمة، وكذلك حال الأدب الألماني ولقد أشار إلى هذه النقطة الدكتور عبده عبود في كتابه «هجرة النصوص».

يهتم بالترجمة المختصون بالأدب المقارن، كما يهتم بها المختصون بالترجمة باعتبارها علمًا وفنًّا قائمين بنفسهما، فهي حقل من حقول المعرفة يدرسه الأدب

المقارن، لأنّها وسيلة من وسائل تأثر الآداب العالمية بعضها ببعضها الآخر، لا بل إنها أهم وسيلة. لأنّ من مستلزمات الباحث في الأدب المقارن، إتقان لغة أجنبية واحدة على الأقل إتقانًا تامًّا، وذلك لأنّ الباحث الذي يجري مقارنة بين نص من أدب قوميّ، ونص من أدب قوميّ آخر قد يحتاج للعودة إلى النص المترجم بلغته الأصليّة، وذلك لعدم دقة الترجمة أحيانًا، ولا سيما إذا كانت الترجمة من لغة وسيطة أيّ ترجمة الترجمة، مثلاً ترجمة رواية لتولستوي، كتبت أصلاً باللغة الروسيّة ولكنّها ترجمت إلى اللغة العربيّة عن طريق اللغة الفرنسيّة وصدرت عن وزارة الثقافة بدمشق، بترجمة صيّاح الجهيم.

عرض الموضوع: الترجمة باب من أبواب الأدب المقارن.

يقول الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه الشهير «الأدب المقارن» عن الموضوع المذكور: «وتستلزم دراسة الأدب المقارن أن يستطيع الدارس قراءة النصوص المختلفة بلغاتها الأصلية، أمّا الاعتماد على الترجمة فما هو إلا طريقة ناقصة، لا يصح أن يلجأ إليها إذا أريد تقويم التأثير والتأثر الأدبيين على وجههما الصحيح. إذ إنّ لكلّ لغة خصائص وروحًا لا تفهم إلا فيها ولا تتذوق إلا بقراءة نصوصها؟»[1].

وبذلك فإنّ الدكتور هلال يضع شرطًا لمن يدرس الأدب المقارن أن يتقن على الأقل لغة أجنبيّة واحدة، لكي يستطيع أن يقارن نصًّا بنص آخر. ولكن لا بّد من الاستعانة بترجمة الآخرين، لأنّ الباحث قد يتقن لغة أجنبيّة أو اثنتين ولكنّه لا يستطيع إتقان كلّ اللغات الأجنبية، فهو في هذه الحالة سيستعين بالترجمات المتوفرة في لغته عن اللغات الأجنبيّة، ولكنّ هذا لا يعفيه من إتقان لغة أجنبية واحدة على الأقل. وهذا ما أشار إليه الدكتور محمد غنيمي هلال. وهو من الرواد في ميدان البحث في الأدب المقارن، وهو أكثرهم شهرة. وكتابه

المذكور كان الكتاب المقرر في كلية الآداب بجامعة البعث في مدينة حمص مدةً طويلة.

ويؤكِّد الدكتور حسام الخطيب في الجزء الأول من كتابه «الأدب المقارن» الذي صدر بعد مرور نحو ثلاثين عامًا على كتاب الدكتور محمد غنيمي هلال على النقطة ذاتها وذلك في فصل بعنوان «عدة الباحث في الأدب المقارن» يقول الدكتور حسام الخطيب: «وتعتبر معرفة اللغات المعنية من أبرز مستلزمات البحث المقارن، إذ كلما استطاع الباحث أن يتصل بالنصوص من خلال لغاتها الأصلية وأن يعرف خباياها وإيحاءاتها، كان أقدر على تحديد نقاط التركيز في بحثه وأسرع توصلاً إلى النتائج الصحيحة، أمّا الاعتماد على النصوص المترجمة فإنّه يعتبر عملاً علميًّا من الدرجة الثانية لأنّ الترجمات، فضلاً عن قصورها الطبيعي في مجال اللغة الأدبية، تكون عادة عرضة للخطأ أو النقص أو التشويه»[٢].

وبذلك فإنّ الدكتور حسام الخطيب يرى ضرورة معرفة الباحث في الأدب المقارن للغات الأجنبيّة، وإذا درس الباحث ترجمة معينة فذلك لكي يقارنها بالأصل، ويسمح عادة في مؤتمرات الأدب المقارن التحدث بأكثر من لغة دون ترجمة فورية لأنهم يفترضون معرفة المشاركين بعدد من اللغات الحية. ويقوم الأدب المقارن عند الدكتور محمد غنيمي هلال أصلاً على الترجمة، فهو يرى أنّ دراسة الأجناس الأدبية باب من أبواب الأدب المقارن، وهو يعتمد مفهوم المدرسة الفرنسيّة للأدب المقارن الذي يعتمد أساسًا على التأثير والتأثر، ولن يكون هناك تأثير وتأثر إلا عن طريق الترجمة أو معرفة لغات أجنبيّة أو عن طرق أخرى لها صلة غير مباشرة بالأدب، في حين أن للترجمة الأدبية صلة مباشرة بالأدب من ثَم بالأدب المقارن.

فإذا ما استعرضنا تعريف الأدب المقارن عند د. محمد غنيمي هلال نجد أنّ الأدب المقارن يقوم على الترجمة الأدبية بالدرجة الأولى، فهو يعرف الأدب المقارن بما يلي: «دراسة مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقدة، في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر، أيًا كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثر، سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكريّة، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكى في الأدب»[٣].

وجعل الباحثون في الأدب المقارن دراسة الترجمة الأدبيّة بابًا من أبواب الأدب المقارن، هذا ما أشار إليه الدكتور محمد غنيمي هلال عندما تحدث عن ترجمة ابن المقفع لكتاب «كليلة ودمنة» عن اللغة الفارسيّة، وخصص الدكتور حسام الخطيب فصلاً في كتابه المذكور آنفًا بعنوان «الترجمة والأدب المقارن» قسّمه إلى قسمين، يتحدث في القسم الأول عن علاقة الأدب المقارن بالترجمة الأدبية، وأما الثاني فهو مترجم عن اللغة الإنكليزيّة وجاء العنوان باللغة العربية «التجربة العربيّة القديمة في الترجمة» ويتحدث فيه عن الترجمة في العصر العباسيّ، وبوجه خاص في عصر الخليفة المأمون ابن الخليفة هارون الرشيد، في القرن التاسع الميلادي، إذ ازدهرت الترجمة في ذلك الوقت ولا سيما عن اللغتين اليونانية والفارسيّة.

1ً – تجربة سليمان البستاني:

تعريف بسليمان البستاني: ولد في لبنان عام ١٨٥٦, حصل على الشهادة الثانوية في المدرسة الوطنية ببيروت, وعاش في العراق ثمانية أعوام (في بغداد والبصرة) ثم انتقل إلى مصر والآستانة, وانتخب نائبًا عن بيروت في مجلس النواب العثماني, وتوفي في مدينة نيويورك عام ١٩٢٥.

تعريف بملحمتي الإلياذة والأوديسة:

(الإلياذة) و(الأوديسة) اتخذتا شكلهما النهائي في القرن التاسع ق.م. (الإلياذة) تتألف من نحو ستة عشر ألف بيت، وبالتحديد من ١٥٥٣٧ بيتًا وتقص جانبًا من حكاية طروادة، اختلفت الإلهات الثلاث: هيرا – زوجة زفس، وإلهة الزواج؛ وأثينا إلهة الحكمة؛ وفينوس إلهة الجمال: أيهن أوفر جمالاً؟ وقرر كبير الآلهة جوبيتر أن يكون باريس بن بريام ملك طروادة حكمًا بينهن، فحكم لفينوس بتاج الجمال، فردت عليه جميله بأن جعلت هيلانة زوجة مينلاوس ملك إسبارطة تقع في حبه وتهرب معه. إذ كانت تقوم بين طروادة وبين اليونان علاقات تجارية، وفي إحدى المرات، عندما زار باريس إسبارطة، كان ملكها غائبًا فأقام باريس علاقة مع زوجة ملك إسبارطة الفاتنة هيلانة وهرب بها.. مما أثار ثائرة ملك إسبارطة وأهلها وأبطالها فهبوا لمحو العار، وعلى رأسهم أغاممنون، أخو الملك فاتجهوا إلى طروادة فتصدى لهم جيشها بقيادة هيكتور الأخ الأكبر لباريس.

تتدخل الآلهة في المعركة، فينوس لمصلحة باريس أما أثينا وهيرا فلمصلحة اليونان. ترجمت الإلياذة إلى أغلب لغات العالم، وأشار إليها ابن خلدون (١٣٣٢– ١٤٠٦) في مقدمته في باب: أشعار العرب وأهل الأمصار. ترجمها إلى العربية شعرًا سليمان البستاني (١٨٥٦–١٩٢٥) في القاهرة عام ١٩٠٣، ولم يعرف العرب جنس الملحمة.

نظمها هوميروس، وكلمة هوميروس تعني الأعمى، ورأى بعض النقاد أنها تعني الرهينة لوقوع هوميروس في الأسر أثناء إحدى الحروب، ولكن هيرودوتس أبا التاريخ يرى أن هوميروس لقب يعني كفيف البصر، لأنه فقد بصره وهو في ريعان الشباب.

ولد هوميروس وحيدًا لأمه ولأبيه في إزمير. وبعد ذلك فقَد والديه مُبكِّرًا، وفقد بصره في أثناء عودته من إسبانيا إلى اليونان، إذ أصيب بمرض الرَّمد، الذي اشتد إلى أن قضى على بصره نهائيًّا. عاش هوميروس في القرن التاسع قبل الميلاد. ووقعت حرب طروادة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي قبل ميلاد هوميروس بنحو أربعة قرون.

«والإلياذة»– نسبة إلى إليون عاصمة الطرواد، التي حاصرها اليونان مدة عشر سنوات. وتصور «الإلياذة» مدة –٥٦– يومًا من هذا الحصار، في حين تقع حوادث الأوديسة في مدة أربعين يومًا. والأولى أكبر من الثانية وكل منهما يتألف من (٢٤) نشيدًا وهو عدد الأحرف اليونانية.

حاربت المسيحية في البدء الإلياذة والأوديسة وبعد ذلك سمحت بهما وكذلك كان شأن الإسلام معهما.

موضوع الإلياذة واحد: كيد أخيل– أحد أبطال اليونان.

موضوع الأوديسة واحد: رحلة أوديس.

أبطال الإلياذة من الجانب اليوناني:

١– مينلاوس– ملك إسبارطة الذي هربت زوجته هيلانة مع باريس ملك الطرواد.

٢– أغاممنون– أخو الملك.

٣– أخيل– بطل اليونان. أصابه باريس بسهم قاتل في نهاية المعارك.

٤– نسطور– خطيب اليونان.

٥– أوديس– بطل اليونان.

٦– فطرقل– بطل اليونان قتل في اليوم الثامن والعشرين من بدء المعارك على يد هيكتور.

٧– إياس– أحد أبطال اليونان.

٨– هيرا– إلهة الزواج، تقف إلى جانب الإغريق.

٩–أثينا– إلهة الحكمة، تقف إلى جانب الإغريق.

من جانب الطرواد:

١– باريس– ملك الطرواد. وتقف إلى جانبه فينوس ربة الجمال، قتله ابن أخيل.

٢– هيكتور– أخو باريس قتله أخيل في اليوم الثاني والعشرين.

٣– بريام– والدهما. قتله ابن أخيل، وقتل باريس.

٤–يقف زفس– زوج الربَّة هيرا إلى جانب الطرواد.

٥–كاسندرا بنة بريام.

٦– أندروماك زوجة هيكتور.

٧– إياب– أم هيكتور.

حُفظت الإلياذة مثلها مثل الأوديسة عن طريق الحُفَّاظ العميان، وكان منهم في كل أمة حتى في الأمة العربية والروسية وكذلك لدى اليونان. ولدى هوميروس مؤلفات أخرى لم تصلنا، كما لم تصلنا ملاحم لغيره من الشعراء. وبدأ هوميروس الإنشاد في أحد الحوانيت بسبب الحاجة المادية، وهكذا شق طريقه. وكما قلنا تتألف «الإلياذة» من أربعة وعشرين نشيدًا، وهذا ملخص للأناشيد:

I) النشيد الأول: خصام أخيل وأغاممنون:

لما اكتسح الإغريق بلاد الطرواد، عاثوا في مدنهم وسَبَوْا نساءهم وحاصروا إليون عاصمتهم مدة عشر سنوات، وكان في جملة السبايا فتاتان فاتنتان تدعى الأولى خريسا والأخرى بريسا، أجمع زعماء الجيش على تمليك الأولى منهما لأغاممنون والثانية لأخيل.

وكانت الأولى بنت كاهن طلب إرجاع ابنته فرفض أغاممنون فاستغاث الكاهن الإلهَ أفلون فأغاثه وضرب اليونان بوباء، فقال العراف لليونان: لوقف الوباء يجب إعادة خريسا لأبيها.

ووافق أغاممنون على أن تعاد له سَبِيَّة أخرى وهي بريسا، سبية أخيل. غضب أخيل لرأي أغاممنون، وكاد يفتك به لولا تدخل أثينا – إلهة الحكمة. وتوسط نسطور الحكيم بينهما فاعتزل أخيل القتال. مما أضعف الجانب اليوناني. تستغرق أحداث هذا النشيد –٢٢– يومًا.

وهكذا نرى أن النساء سبب الحرب، فهرب هيلانة مع باريس كان سبب بداية الحرب. وكانت السبية خريسا سبب الوباء في الجيش اليوناني. كما كانت بريسا التي أخذها أغاممنون من أخيل سبب انقسام الجيش اليوناني وضعفه.

كانت السبية بريسا تفضل البقاء مع أخيل على الذهاب إلى أغاممنون لأن الأول أكثر شبابًا، ولأنها أحبته وكان أخيل يحبها حتى إنه بكى حين فقَدها.

في أثناء الوباء قدم اليونان للآلهة الضحايا. وهو طقس معروف لدى أغلب الشعوب في تلك الحقبة!. وعرف العرب هذا الطقس.

لجأ الإغريق إلى خدعة لفتح إليون وهي بناء حصان خشبي يوجد فيه جنود، يدخله الطرواد[1] وفي الليل يخرج الجند ويفتحون الأبواب، ومن جملة من كان في الحصان أوديسيوس (يوليسيز). وقتلوا الطرواد، ولم ينج منهم إلا نفر قليل. قتل أخيل بسهم باريس وحصل على سلاحه أوديس ونازعه عليه إياس، فلما لم يحصل على سلاح أخيل انتحر كيدًا. غدرت بأغاممنون زوجته وعشيقها. رجع

(1) [تذكر كتب التاريخ أن الحصان كان فيه جنود من الإغريق، وأنه أُدخل بخدعة إلى بلاد الطرواد!/ (المجلة)].

مينلاوس بزوجته هيلانة ومات، أما هيلانة فقد شنقتها إحدى أرامل الأبطال، الذين هلكوا بحصار طروادة. أما أوديس فقد بنيت حول حياته الأوديسة. عاش نسطور الحكيم بسلام. أما بريام فقتله ابن أخيل. وقتل باريس. وكان أوفرهم حظًا إيناس الذي تمكن من الفرار وأسس دولة عظيمة.

تعد فلسفة الشاعر هوميروس تقدمية بالنسبة لزمنه. فدعا إلى معاملة الأسرى والنساء معاملة جيدة. وكان واسع الاطلاع على علوم الجغرافيا والتاريخ والفلك والطب والسياسة والحرب، وهناك من يرى أن طروادة كانت غنية فطمع بها الإغريق وهاجموها لنهب ثرواتها.

هناك مجموعة من الشخصيات التي تستحق التوقف عندها منها شخصية كاسندرا بريام التي فاض قلبها بالأسى وهي ترى سفينة أخيها باريس تمضي بعيدًا عن الوطن ورفعت ذراعيها إلى السماء وصاحت: «الويل الويل لطروادة العظمى ولنا جميعًا! إنني أرى إليون المقدسة تلتهمها ألسنة النيران، وأرى أبناء إليون وقد تساقطوا جثثًا مضرجة بالدماء وأرى الأغراب يسوقون نساء طروادة وبناتها عبيدًا»[٤].

٥– الأوديسة:

بعد تدمير طروادة رفض أوديسيوس (يوليسيز) العودة مع الجيش اليوناني، وفضّل أن يشق طريقه بنفسه، فأخطأ السبيل في عرض البحر، وتنقل من جزيرة لأخرى، في حين كانت زوجته (بينيلوب) وابنه (تلماكس) ينتظرانه على أحرَّ من الجمر، يبحث تلماكس عن أبيه أكثر من عشر سنوات، وتنتظر بينيلوب زوجها.

يعاني أوديسيوس (يوليسيز) مع عروس البحر وتتدخل الآلهة لإنقاذه، ويكشف سر حصان طروادة، الذي بفضله دخل اليونان المدينة. وتتحدث الملحمة عن مغامرات أوديسيوس مع إله البحر (نبتون)، وابنه ذي العين الواحدة

(سيكلوب) ومع الساحرة، وعن عودته إلى بيته بعد مجزرة دامية مع أعدائه، الذين تنكروا له. تعد «الأوديسة» أقل شهرة وحجمًا من «الإلياذة» وتقع مثلها مثل «الإلياذة» في أربعة وعشرين نشيدًا وهو عدد الأحرف في اللغة اليونانية. وإذا كانت الإلياذة تتحدث عن الحروب فإن الأوديسة تتحدث عن المغامرات. ولا سيما مغامرات أوديسيوس (يوليسيز) وتصوّر مماطلة بنيلوب لخاطبيها بحجة نسجها ثوبًا لأبي زوجها، كانت تحيكه نهارًا وتنكثه ليلاً لكي تتخلص من خُطَّابها وتنتظر زوجها، الذي ظن أقرباؤه أنه ضاع في عرض البحر ولن يعود.

يقول د.طه حسين (١٨٨٩– ١٩٧٣) عن «الأوديسة» لهوميروس في عام ١٩٢٣ في مقال له بعنوان «بينيلوب»:

«لست أدري أقرأتَ «الأوديسة» أم لم تقرأ، وأنا أسمح لنفسي بهذا الشك، لأنني أعلم علم يقين وتجربة أن الأدب اليوناني سيِّئ الحظ في مصر، وأن سوء حظه قد بلغ من الشدة إلى حيث لا نستطيع تقديره أو تقدير عواقبه السيئة. نجهل الأدب اليوناني، لا أقول جهلاً تامًا، بل أقول جهلاً فاحشًا مخزيًا، لا يليق بقوم يحبون الحياة أو يطمعون فيها... ومع ذلك فقد كانت الأوديسة والإلياذة، وما زالتا، وستظلان، دائمًا ينبوع الحياة للأدب والفن: للشعر والنثر، والنحت والتصوير، والتمثيل والموسيقا... بَلِيَتِ القرون، ولم تبلَ «الإلياذة» و«الأوديسة» فَنِيَت الأمة اليونانية، واختلفت العصور والظروف على أوروبا في العصر المتوسط، وفي العصر الحديث، وستفنى أمم، وتختلف عصور وظروف، وتظل آيات «الإلياذة» و«الأوديسة» جديدة، خالدة، محتفظة بقوتها وبهائها، ورونقها على وجه الدهر وتعاقب الأحداث»(٥).

ورأى المختصون في الأدب المقارن ضرورة دراسة المقدمات النقديّة التي يضعها المترجمون أنفسهم أحيانًا أو نقاد آخرون أحيانًا أخرى، فإذًا دراسة الترجمة

ضرورية لمن يهتم بالأدب المقارن وكذلك دراسة المقدمات النقديّة، ولا أبالغ إذا قلت إنّ سليمان البستاني (١٨٥٦–١٩٢٥) الذي نقل «الإلياذة» شعرًا لهوميروس من أهم المترجمين العرب في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ويَعُدُّ الدكتور حسام الخطيب مقدمته لهذه الترجمة من الأعمال الأولى في الأدب المقارن، فلقد فهم البستاني ضرورة ترجمة هذا العمل الهام في تاريخ الأدب العالميّ، وفهم ضرورة وضع مقدمة هامة تقع في مئتي صفحة للترجمة وقام بالترجمة شعرًا. وهو بلا أدنى شك من أصعب أنواع الترجمة، على الإطلاق، وصدق الجاحظ حين قال: «الشعر لا يستطاع أن يترجم، أو لا يجوز عليه النقل، ومتى حُوّل تقطع نظمه، وبَطَلَ وزنه، وذهب حُسْنه، وسقط موضع التعجب، لا كالكلام المنثور»[٦]. وذكر الجاحظ الفكرة المذكورة آنفًا في الجزء الأول من كتابه «الحيوان» وأوردها الدكتور حسام الخطيب في كتابه «الأدب المقارن» ولعل ترجمة النثر أسهل من ترجمة الشعر، وترجمة النصوص العلمية أقل تعقيدًا من ترجمة النصوص الأدبية.

يبدأ البستاني مقدمة الترجمة بالعبارة التالية: «هذه إلياذة هوميروس أزفّها إلى قرّاء العربية شعرًا عربيًّا»[٧] ويستعمل كلمة أزفها، لأنّها كانت ثمرة تعب عمر، وهو يعلم أنّ هذا العمل سيخلّده، وهذا ما حدث في الآداب العالمية الأخرى، فمن يقدم على ترجمة «الإلياذة» أو «الأوديسة» سيخلد اسمه، أذكر على سبيل المثال الشاعر الروسيّ الرومانسيّ جوكوفسكي (١٧٨٣–١٨٥٢). فلقد نقل «الأدويسة» إلى اللغة الروسيّة، ولترجمته للأدويسة الفضل في خلوده أكثر من قصائده التي نظمها بنفسه. وعلى أيّة حال فالمترجم المتميز جدير بالخلود، أليس الدكتور سامي الدروبي (١٩٢١– ١٩٧٦) معروفًا في الوطن العربي أكثر بكثير من بعض المبدعين وذلك بفضل ترجماته لأدب دوستويفسكي (١٨٢١–

١٨٨١) وتولستوي (١٨٢٨-١٩١٠) وبوشكين (١٧٩٩- ١٨٣٧) وليرمنتوف (١٨١٤-١٨٤١) ولأدباء آخرين، مع أنّ معظم ترجماته كانت عن لغة وسيطة وهي اللغة الفرنسيّة، وجرى بعضها مباشرةً مثل ترجمة مؤلفات الكاتب الجزائريّ مولود ياسين والمفكر الإفريقيّ فرانس فانون.

يتابع سليمان البستاني فيقول «وانتقلت إلى المقارنة بين الإلياذة والشعر العربّي»[٨] وعلى هذا فالمقدمة باعترافه وباعتراف علماء الأدب المقارن العرب وفي طليعتهم الدكتور حسام الخطيب هي من صميم الأدب المقارن، ويتابع فيقول: «وأفردت بابًا للملاحم أو منظومات الشعر القصصيّ مما يماثل الإلياذة، فأشرت إلى ضروب الشعر عند الإفرنج وقابلت بين ملاحم الأعاجم والملاحم العربية، من الشعر الجاهلي، وجمهرة أشعار العرب. واستطردت من ذلك إلى إلقاء نظرة على الجاهليتين، جاهلية العرب وجاهلية اليونان ... وذيلت المقدمة بخاتمة في الشعر واللغة وعارضت فيها بين العربيّة واليونانيّة وبحثت في اتساع العربيّة وثروتها القديمة».[٩]

ويتحدث البستاني في مقدمته عن مؤلف«الإلياذة» هوميروس وأسرته وشعره ومرضه ووفاته، وقد عرف سيرة هوميروس بفضل اطلاعه على كتابات المؤرخ هيرودوتس، ويرى البستاني أنّ هناك مصادر كثيرة تتحدث عن سيرة حياة هوميروس ولكنّ أقربها إلى الحقيقة هو ما كتبه هيرودوتس.

وكان سليمان البستاني يتقن اليونانيّة والإنكليزيّة والألمانيّة والفرنسيّة والإيطاليّة وتوفي في نيويورك عام ١٩٢٥.

ترجم «الإلياذة» مستندًا إلى اللغات الخمس المذكورة آنفًا. وعمل بترجمتها ثمانية أعوام، من عام ١٨٨٧-١٨٩٥ ثم شرحها وعلق عليها وكتب المقدمة خلال سبعة أعوام أخرى، أي من عام ١٨٩٥- ١٩٠٢، وصدرت عام

١٩٠٤، عن دار الهلال بالقاهرة. وتقع المقدمة في مئتي صفحة، ويجري فيها سليمان البستاني مقارنة بين الأدبين العربيّ واليونانيّ، ولا سيما بين «حديقة الشعر» لابن روميّ التي تقع في أكثر من مئتي بيت، وبين الإلياذة.

يقول سليمان البستاني:

«فلا سبيل إذن للزعم بوجود ملاحم للعرب في الجاهلية على نحو ما يريد منها بعرف الإفرنج، ولكن للجاهليين نوعًا آخر من الشعر القصصيّ مما يعز وجوده في سائر اللغات، وذلك في الملاحم القصيرة، المقولة في حوادث قصيرة، فجميع شعراء الجاهلية، وبعض المخضرمين، قد سلكوا هذا المسلك، وأجادوا فيه ...»[١٠].

ميزات مقدمة سليمان البستاني: وهي ميزات أشار إلى بعضها الدكتور حسام الخطيب في كتابه المشار إليه، وكذلك الدكتور عبد النبي اصطيف في الجزء الأول من كتابه «في النقد الأدبي العربي الحديث»[١١]:

١- أجرى مقارنة بين الأدب اليوناني القديم والشعر العربي الجاهلي وبذلك عَرَّف القارئ العربي بالأدب اليوناني، ولم يكتف بالترجمة ووجد تشابهًا بين الأدبين.

٢- حاول سليمان البستاني إرجاع هذا التشابه إلى وجود خصائص مشتركة في مراحل التطور لدى المجتمعين العربي الجاهليّ واليونانيّ القديم، ولكنّه لم يوح أبدًا بوجود أيّ تبادل أو تأثر أو تأثير بينهما، وبذلك اجتنب الدخول في أحكام متعسفة.

٣- يتحمس البستاني للشعر العربيّ القديم، ويعلن استبشاره بالنهضة العربيّة الشاملة، وينتقد مرحلة الجمود التي مر بها الأدب العربيّ.

٤– عندما كتب مقدمةً للإلياذة قرأ معظم دواوين الشعراء العرب لكي يجري مقارنة بين الإلياذة وبين الشعر العربيّ، ويرى أن الشعر العربيّ مرّ بالمراحل الثلاث التالية : الأولى – النهضة الجاهلية: بدأت قبل الهجرة بتسعين عامًا أيّ في عام ٥٣٢ ميلادية، وهو زمن نبوغ امرئ القيس. وإذا اعتبرنا أنّ بداية الأدب الجاهلي هي عام ٤٧٢ فيكون عمره ١٥٠ عامًا، ويذكر أمثلة من شعر العرب مثل شعر الحكمة لزهير بن أبي سلمى:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمرْ فيهرم

والمرحلة الثانية : وهي مرحلة الشعراء المخضرمين: بدأت هذه المرحلة بالهجرة وانتهت بقيام الدولة العباسية. والمرحلة الثالثة وهي مرحلة الدولة العباسية التي قامت عام ٧٥٠ ميلادية.

٥– يقارن بين بعض القصائد العربية و «الإلياذة» مثل قصيدة الفرزدق التي مدح بها زين العابدين علي بن الحسين والتي يقول فيها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

ويرى أنّ هذه القصيدة تتميز ببلاغة في المعنى، «ومتانة في التعبير، وإحكام في التركيب مع ميل إلى الرقة، وتلك هي مزايا الإلياذة فإنّ بلاغة الأصل لا تفوقها بلاغة في الكلام اليوناني»[١٢]

٦– كان مدح معظم الشعراء في العصر العباسيّ في سبيل الاسترزاق، فجعل بعضهم الشعر صناعة للتكسب، «أما إلياذة هوميروس فهي على ما وصلت إلينا نقية من تلك المغامز»[١٣] أيّ إنّه لم يمدح أحدًا طمعًا بالعطايا والمال والمكاسب.

٧– يقارن بين قصيدة ابن الروميّ المسماة «حديقة الشعر» وتقع في مئتي بيت وبين «الإلياذة»، وكأني بابن الروميّ وفيه لمحة من كنيته تحمله على تحديّ هوميروس في كثير من أساليبه ومعانيه وتشبيهاته»(١٤).

٨– يقارن أخيل بطل الإلياذة بعنترة فيقول: «وإذا نظرت إلى الأشخاص دهشت لما يبدو لك من الشبه في الأحوال والأقوال، فمن بطل كعنترة، ترتجف لصوته القبائل ارتجافها لصوت أخيل، يغاظ مثله، فيعتزل القتال، فينكل العدو بقومه حتى يهب من عزلته، فيفعل فعل أخيل في عودته»(١٥).

٩– ويتابع قوله «فالمعلقات إذًا رأس الملاحم العربيّة، وأقربهن إلى منظومات الشعر القصصيّ ... على ما يماثل تغني هوميروس في الإلياذة»(١٦).

١٠– يرى سليمان البستاني أنّ المعري (٩٧٣–١٠٥٧م) في «رسالة الغفران» سبق الشاعر الإيطالي دانتي والشاعر الإنكليزي جون ميلتون(١٧) في وصف العالم الآخر.

١١– وصف الحصان عند امرئ القيس يشبه وصف الحصان في الإلياذة، ويقول امرؤ القيس:

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معًا كجلمود صخرٍ حطَّه السيل من عَلِ

ويقول هوميروس:

كجلمود صخر قد انتزعا في الشمّ سيل به اندفعا

١٢– يجري مقارنة بين تطور اللغة العربيّة وتطور اللغة اليونانية، فيرى أن الأولى حافظت على قواعدها، في حين أنّ لغة هوميروس تحتاج إلى ترجمة إلى اللغة اليونانية الحديثة.

١٣– وصف حال اليونان حين حلت بهم مصيبة كوصف المتنبي للحمى:

أبنت الدهر عندي كلّ بنت فكيف وصلت أنت من الزحام
جرحت مجرحًا لم يبق فيه مكان للسيوف ولا السهام

١٤– يجري مقارنة ثانيةً بين وضع أخيل وحاجة قومه إليه، وحاجة قوم عنترة العبسي إليه وكذلك أبي فراس الحمداني. قال عنترة:

سيذكرني قومي إذا الخيل أصبحت تجول بها الفرسان بين المضارب

وقال أبو فراس الحمداني:

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

١٥– ويقارن طقوس التضحية القائمة عند كثير من الشعوب، فكان الطقس موجودًا عند الفينيقيين وعند اليونان وعند العرب، وكان الفينيقيون يقدمون أبناءهم ضحية للآلهة، وحتى العرب قبل الإسلام كانوا يفعلون ذلك، ويرى أنّ عبد المطلب جد الرسول العربي الكريم نذر أحد أبنائه إذا رُزق عشرة أبناء ووقعت القرعة على عبد الله إلا أنّه استبدل بالضحية مئةً من الإبل.

ويأخذ سليمان البستاني على الأدب العباسي بعض المآخذ منها:

١– اختصار الوصف الشعري.

٢– اتخذ بعض الشعراء من الشعر صنعة للتكسب.

٣– ابتذال الغزل.

٤– تجاوزهم في المجون.

ويقارن هذه المرحلة في الأدب العربيّ «بالإلياذة» فيقول: «أمّا إلياذة هوميروس فهي على ما وصلت إلينا نقيّة من المغامز، لا يؤاخذ صاحبها على شيء من هذه الخلال الأربع، أمّا الخلة الأولى فلأنّ الشاعر جاهليّ وحيثما تصفحت شعره رأيته أبدع في الوصف ورسم الحقائق. وأمّا الثانية والثالثة فلأنّهما مخالفتان لطبعه، وذلك باد في كلّ منظومه. وأمّا الرابعة فلقد تحاشاها الشاعر

لسمو في أدبه ...»[١٨]

يشبه الشاعر هوميروس جمال عيون المرأة بعيون المها يقول:

رمقته بطرف عين مهاةٍ ثم قالت: وما الذي ترويه

وهو تشبيه وارد في الشعر العربي يقول علي بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري[١٩]

١٦- ويقارن البستاني بين الإلياذة والأدب العربي في هوامشه وحواشيه الموجودة في كل صفحة من صفحات ترجمته.

فيجد سليمان البستاني في النشيد الرابع من «الإلياذة» أبياتًا تتضمن معنى أبيات زهير بن أبي سلمى في معلقته، يقول هوميروس:

كأني بزفس غيظ وأنّا ثم هاج البلا ورجّ المجَنّا

أما زهير بن أبي سلمى فيقول:

فلا تكتمنّ الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتابٍ فيدخر ليوم حساب أو يعجل فينقم[٢٠]

ويجد سليمان البستاني في النشيد الرابع أبياتًا يشبه مضمونها مضمون البيتين التاليين للشاعر العربي:

ورثنا المجد عن آباء صدقٍ أسأنا في ديارهم الصنيعا

إذا الحسب الرفيعُ تواكلته بناةُ السوء أوشكَ أن يضيعا[٢١]

ويجد البستاني أبياتًا في وصف الليل لهوميروس تشبه الوصف التالي لامرئ القيس في الليل:

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف إعجازًا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انْجَلِ بصبح وما الإصباح منك بأمثل[٢٢]

وكذلك يجد البستاني في النشيد السادس من الإلياذة أبياتًا تشبه في مضمونها مضمون أبيات المعري (٩٧٣-١٠٥٧):

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قَدُم العهـ د هوان الآباء والأجداد[٢٣]

ويفتخر أحد أبطال الإلياذة بنسبه ويقول:

فذا نسبٌ فيه يعتز مثلي وهذا إذا شئت أصلي وفصلي[٢٤]

ويذكّرنا هذا البيت ببيت الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

ولكنّ هناك أبياتًا لها مضمون آخر تشبه مضمون البيت التالي:

لا تقل أصلي وفصلي أبدًا إنّما أصلُ الفتى ما قد حصل

ويقارن سليمان البستاني علاقة أبرام بابنه باريس في النشيد السابع، بعلاقة والد جساس بجساس، الذي طعن كليبًا في ملحمة «الزير سالم» وسبَّب بذلك لقومه المآسي، ويردد بطل الإلياذة أخيل في النشيد التاسع أقوالاً تشبه أبيات المتنبي (٩١٦-٩٦٦م) التالية:

أيّ محلّ ارتقي أيّ عظيم اتّقي
وكلّ ما قد خلق الله وما لم يخلقِ
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

يقول أخيل: هو عندي كشعرة باحتقار ...[٢٥]

وهناك أقوال تشبه أقوال كثير من الشعراء مثل تأبط شرًا الذي يقول:

حمّال ألوية، شهّاد أنديةٍ قوّال محكمة، جوّال آفاق[٢٦]

ونجد أحيانًا فلسفة تشبه فلسفة أبي العلاء المعري في العفة وعدم الإنجاب[٢٧].

ويعود البستاني ويذكر في هوامش النشيد الثالث والعشرين أبياتًا للمعري يشيد فيها بحرق جثمان الميت عند الهنو، علمًا بأنّ العرب بوجه عام لا يؤيدون هذه الفكرة التي ذكرها أبو العلاء، ويشير البستاني إلى فلسفة أبي العلاء المعري في مكان آخر إذ يقول المعري:

تعب كلّها الحياة فما أع جب إلا من راغب في ازدياد
إنّ حزنًا في ساعة الموت أضعا ف سرور في ساعة الميلاد[٢٨]

ويكثر البستاني من ذكر أبيات من معلقة عنترة العبسي مثل:

فإذا سكرت فإنّني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فلا أقصِّر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرُّمي
هلاّ سألت الحيَّ يا ابنة مالك إن كنتِ جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة أنّني أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم
لما رأيتُ القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررتُ غيرَ مذممِ

ولا عجب أن نجد تشابهًا بين أبيات عنترة وبين أ بيات يكررها بطل الإلياذة «أخيل» لأنّ العملين الأدبيين «الإلياذة» ومعلقة عنترة يتضمنان موضوع الفروسية والحّب والبطل الأسطوريّ الشعبيّ، ويشبه وضع عنترة إلى حد ما الوضع الذي وقع فيه أخيل، ولا سيما بعد أن انتزع منه أغاممنون حبيبته، فغضب واعتزل القتال وأخذ الإغريق يرجونه للمشاركة في ساحة الوغى، فيشارك أخيرًا، بعد أن أحس أنّ شعبه بحاجته، ونجد مقارنة مسهبة بين البطلين في هوامش أكثر من نشيد، ولا سيما في النشيد الثامن عشر، وفي النشيد الرابع والعشرين وهو النشيد الأخير.

ونجد في هوامش النشيد التاسع عشر تشبيهًا استنتجه البستاني، إذ كان حزن

أخيل لفقدانه أحد أصدقائه الذي كان أخيل يتمنى لو أنه مات معه أو قبله، فيشبه حَزن البحتري الذي يقول:

وإن بقائي بعده لخيانة وما كنت يومًا قبله بخؤون[٢٩]

ويجد البستاني في النشيد العشرين أبياتًا تشبه مبالغة ابن هاني في مدحه للخليفة المعز لدين الله:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فافعل فأنت الواحدُ القّهارُ

فكأنّما أنت النبيّ محمدٌ وكأنّما أنصارُكَ الأنصارُ[٣٠]

ويذكر في هوامش النشيد الأخير وهو النشيد الرابع والعشرين بعض الأبيات التي رثت بها الخنساء أخاها صخرًا، لوجود أبيات تشبهها من حيث المضمون في النشيد المذكور.

ونعود إلى مقدمة الإلياذة حيث يتحدث البستاني عن أصول التعريب.

١٧– أصول التعريب:

ويتحدث البستاني في مقدمته عن أصول التعريب فينتقد المترجمين الذين يضيفون من عندهم شيئًا ما إلى النص الأول، أو الذين يحذفون منه شيئًا، ويشير إلى أنّ بعض المترجمين ينقلون كتبًا أجنبيةً أو بعضها ويعرضونها على الناس تأليفًا من قريحتهم، ويسمّي هؤلاء الدجّالين واللصوص، ويحمد الله لوجود مترجمين يتوخّون الصدق الأمانة، ويذكر طريقتين من طرائق الترجمة التي استخدمها المترجمون القدماء في العصر العباسيّ، الطريق الأولى وهي طريقة يوحنا بن البطريق، وهي ترجمة الكلمة بكلمة أخرى ترادفها، ويرى أنّها طريقة رديئة، لعدم وجود كلمة مرادفة في اللغة المترجم إليها، أمّا الطريقة الثانية وهي طريقة حنين بن إسحق وهي ترجمة جملة بجملة مرادفة، وهذه الطريقة أجود ولذلك يقول البستاني بأنّه اتبع الطريقة الثانية ويقول عنها: «فإذا قرأ المطالع كتابًا معرّبًا فإنّما هو يقرؤه عربيًّا»

و لا يقرؤه أعجميًّا، كما يحصل في الطريق الأولى، ...»[٣١]

وترجم البستاني ترجمة أمينة فترجم البيت ببيت آخر، لا بأكثر و لا بأقل، وذلل الصعوبات كلّها مثل تعريب الأعلام فاتبع الأسماء الإغريقية للآلهة ولم يسجل الأسماء اللاتينية كما فعل بعض المترجمين، وأضاف حرف الهاء إلى الأسماء المبتدئة بحرف علّة[1]، فجاءت إيلانة عنده هيلانة، وجاء أوميروس عنده هوميروس، ويشير البستاني إلى تجربة ابن خلدون (١٣٣٢–١٤٠٦) في تعريب الأسماء وفي التصرف في الحروف والحركات، فهناك حروف في اللغة الإغريقية لا مثيل لها في اللغة العربية والعكس صحيح، وهذه حال اللغات كلّها، كما يشير إلى تجربة الشيخ إبراهيم اليازجي في إيجاد بديل للأحرف الأجنبية التي لا مثيل لها في اللغة العربية، وأشار إلى الكلمات المعّربة عن اليونانية مثل كلمة أسطول وكلمة ميناء، وأشار إلى بعض الكلمات التي يعتقد بأنّ أصلها يوناني، ويتحدث عن الشعر العربي والشعر اليوناني، فالأول مقفًّى والثاني غير مقفى، ويتحدث عن سوق عكاظ، ويرى أنّ لها دورًا في توحيد اللغة العربية في ذلك الوقت.

ولقد قّدم سليمان البستاني (١٨٥٦–١٩٢٥) عملاً عظيمًا فمقدمة تر جمة «الإلياذة» التي تقع في مئتي صفحة هي في ذاتها عمل كبير رائد في الأدب المقارن، تدل على ثقافة واسعة جدًا بالأدب العربّي القديم والحديث، وكذلك الهوامش التي لو جمعت لشكلت كتابًا آخر يقع في أكثر من مئتي صفحة، إضافةً إلى معرفة البستاني بعدد من اللغات الأجنبية التي ساعدته على الترجمة الأمينة، وكذلك موهبته الشعرية التي بفضلها نقل إلينا الإلياذة شعرًا تقليديًا ينقسم فيه كلّ بيت إلى شطرين وهناك قافية، كلّ هذا جعل من عمل البستاني عملاً كبيرًا بحق.

(1) [هذه الأسماء مبدوءة في العربية بهمزة، أما حرف «العلة» فهو في الإغريقية/ (المجلة)].

ولكن مما يؤسف له أنّ هذا العمل الكبير يكاد لا يقرأ، لأسباب كثيرة، يأتي في طليعتها أنّ لغة البستاني ليست سهلة، فهو متأثر بلغة الشعراء العرب في العصر الجاهليّ، ويستخدم ألفاظهم التي تحتاج اليوم إلى شرح، لعدم استعمالها في حياتنا اليوميّة. ثم إنّ الحجم الكبير لهذا العمل جعل من الصعوبة بمكان قراءته على أكثرية الناس، فلو سألنا من قرأ الإلياذة بترجمة سليمان البستاني من الغلاف إلى الغلاف وقرأ كل كلمة فيها، لجاءنا الجواب سلبيًا في معظم الحالات، إن لم يكن في كلها. ولذا فالترجمة لم تكن شعبيةً بقدر ما كانت للمختصين ولخدمة الأدب والنقد.

١٨– الترجمات الأخرى للإلياذة:

توجه بعض المترجمين إلى اختصار «الإلياذة» اختصارًا شديدًا، وإلى ترجمتها نثرًا لكي تسهل قراءتها. نذكر من هذه الترجمات الترجمة التي قامت بها عنبر سلام الخالدي وصدرت الطبعة الأولى عام ١٩٧٤ بتقديم الدكتور طه حسين (١٨٨٩–١٩٧٣) الذي على ما يبدو كتبها قبل وفاته بقليل، لأنه توفي عام ١٩٧٣.

وصدرت منها عن دار العلم للملايين ست طبعات خلال أقل من أحد عشر عامًا، فاطلعنا على الطبعة السادسة التي صدرت عام ١٩٨٥، ويشير الدكتور طه حسين في مقدمته للترجمة المذكورة إلى ترجمة سليمان البستاني (١٨٥٦–١٩٢٥) ويرى أنها جاءت بلغةٍ صعبةٍ فيقول: «وقد ظلت ترجمته مقصورة النفع على المثقفين الممتازين، لا تتجاوزهم إلى أصحاب الثقافة المتوسطة»[٣٢]. وجاءت الترجمة عن اللغة الإنكليزية. ولا عجب أن يضع الدكتور طه حسين مقدمةً لترجمة الإلياذة لأنه هو نفسه قام بترجمة معظم مسرحيات سوفوكليس (٤٩٦–٤٠٦ق.م) عن اللغة الفرنسية، وكتب مقالاً عن ملحمة «الأوديسة» لهوميروس واهتم كثيرًا بالأدب الإغريقيّ.

قامت المترجمة عنبر سلام الخالدي بوضع مقدمة لترجمتها، تتحدث فيها عن التاريخ الإغريقيّ، وعن الإلياذة، فهي من الأعمال الأدبية التاريخية، وتقول المترجمة في مقدمتها: «إن الإلياذة في الأصل ملحمة شعرية، ولكن الترجمة التي أمامكم الآن هي نثر مختصر بعض الشيء. وقد تُرجمت الإلياذة إلى العربية شعرًا ... ترجمها العلامة سليمان البستاني. وعلى كل محبٍّ للشعر العربي أن يطالعها ...»[٣٣] وتقع الترجمة في أكثر من ثلاثمئة صفحة وتتضمن أهم أحداث الإلياذة وشخصياتها وأفكارها.

وجدنا إضافةً إلى هاتين الترجمتين ترجمات أخرى، وأعتقد أن الإلياذة ترجمها من سبعة مترجمين، ولكننا نستطيع أن نقول إنها تلخيص وليست ترجمات. فلقد جاءت ترجمة سليمان البستاني في أكثر من ألف وثلاثمئة صفحة من القطع الكبير، في حين أن ترجمة من إعداد أنطوان عبد الله، التي صدرت عن دار الأنوار تقع في أقل من ثمانين صفحة، أو على الأدق جاءت في أربعين صفحة، لأن الأربعين الثانية هي الأصل الإنكليزي، وعلى هذا فلا مجال للمقارنة بين مثل هذه الترجمة التي يمكن أن تنجز خلال أقل من أسبوع، وترجمة سليمان البستاني (١٨٥٦–١٩٢٥) المستندة إلى ثقافة موسوعية وإلى تعب عمر وسنوات هي أكثر من خمس عشرة سنة.

وهناك ترجمة رابعة لأمين سلامة، صدرت بالقاهرة، وبلا تاريخ، ولكنها أيضًا تلخيص، ولا علاقة لها بالترجمة، علمًا بأن أمين سلامة يقول في مقدمته إنّه ترجمها عن اليونانية. يبدو أنه وجد ملخصها باليونانية وترجمها.

أمّا الترجمة الخامسة والجادة فهي التي قام بها ممدوح عدوان، والتي تقع في أكثر من ثمانمئة صفحة، وصدرت عن المجمع الثقافي في دولة الإمارات العربية المتحدة. وأعتقد أنها ترجمةٌ تكاد تضاهي الترجمة التي قام بها البستاني، توجد

مقدمة، ولغتها قريبة من اللغة العربية المعاصرة. مثلاً نقرأ في الفصل الثالث وصفًا لرغبة مينلاوس في القتال:

«وحالما وقع عليه نظر مينلاوس المتحرق للحرب
وهو يتقدم نحو الجيش بِخُطًا واسعة
فرح مثل أسد يصادف جثة كبيرة،
وهو يتضور جوعًا، أو جثة إيِّل طويل القرون
أو عنزة بريّة فيلتهمها بتلهف، ...»[٣٤]

ويصف في الفصل الثامن المعركة:

«وحين بلغ تقدمه موقعًا معينًا، والتقى الطرفان،
تصادمت التروس واشتبكت الرماح،
وتصادمت قوة الرجال المدرعين بالبرونز، وكثرت التروس في الوسط
التي يصطدم أحدها بالآخر، وارتفعت جلبة القتال.
واختلطت صرخات الألم بصيحات الظفر
من رجال يقتلون ويُقتلون، وسالت الدماء على الأرض»[٣٥]

وهناك ترجمة سادسة، وهي ترجمة دريني خشبة، صدرت عن دار العودة، وهي بلا تاريخ، وأقرب ما تكون إلى تلخيص بتصرف، أي هناك إضافات وحذف، فتنتهي بكلام كاسندرا بنت بريام الطروادي، التي تتصف بقدرتها على النبوءة إذ تقول : «ليس حظ هؤلاء الغزاة المنتصرين بأفضل من حظ أبطالنا ... هاأنذا أقرأ ألواح القضاء ... انظري هاهو مصرع أغاممنون بيد زوجته كليتمنيسترا العاشقة ... إنّها ستقتله، ستذبحه بيديها ... حينما تطأ قدماه أرض الوطن»[٣٦]

وهناك ترجمة للإلياذة قام بها علي ملكي، وهي ليست ترجمة وإنما اختصار شديد للإلياذة جاءت بعنوان «حصار طروادة»، وصدرت ببيروت عن دار صوت

الشوف، وهو نص لا يخالف مضمون الإلياذة ويتصف بلغة عربيّة مُشَوِّقة، مثلاً يكتب في الصفحة الأخيرة: «فلما أرخى الليل سدوله القاتم، ولف الكون في عباءة دكناء ...»[٣٥] فهو يقتبس الشطر الأول من بيت وصف به امرؤ القيس الليل:

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

عندما ندرس الترجمات السابقة للإلياذة نتعرض لِمُشكلتين: الأولى أنّ الإلياذة ملحمة شعرية، ومهما كانت هذه الترجمة جيدة فلن تفي بالغرض، فالشعر إذا نقل نثرًا باللغة نفسها فقد يفقد الكثير من جمالياته، ومن أهمها الإيقاع الموسيقي، ولقد أشار إلى هذه النقطة سيّد قطب في كتابه «النقد الأدبي، أصوله ومناهجه». حيث يقول إننا إذا نثرنا بيتًا مشهورًا للبحتري مثل:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكًا من الحُسنِ حتى كاد أن يتكلما

فإذا كتبنا هذا البيت نثرًا: جاء الربيع الطلق يختال من الحسن ويضحك حتى أوشك أن يتكلم. فإن هذا التعبير لا يفي بتصوير الحالة الشعورية التي مر بها الشاعر، لأنه يفتقر إلى الإيقاع الموسيقي، وقد نقضي على روح الشاعر في نثرنا للبيت.

المشكلة الثانية في ترجمة الإلياذة تتلخص في أنها جاءت مترجمة عن لغة وسيطة، فلقد اعتمد العلامة سليمان البستاني (١٨٥٦–١٩٢٥) في ترجمته على أكثر من لغة وجاء بعده ممدوح عدوان فترجمها عن الإنكليزية، والترجمة هنا حصلت عن لغة وسيطة، ولهذا النمط من الترجمات مشكلات كثيرة، ولكنها ضرورية أحيانًا.

ولقد مارس كبار الأدباء العرب هذا النوع من الترجمة، فلقد ترجم أحمد حسن الزيات (١٨٨٥–١٩٦٨) رواية «آلام فارتر» للأديب الألماني غوته

(١٧٤٩-١٨٣٢) وكتب المقدمة لهذه الترجمة الدكتور طه حسين، وكذلك قام الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي بترجمة مسرحيات سوفوكليس ٤٩٦-٤٠٦ ق.م عن اللغة الفرنسية أي عن لغة وسيطة ولم يترجمها مباشرة عن اللغة اليونانيّة لأنّه لا يعرفها.

أما المنفلوطي فلقد أقدم على تجربة تكاد تكون فريدة، إذ أقدم على الترجمة من اللغة الفرنسية، وهو لا يعرف الفرنسية. ترجم مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦-١٩٢٤) «مجدولين أو تحت ظلال الزيزفون» للكاتب الفرنسي ألفونس كار، ولم يكتب أنه ترجمها لأنه لم يترجمها وإنما لخصها. ونقل «الفضيلة» للكاتب الفرنسي برناردين سان بيير، و «في سبيل التاج» للكاتب الفرنسي فرانسوا كوبيه عام ١٩٢٠، وأهداها لسعد زغلول، وترجم «الشاعر» للشاعر الفرنسي أدمون روستيان عام ١٩٢١، وأهدى هذا الكتاب للشعراء بوجه عام، وما قام به المنفلوطي ليس ترجمةً وإنما اقتباس.

من ضروريات الترجمة عن لغة وسيطة، أننا قد لا نجد مترجمًا من لغة معينة، مثل اللغة الفنلندية، فلا بد إذًا من نقل نص من اللغة الفنلندية إلى اللغة الفرنسية أو الإنكليزية، ومنها إلى العربية والعكس صحيح. أي إننا نحتاج في هذه الحالة إلى مترجمين اثنين.

ومها ازداد عدد المترجمين وتوسع وشمل لغات قليلة الانتشار، فلا بد من اللجوء أحيانًا إلى الترجمة عن لغة وسيطة. وتؤدي دور اللغة الوسيطة اللغة التي هي أكثر انتشارًا مثل الإنكليزية أو الفرنسية، فلقد نقلت بعض الآثار الأدبية من الأدب الصيني واليوناني والإسباني ومعظم آداب العالم إلى اللغة العربية عن إحدى هاتين اللغتين الفرنسية أو الإنكليزية، أي إننا نستقبل آدابًا عظيمةً مترجمةً عن الترجمة، وهذا العمل ضروري، لعدم وجود مترجمين عن هذه اللغات، وله مخاطره،

لأن هذه الترجمة عادة لا تفي بالغرض المطلوب منها، ولكن كما يقول المثل الرمد خير من العمى، ولكننا لا نرى ضرورة في الوقت الحاضر لترجمة الأدب الروسي والألماني والإسباني عن لغة وسيطة، وذلك لوفرة عدد المختصين، بهذه اللغات، والذين يستطيعون نقل آدابها مباشرة إلى اللغة العربية.

وقد تُرجمت أعمال هامة في العصر العباسي عن لغة وسيطة، مثل ترجمة «كليلة ودمنة»، عن اللغة الفارسية، وهي بالأصل مكتوبة باللغة الهندية القديمة. قام بترجمتها عبد الله بن المقفع. عام ٧٥٠م في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور لكي يثنيه عن ظلم العباد والبلاد، ولكنه نفسه لم ينجُ من الظلم، فقتله الخليفة، وكان الفيلسوف الهندي بيدبا قد ألف هذا الكتاب في زمن ملك الهند دبشليم لكي يثنيه عن الاستبداد.

وكما أسلفنا، إن الترجمة عن لغة وسيطة ضرورية أحيانًا، ولكن يحق لنا أن نسأل: لماذا نترجم أحيانًا الأدب الإنكليزي عن لغة وسيطة، مثل اللغة الفرنسية؟ ألم يترجم الشاعر خليل مطران (١٨٧١–١٩٤٩) شكسبير عن اللغة الفرنسية ؟ من حيث المبدأ فإن الترجمة عن لغة وسيطة أدنى مستوىً من الترجمة المباشرة، ولكن هناك حالات فاقت فيها الترجمة عن لغة وسيطة الترجمة المباشرة. منها ترجمة الدكتور سامي الدروبي (١٩٢١–١٩٧٦) لمؤلفات دوستويفسكي (١٨٢١–١٨٨١)، وقسمٍ من مؤلفات تولستوي (١٨٢٨–١٩١٠)، وميخائيل ليرمنتوف (١٨١٤–١٨٤١) وألكسندر بوشكين (١٧٩٩–١٨٣٧) وغيرهم. فلقد جاءت ترجمته موفقة إلى حدٍ بعيدٍ جدًّا. وكذلك نجد أن خليل مطران (١٨٧١–١٩٤٩) وُفِّق في ترجمة شكسبير (١٥٦٤–١٦١٦) أكثر من جبرا إبراهيم جبرا، وكلاهما ترجم مأساة «ماكبث» (١٦٠٦) لشكسبير.

ماكبث هو ابن خالة دنكن – ملك اسكتلندا، وجاءت بهذا الشكل ترجمة خليل مطران عن الفرنسية، أما جبرا إبراهيم جبرا فترجم ظانًّا أنّ ماكبث هو ابن عم دنكن، لأنّ الكلمة واحدة في اللغة الإنكليزيّة، ولكننا في النص نلاحظ أنهما ابنا أختين.

خاتمة:

بهذا نكون قد قدمنا نموذجًا لعلاقة الأدب المقارن بالترجمة، وبالتحديد بترجمة ملحمة الإلياذة وهي من أقدم الأعمال الأدبية في العالم، وجنس الملحمة من أقدم الأجناس الأدبية، ولا بأس من الإشارة إلى أن روحي الخالدي أصدر كتابه الشهير «تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هيجو» عام ١٩٠٣، أيّ بعد مرور عام واحد على إصدار الإلياذة بترجمة البستاني، ويعده الدكتور حسام الخطيب «الرائد الأول للأدب العربي المقارن»[٣٨].

أما إذا تحدثنا عن أجناس أخرى مثل المسرح، فله علاقة وثيقة بالأدب المقارن، لأنّ المسرح جاءنا من الغرب. يقول الدكتور محمد نجم في كتابه «المسرحية في الأدب العربيّ الحديث»: «المسرح بمعناه الاصطلاحي الدقيق، فن جديد، ولج باب حضارتنا في النهضة الحديثة التي أعقبت الحملة الفرنسيّة على مصر»[٣٩].

ويرى أن مارون النقاش (١٨١٧– ١٨٥٥) قدم مسرحية «البخيل» عام (١٨٤٧) مقتبسة عن مسرحية موليير، ويصرح مارون النقاش إنه تَعَرَّف بالفن المسرحي أثناء وجوده في البلاد الأوربيّة. وهذا الوضع قد ينطبق على الرواية والقصة القصيرة والأجناس الأخرى.

المصادر والإحالات

١ – الدكتور محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، بيروت، دار العودة، ط ٥، ص ٩٠
٢ – الدكتور حسام الخطيب، الأدب المقارن، الجزء الأول، جامعة دمشق، ١٩٨٢، ص ١٣٨.
٣ – الدكتور محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص ٩.
٤– د.عماد حاتم، أساطير اليونان، بيروت، دار الشرق العربي، الطبعة الثانية ١٩٩٤، ص ٣٩٩.
٥ – د.طه حسين، المجموعة الكاملة، المجلد ١٢، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٣، ص ٣١.
٦ – الجاحظ، كتاب الحيوان، ج ١، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، القاهرة، ط٢، ص ٧٤–٧٥
٧ – الإلياذة، الجزء الأول، بيروت، دار العودة، ص ٥.
٨ – المصدر السابق، ص ٥.
٩ – المصدر السابق، ص ٥.
١٠ – المصدر السابق، ص ٦–٧.
١١ – الدكتور عبد النبي اصطيف في النقد الأدبي العربي الحديث، جامعة دمشق، ١٩٩١، ص ١٤٩.
١٢ – مقدمة سليمان البستاني للإلياذة، مصدر سابق، ص ١٣٦.
١٣ – المصدر السابق، ص ١٤٩.
١٤ – المصدر السابق، ص ١٥٥.
١٥ – المصدر السابق، ص ١٦٩.
١٦ – المصدر السابق، ص ١٧٣– ١٧٤.
١٧ – المصدر السابق، ص ١٧٥.
١٨ – المصدر السابق، ص ١٤٩.
١٩ – المصدر السابق، ص ٢٤٣.

٢٠ – المصدر السابق، ص ٣٦٠.

٢١ – المصدر السابق، ص ٣٧٣.

٢٢ – المصدر السابق، ص ٣٧٦.

٢٣ – المصدر السابق، ص ٤٤٨.

٢٤ – المصدر السابق، ص ٤٥٤.

٢٥ – المصدر السابق، ص ٥٧٣.

٢٦ – المصدر السابق، ص ٥٧٦.

٢٧ – المصدر السابق، ص ٥٧٩.

٢٨ – المصدر السابق، ص ٥٩٦.

٢٩ – المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٩٥١.

٣٠ – المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ٩٦٠.

٣١ – مقدمة الإلياذة، المجلد الأول، ص ٧٦.

٣٢ – مقدمة الدكتور طه حسين لترجمة عنبر سلام الخالدي للإلياذة، بيروت، دار العلم للملايين، ط، ١٩٨٥، ص ٦.

٣٣ – عنبر سلام الخالدي، مقدمة ترجمة الإلياذة، ص ٢٣.

٣٤ – هوميروس الإلياذة، ترجمة ممدوح عدوان، أبو ظبي، ص ١٠١–١٠٢.

٣٥ – المصدر السابق، ص ٢٤٧.

٣٦ – هوميروس، ترجمة دريني خشبة، دار العودة، انظر ص (٢٥) ص ٢٠٦.

٣٧ – هوميروس، الإلياذة، ترجمة علي ملكي، بيروت، صوت الشوف، ص ١٢٧.

٣٨ – روحي الخالدي، تاريخ علم الأدب، مقدمة الدكتور حسام الخطيب، ط٤، دمشق ١٩٨٤، ص ١٠.

39 – الدكتور محمد نجم، المسرحية في الأدب العربي الحديث، بيروت، دار الثقافة، 1956، ص ٣١.

نظرات في مسائل لغوية

كتبها الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري

تحت عنوان

«نحو إتقان الكتابة العلمية باللغة العربية»

أ. خير الله الشريف

عالج الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري[1] عضو مجمع اللغة العربية بدمشق مئة واثنتين وخمسين **مسألة لغوية** نشرت في سبع عشرة حلقة[2] في

(١) ولد الدكتور الحسني سنة ١٩٣٢ بدمشق لأسرة علم وفضل، جدها الأمير المجاهد عبد القادر الحسني الجزائري رحمه الله (١٨٠٧-١٨٨٣)، حاز إجازة العلوم الفيزيائية الرياضية من الجامعة السورية سنة ١٩٥٤، والدكتوراه من جامعة موسكو الحكومية سنة ١٩٦٥ بتخصص: (التفاعلات النووية عند الطاقات المنخفضة)، بدأ عمله التعليمي معيداً في قسم الفيزياء في كلية العلوم بجامعة دمشق سنة ١٩٥٥، وأنهاه أستاذاً فيه سنة ١٩٩٨، وكان إلى ذلك شغل في هيئة الطاقة الذرية ومركز البحوث والدراسات وظائف علمية عدة، وأتقن من اللغات: الروسية والإنكليزية والفرنسية، وهو عضو مجمع اللغة العربية منذ سنة ٢٠٠١. بدأ إصداراته سنة ١٩٦٨ فراجع ترجمة كتاب «فيزياء عالم الصغائر» الذي نشر في موسكو سنة ١٩٦٣، ثم نشرت له جامعة دمشق سنة ١٩٧٤ «القياسات الفيزيائية وتحليل نتائجها»، وبلغت إصداراته (١٢) اثني عشر كتاباً، آخرها ترجمة كتاب «البحث عن اللانهاية: حل أسرار الكون» الذي نشرته دار طلاس بدمشق سنة ١٩٩٧. دقق لغوياً -ومازال- في كتب كلية المعلوماتية التي بلغت زهاء ثلاثين كتاباً، ومواد مجلة: «الثقافة المعلوماتية» التي صدر منها (١٩) تسعة عشر عدداً حتى الآن.

(٢) استغرقت الحلقات لواذ (٢٤٥) مئتين وخمسٍ وأربعين صفحة نُجِّمت تسع سنين (من ١٩٩٨ إلى ٢٠٠٦م) على ستة عشر عدداً من مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، كما نشرت في مجلة جامعة دمشق للعلوم الصحية، ومجلة جامعة دمشق للعلوم الأساسية، ومجلة الثقافة المعلوماتية، وما زالت تنشر فيها.

مجلات **علمية متخصصة**، وكان قد ثقف الكتابة العلمية العربية تأليفاً وترجمة، ورغب إلى زملائه وتلامذته أن يحذوا حذوه، فتناول تصحيح ألفاظ وأساليب جانبها الصواب، جرت على أقلام الكثيرين أساتذة وطلاباً، فنبّه عليها؛ لتبرأ منها كتاباتهم، ويصفو الأخذ عنهم.

مهد الدكتور الحسني في الحلقة الأولى بين يدي مسائله بكلمة تناولت أهمية اللغة للأمة وضرورة الاعتزاز بها والدفاع عنها، وتمثل قول الدكتور مازن المبارك في كتابه (نحو وعي لغوي): «السخف المأثور في أن الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور» [٣]، وكشف أن وراء التسيُّب والإباحية اللغوية التي يعانيها الناس في المجتمع العربي المعاصر عقدة الشعور بالدونية إزاء الغرب، وعزا تدني مستوى الأداء بالعربية إلى هبوط مستوى المناهج والمعلمين، وإلى إعلاميين غير مؤهلين يرسخون العامية والخطأ اللغوي في وسائل الإعلام، وإلى محيط لغوي مريض يستخف بالعربية ويتقبل العامية والأغلاط اللغوية، فقال:«إن الخطأ الشائع ليس ضرباً من التطور، وإن شيوعه لا يعطيه حق البقاء، فليس من التطوير في شيء كسر الأصول أو هدم القواعد التي سارت عليها العربية ومازالت تسير حتى اليوم»[٤].

لعلَّ الدكتور الحسني قد وضع يده على جرحٍ لغوي أثخن أذواق الناس عامة، والبعيدين عن اللغة العربية خاصة فأخطؤوا كتابة ونطقاً، ووجد علاج ذلك بالتدرج في إتقان العربية السليمة ثم الفصيحة ثم الفصحى، ورأى لأجله سبلاً إذا سلكها المرء بلغت به الغاية في التمكن من العربية، أُولاها أَخَذَه من قول ابن خلدون في مقدمته: «إن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خياله المنوالُ الذي نسجوا عليه تراكيبهم، فينسج

(٣) نحو وعي لغوي ص ١٨١.

(٤) في الحلقة الثانية ص١٥٩ بتصرف يسير.

هو عليه...» (٥).

ولما كان توجه في حلقاته اللغوية بالخطاب إلى **مختصين بالعلوم الأساسية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء** اقترح لحصولهم على تلك الملكة مخالطة طائفة من أيسر الكتب برزت فيها الأساليب العربية المشرقة، ولم يذكر القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي لشهرتها، وضرب مثلاً على كتب نثرية وشعرية، فذكر منها كتب الرافعي وطه حسين والمنفلوطي والطنطاوي من الأواخر، والجاحظ وابن المقفع من الأوائل، ودواوين شعراء قدامى ومحدثين كأحمد شوقي والفرزدق وجرير.

وثانية تلك السبل الرجوع الدائم إلى معجمات لغوية قديمة وحديثة، من مثل المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس ورفاقه الذي أصدره مجمع القاهرة، ومعجم متن اللغة لأحمد رضا من المعجمات الحديثة، والقاموس المحيط للفيروزابادي، ولسان العرب لابن منظور من معجمات المتقدمين.

وثالثة سبل التمكن عنده الاستعانة بكتاب جيد في قواعد العربية، فذكر جملة كتب منها (جامع الدروس العربية) لمصطفى الغلاييني، وهو من الكتب النحوية المشهورة في عصرنا، ويحيط إجمالاً بقواعد العربية التي لا يستغني عنها كاتب أو قارئ، و(الكفاف) ليوسف الصيداوي.

ورابعة تلك السبل التي ذكرها الدكتور الحسني للتمكن من العربية الاطلاع على بعض معجمات الأخطاء الشائعة، وقدّم لذلك كتباً منها: (معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة) لمحمد العدناني.

والأغلاط اللغوية موضوع درج اللغويون العرب قدامى ومحدثين على توجيه عنايتهم إليه، فبيّنوا الأساليب اللغوية الصحيحة من الخطأ، وأفردوا كتباً مهمة في

(٥) مقدمة ابن خلدون ج٢/ ص ٣٨٦، الفصل الحادي والخمسون في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم.

هذا المجال(٦).

بدأ الدكتور الحسني في الحلقة الثانية بذكر مسائل البحث التي جمعها من قراءاته في كتب كلية المعلوماتية ومجلة الثقافة المعلوماتية وكتب علمية أخرى، وبدا له فيها خطأ أو لحن أو أسلوب بعيد عن المنهج السوي للعربية، فالتقطها ودرسها في رحاب الكتب التي اقترح نماذج منها، فكان يضع لكل مسألة عنواناً يلخص محتواها، ثم يأتي بنقول معجمية أو نحوية أو أساليب أدبية، أو من معجمات الأغلاط معلقاً عليها، ومستشهداً بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والمثل وأقوال الأدباء، ويسوق عبارات لكتّاب جانبها الصواب مشفوعة بتصحيحها.

وتشتمل هذه العبارات على أشيع الأخطاء لدى الكتاب، وعلتها استعمال الكلمة في غير ما وضعت له، فيورد الدكتور الحسني السياق الذي يصح استعمال الكلمة فيه، ثم يأتي بالتراكيب الخطأ، ثم التراكيب السليمة البديلة منها، ولعل هذا الأسلوب الذي اتبعه في معالجة الأخطاء الشائعة هو أبرز مايميز عمله مما سبقه من أعمال تحدثت عن الخطأ والصواب.

وقد تأتي بحوثه خالية من أمثلة الخطأ والصواب تعويلاً على أنه أراد لها أن تكون تذكرة للكتاب وزاداً لهم عندما تكون المسألة المبحوثة ذات أوجه في الاستعمال، فيكتفي بإطلاعهم على هذه الأوجه.

درس الدكتور الحسني في حلقاته (١٥٠) مئةً وخمسين مسألة، وجاءت مسائله

(٦) فمن كتب القدامى: «إصلاح المنطق» لابن السكيت، و«تثقيف اللسان وتلقيح الجنان» لابن مكي الصقلّي، و«درة الغواص في أوهام الخواص» للحريري، و«تصحيح التصحيف وتحرير التحريف» للصفدي. ومن كتب المحدثين: «عثرات اللسان» لعبد القادر المغربي، و«أغلاط الكتاب» لكمال إبراهيم، و«محاضرات عن الأخطاء اللغوية الشائعة» لمحمد علي النجار، وغيرها.

على ضربين: ضرب تناوله قبله الذين سبق لهم رصد الخطأ اللغوي الشائع أو الحديث عن الاستعمالات ذات الأوجه، ولكنه عالجه معالجةً مختلفة وأكثر جدوى، وضرب تفرّد بجمعه والحديث عنه، فمن الأول[٧] كلامه على: (إذنْ وإذاً) و(حوالَي) و(أخِصّائي) و(آنف الذكر) و(سوف لن أذهب) و(أحسن إليك بينما أسأت أنت إليه) و(سافر بطريق الجو) و(خطئ وأخطأ) و(مدراء) و(تمعّن في الأمر) و(وفّر)، وغير ذلك. ومن الآخر حديثه عن: (مبروك) و(بالتالي) و(خليوي) و(كيلو واط ساعي) و(سوية) و(بشكل عام) و(طاقوي) و(معكوف) و(فترة) و(لنفرض) و(مائة) و(إن هكذا أشياء) وغير ذلك.

وفي نظرة استقرائية في هذه البحوث يتبدى لنا تصنيف مسائلها أنواعاً ثلاثة نذكرها **ثم نردفها بمثال لكل نوع:**

أولاً– مسائل لغوية تتناول أخطاء الأساليب اللغوية المستعملة، وقد نالت الجانب الأوفى من هذه البحوث، فمنها:

١– كلمات أتى الخطأ فيها من استبدال معنى لغوي معجمي بآخر مثل: (يتواجد) من الوَجْد، ويقصد بها يوجد من الوجود بشرط أن يكون هذا الوجود عاماً مطلقاً، و(مبروك) من البَرْك، ويقصد بها مبارك من البركة، و(نفذ) من الإنفاذ وهو الإمضاء ويقصد بها نفِد من النفاد وهو الانتهاء، و(فترة) من الفتور ويقصد بها مدة، و(وَفْر) بمعنى كثير ويقصد بها التوفير، و(حد كبير) ويقصد بها بعيد، و(ناهيك عن) ويقصد بها بَلْهَ، و(شَكْل) ويقصد بها وَجْه، و(توفير إمكان) ويقصد بها إتاحة، و(تعذيب الماء) ويقصد بها إعذاب، و(إملاء الفراغ) بمعنى

(٧) انظر المسائل المذكورة في (معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة طبعة سنة ١٩٨٦) لمحمد العدناني في الصفحات: ٩٠، ١٩١، ٢٧٥، ٤٠٩، ٤٤٢، ٤٤٩، ٦٣٤، ٧٢٧. و(نحو وعي لغوي طبعة سنة ١٩٨٥) لمازن المبارك في الصفحات: ١٨٨ وما بعدها.

كتابة، ويقصد بها مَلْء الفراغ، و(تفنيد) بمعنى تكذيب، ويقصد بها تبيين، و(الأبعاد ويقصد بها المظاهر أو الوجوه)، و(معكوف أي محبوس ويقصد بها معقوف أي معطوف)، و(تأمين من الأمن ويقصد بها توفير)، و(سوية بمعنى معتدلة ويقصد بها مستوى)، و(على الرغم أي إكراهاً ويقصد بها مع أن)، و(لمحة ويقصد بها نبذة)، و(بالنسبة إلى ويقصد بها فيما يتعلق)، و(يُعتبر ويقصد بها يُعَدّ)، و(منذ ويقصد بها قبل).

وسنمثل لهذا النوع بالمسألة رقم (٢٧)، قال الدكتور الحسني (في مجلة جامعة دمشق للعلوم الأساسية: مج ١٨ / ح٣/ ع١/ ص١٥٤):

{27 – الفَتْرة:

جاء في المعجم الوسيط: «فَتَر يفْتُر فُتُوراً: لانَ بعد شدة، أو سَكَنَ بعد حِدَّةٍ ونشاط». وفي التنزيل العزيز: ﴿يُسَبِّحون الليل والنهار لا يَفْتُرُون﴾ [الأنبياء:٢٠]. أي لا يَضعُفون عن مداومة التسبيح.

وجاء في الوسيط أيضاً: «الفترة: الضعف والانكسار. **والفترة:** المدة تقع بين زمنين أو نبيين».

وفي التنزيل العزيز: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يُبيِّن لكم على فَتْرةٍ من الرُّسُل﴾ [المائدة:١٩] أي **انقطاع من الرسل**. وجاء في «معجم ألفاظ القرآن الكريم» وهو من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة:

«فَتْرة: مُضِيُّ مدةٍ بين رسولين»

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري: «ف ت ر – أجِد في نفسي فَتْرةً وفُتُوراً إذا سكَن عن حِدّته ولان بعد شدته. وتقول: فلانٌ عَلَتْهُ كَبْرَه، وعَرَتْهُ فترَه» أي: ضَعْف.

وفي الوسيط: «فترةُ الحُمّى: زمن سكونها بين نوبتين».

فالفترة إذن مُدةٌ تتميز بالفتور وانقطاع الجد أو النشاط فيها. وكل حال للسكون أو الانقطاع **تتوسط** بين حالين من الحِدَّة أو الجِدّ أو الاجتهاد فهي فترة، طالت أم قَصُرَت. وكل حال من الشدة أعقبتها حال من الضعف أو اللين فقد آلت إلى فترة.

ومن الخطأ حسبان الفترة زماناً كأيّ زمانٍ من الأزمنة!

- قال ابن مسعود: «كونوا جُدَدَ القلوب». وشرح هذا القول الإمام ابن قُدامة فقال: «كناية عن **عدم الفترة** في العبادة». ونقل ابن قدامة قول بعضم: «كنت إذا اعتَرَتْني فترةٌ في العبادة، نظرت إلى وجه محمد بن واسع وإلى اجتهاده».
- وقال الشيخ علي الطنطاوي: «... كان الشابان يتحادثان وهما يمشيان... وتكون **فترة** يصمتان فيها فلا يُسمع إلا وَقْعُ أقدامهما».
- وقال مصطفى صادق الرافعي في «كتاب المساكين، ص146»: «ثم لتعلمنَّ أنه إن كانت للقَدَرِ فترةٌ عن رجل من الناس، فقيراً أو غنياً أو بين ذلك، فما هي غَفْلةٌ ولا مَعْجِزَة، ولعلّ الرجل إنما **يُمدُّ له في الغيّ مدّاً طويلاً**...».
- ولنا أن نقول: كانت السنوات مابين الحربين العالميتين فترةً للمتحاربين.
  - وكان عقد الثلاثينيات المنصرم **فترةً** للاقتصاد العالمي، أصابه فيها رُكود.
  - أمضى فلانٌ على شاطئ البحر **فترةً** استراح فيها من عناء العمل.
  - تتضمن السنةُ الإنتاجية في معظم الشركات **فترةً** مخصصة لاستجمام العاملين.
  - توقفت السفينة في المرفأ **فترةً** للتزود بالوقود والأغذية الطازجة.

وقد شاع استعمال (الفترة)، في غير ما وُضعت له، شيوعاً واسعاً؛ فيقولون، مثلاً:

١– سيُعقد المؤتمر، / يستقبل المعرض زوّاره / تجري مقابلة المرشحين في الفترة من 1-99/6/5. **أقول:** سيعقد المؤتمر، إلخ .. في **المدة** من 1-99/6/5.

٢– يجب مراقبة ذلك في **فترة** إزهار النبات. **أقول:** مراقبة ذلك في **طَوْر** إزهار النبات. [من معاني «الطور: التارة، أي: المدة والحين].

٣– لا تسطع النجوم إلا **لفترة** محدودة. **أقول:** لا تسطع النجوم إلاَّ حِقْبة /برهة/ مدة محدودة (تكون خلالها في حالة ثَوَران لا فتور!).

٤– الطاقة التي تُشِعّها النجوم في أحسن **فترات** وجودها تأتي من تفاعلات اندماج نوى الهدروجين. **أقول:** الطاقة التي تُشِعّها النجوم في أحسن أوقات/ أطوار/ مراحل وجودها.

٥– والجزء الآخر من غاز المجرّات تحوَّل بشكل (كذا) كثيف إلى نجوم في **فترة** قصيرة. **أقول:** والجزء الآخر من غاز المجرّات تحوَّل متكاثفاً بشدة إلى نجوم في مدةٍ / زمنٍ قصير.

٦– على الطلاب بذل الجهد أثناء **فترة** الدراسة (!) وإبلاء **الفترات** التدريبية عناية خاصة. **أقول:** على الطلاب بذل الجهد أثناء الدراسة/ مدة الدراسة، وإيلاء الأوقات التدريبية/ أوقات التدريب...

٧– حدث من **فترة** أن اكتشف أحد الباحثين.. **أقول:** لا معنى لـ (حدث من فترة/ أو من مدة...) لأن مجرد استعمال الفعل الماضي يعني أن الحدث جرى قبل زمن التكلم. فإذا أراد المتكلم/ الكاتب مزيداً من التحديد، وجب عليه تعيين الزمن المنصرم بعد الحدث (حدث **قبل** ٣ أيام مثلاً..) أو إضافة كلمة مُعبِّرة: جرى قديماً/ حديثاً/ قريباً/ **قبل** أيام قليلة/ قبل مدة قصيرة، إلخ...

٨– زارني منذ **فترة** قصيرة... **أقول:** زارني **قبل** مدة قصيرة ... زارني حديثاً/

قريباً...

٩- يجب العناية بذلك في **فترة** الشباب على الأقل!

أقول: أتتميز **مرحلة الشباب** بالفتور أم بالحيوية والنشاط؟! [الشباب مرحلة من العمر تلي الطفولة وتسبق الرجولة. والشبّان والشَّوابُّ (الشابّات) هم الذين يعيشون مرحلة الشباب]. ويُجمع الشاب على شباب أيضاً.

ولعل من المفيد أن أُورِد شيئاً مما جاء في مقال الدكتور البدراوي زهران (مجلة مجمع القاهرة، العدد 72 لعام 1993): «... بل لهذا وُجدت للأوقات كلمات مختلفة على حَسَبِ الطول والقِصَر في المدة:

فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن، وتنطوي فيها **اللحظة** أو **اللمحة** للوقت القصير، **والبرهة*** **والرَّدَح** للوقت الطويل، **والفترة للمدة المعترضة بين وقتين**، والحين للزمن المقصود المعيَّن، **والعهد** للزمن المعهود المقترن بمناسباته، **والزمن** للدلالة على جنس الوقت كيفما كان، **والدهر** للمدة المحيطة بجميع الأزمنة والعهود والأحيان».

* **أقول**: جاء في المعجم الوسيط: «البُرهة: المدة من الزمان». (لم يَصِفْها بالطول!) وجاء في المعجم الكبير (الذي أصدره مجمع القاهرة):

«البَرْهة: المدة الطويلة من الزمان، أو هي أعمّ.

البُرْهة: البَرْهة. يقال: أقمتُ عنده بُرْهةً من الدهر».

وجاء في الوسيط: «**الهُنَيْهة**: القليل من الزمان: يقال: أقام هنيهةً».

وجاء فيه أيضاً: «**الحِقْبة** من الدهر: المدة لا وقت لها. أو السنة. (ج) حِقَبٌ وحُقُوبٌ.

وجاء فيه أيضاً: «**الحُقْبُ والحُقُبُ**: المدة الطويلة من الدهر (80 سنة أو أكثر). (ج) حِقاب / أحقاب».

وجاء فيه أيضاً: «**المَرْحلة**: المسافة يقطعها المسافر في نحو يوم، أو ما بين المنْزِلَيْن».

وتستعمل المرحلة الآن بمعنى «قَدْرٍ محدَّد من الشيء» وعلى الخصوص «قدْرٍ من الزمان».

يقال: مرحلة الطفولة، مرحلة الشباب، مرحلة الرجولة، مرحلة الكهولة، مرحلة الشيخوخة...

ويقال: مرحلة الدراسة الابتدائية / الإعدادية / الثانوية / الجامعية...

وجاء في معجم «متن اللغة»: «**السَّبَّة** من الدهر: كالبرهة والحقبة، وهي السَّنْبة».

وجاء في الوسيط: «**الأَوانُ**: الحيْنُ. يقال: جاء أوانُ البرد. والجمع آونَة».}

٢- ومنها استعمالات أقحمت فيها كلمات أو حروف يستغنى عنها مثل: (سوف لن) وصوابها (لن)، لأن سوف لاتدخل إلا على مثبَت. و(كلما) مكررة في جملة واحدة، و(من خلال البدء) وصوابها بدءًا، و(عبارة عن) وصوابها في موضعها أن تحذف أحياناً، و(عدا عن) وصوابها عدا، و(فيما إذا) وصوابها إذا، و(لأول مرة) وصوابها أول مرة.

ثانياً- مسائل تتناول الأخطاء النحوية أو الصرفية أو الإملائية.

فمنها في النحو:

١- تعدية الفعل بحرف جر بدلاً من آخر، مثل: (تأكّد منه) وصوابها (تأكد له)، و(تحسّب منه) وصوابها (له).

٢- تعدية الفعل بحرف جر وهو يتعدى بنفسه، مثل: (أكد عليه) وصوابها (أكده)، و(تعرّف عليه) وصوابها (تعرّفه).

٣- إضافة اسم إلى فعل، مثل: (في حالة تضاعَفَتْ) وصوابها (في حالة

تضاعُفِ).

٤– استبدال فعل بلام التعليل وأنّ المصدرية المشبهة بالفعل، مثل: (ستنجح طالما تسهر وصوابها ستنجح لأنك تسهر).

٥– صرف الممنوع من الصرف، مثل: (وجدت حلاً أمثلاً) وصوابها (أمثلَ).

٦– إدخال الباء على المأخوذ بدلاً من المتروك، مثل: [استبدل (س) بـ (ع) – المأخوذ (ع) والمتروك (س)– وصوابها استبدل (ع) بـ (س)].

٣– حذف ياء الاسم المنقوص حال النصب، مثل: (أكتب حواشٍ) وصوابها (حواشيَ).

ومنها في الصرف:

١– استبدال اشتقاق بآخر لايوافق السياق، أو يخالف القاعدة، مثل: (نُشِر مؤخراً) وصوابها (نُشِر أخيراً)، وهو استبدال اسم مفعول بصفة مشبهة، و(مبهر) وصوابها (باهر)، و (ملفت) وصوابها (لافت)، و(مدراء) وصوابها (مديرون)، و(مرابيط) وصوابها مربوطون، و(حكايا) وصوابها (حكايات)، وهو استبدال جمع بجمع السلامة، و(مُؤَكَل على) من وَكَل، وصوابها (موكول إلى)، ولكن يصح (مُوكَلٌ على) من (أوكل على)، وهو استبدال اسم مفعول من ثلاثي مزيد باسم مفعول من ثلاثي مجرد، و(أقنية) وصوابها (قنوات) وهو استبدال الجمع على أفعلة بالجمع على فعلات، و(فحوصات) وصوابها (فحوص)، وهو استبدال جمع الجمع بالجمع.

٢– أخطاء في مراحل العملية الصرفية، مثل: (مباع) وصوابها (مبيع)، وهو اسم مفعول من ثلاثي معتل جوفه ياء، و(طاقويّ) وصوابها (طاقيّ)، وهي نسبة إلى طاقة، و(خليوي) وصوابها (خَلَوِيّ) وهي نسبة إلى خلية، و(الطائرة الأسرع) وصوابها (السرعى)، وهو وصف باسم تفضيل للمؤنث، و(نستفاد) وصوابها

(نستفيد)، وهو إبدال الياء ألفاً.

وسنمثل لهذا النوع بالمسألة رقم (١٤٤)، قال الدكتور الحسني (في مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية: مج ٢١/ ح١٥/ ع١/ ص٣٥٤):

{144 – هذه خامس معركة (لا: خامسة معركة!(أو: هذا آخِرُ خَمْسِ معارك.

تعقيب على قولين: للرافعي والعدناني

1– عالجت الفقرة 106 الأعداد الترتيبية، وهي أسماءٌ يوصف بها؛ وتصاغ من الأعداد المفردة (من اثنين إلى عشرة) على وزن (فاعِل) للمذكر، و(فاعِلة) للمؤنث. أما العدد (واحد) فيقابله الوصف (أوَّل) للمذكّر، و(أُوْلى) للمؤنث. والعدد الترتيبي يصف **ما قَبْله** ليدلّ على ترتيبه، وهو **يطابق** موصوفه من حيث التذكير والتأنيث والتعريف والتنكير، فيقال مثلاً: فصلٌ رابعٌ، قناةٌ ثانية؛ الباب السابع، الطبعة الخامسة.

2– جاء في «معجم الأخطاء الشائعة» لمحمد العدناني (ص86):

«ويقولون: هذه **خامس معركة** انتصر فيها جيشنا. والصواب: هذه **خامسة معركة**؛ لأن العدد الترتيبي يطابق المعدود في التذكير والتأنيث، سواءٌ أكان صفة، أم مضافاً إلى المعدود.»

اعتراض العدناني هو إذن على تذكير كلمة (خامس) المضافة إلى المعدود المفرد المؤنث النكرة: معركة. لكنه لم يُورد شاهداً على كلامه، ولم يذكر مرجعاً يؤيده. وسنبيّن أن كلامه جانَبَ الصواب.

صحيح أنه يقال، مثلاً: «استمعتم إلى ثانية النشرات الإخبارية»، لكن (ثانية) هنا مضافة إلى معدودٍ مؤنثٍ جَمْعٍ **معرفة!**

ومِثْله قول العرب: «رماه بثالثة الأثافي» (جمع الأُثْفِيَّة): أي رماه بداهيةٍ

كالجبل!

3– وكان مصطفى صادق الرافعي (توفي سنة 1937) قال قبل العدناني بزمن طويل (وحي القلم /114/1): «قلت: يا أبا محمد، هذا آخِرُ أربع مرات (1) تَغْضب عليك غضب الطلاق.» وقال في **حاشية** الصفحة المذكورة: (1) هذا هو التعبير الصحيح لمثل قول الناس (هذه رابع مرة). ولم يذكر الرافعي أيضاً مرجعاً يؤيد كلامه. وربما تأثر في قوله هذا بما جاء في «لسان العرب» و«القاموس المحيط» و«تاج العروس»: «يقال: أتيتُك آخِرَ مرتين وآخِرةَ مرتين: المرة الثانية من المرتين».

وربما اطّلع كذلك على كلام الصحابي الشهير أبي هريرة، الذي قال لمن أتاه ثلاث مرات في ثلاث لَيالٍ، وهو يَعِدُ في كل مرة أنه لن يعود ثم يعود... قال له:

«هذا آخِر ثلاث مرات إنك تزعم لا تَعُود ثم تعود...» [انظر الحديث 2311 في صحيح البخاري بشرح القسطلاني.]

فما الرأي في حاشية الرافعي وكلام العدناني؟

4– لم أجد فيما لديّ من كتب النحو شرحاً مفصَّلاً لأحكام «إضافة الصفة إلى موصوفها».

وقد تَطَوَّل عليَّ الأستاذ الفاضل محمد علي حمد الله فساعَفَني بِطَلَبَتي بأنْ زوّدني بالحُكم العام.

وقبل أن أُورِد ما ذكره لي أقول: جاء في الكلام الفصيح إضافة الوصف **المذكر** إلى الموصوف **المؤنث**.

ففي التنزيل العزيز: ﴿قل يُحْيِيْها الذي أنشأها أوَّل مرة﴾ [يس٧٩] . وقال عنترة: [ديوانه ط مولوي ص٢٠٧]

جادتْ له كفّي **بعاجِلِ طعنةٍ** ورَشَاشِ نافذةٍ كَلَوْن العَنْدم

(العَنْدم: نبات أحمر).

قال الأستاذ الكريم: [(الطعنة) اسم مؤنث، فلماذا لم يقل (عاجلة) بتاء التأنيث؟

الجواب: الأصل أن يأتي النعتُ (الوصف/ الصفة) **بعد** مَنْعُوته (موصوفه)، هكذا: بطعنةٍ عاجلةٍ. ولكن لما جِيء بالوصف **قبل** موصوفه سقطتِ النَّعْتِيَّة النحْوية، وسقط معها **واجب التَّبَعِيَّة** للموصوف جِنساً وعدداً ومحلاً؛ وبسقوطها اللفظي سقطت المطابقة الجنسية، فعاد اللفظ إلى **التذكير**، لأنه **الأصل في الأسماء**، والتأنيث عارض.

ومثل هذا يقع لاسم التفضيل، وهو وصفٌ مشتق أيضاً، عندما يضاف إلى **نكرة**، نحو: جادتْ له كفّي بأعجلِ طعنةٍ.

ومن الأدلة على أن التذكير **أصلٌ** والتأنيث **فرعٌ**، قولنا: (سَرَّني ما عندك من حِكْمة). ولا نقول: سَرَّتْني، مع أن الحكمة هي المقصودة هنا، ثم جِيءَ بـ (مِن) التَّبْيِينْيَّة لتبيِّن (أو لتُميِّز) اسمَ الموصول المبْهَم، وهو هنا (ما) الصالحة لمذكر ومؤنث.

هذا كُلُّه إذا كان **المضاف إليه مفرداً نكرة**؛ فإن جاء **مفرداً معرفة** صَحَّ أيضاً، نحو: واثق الخطوة، قويُّ العزيمة، هَدَّارُ النَّبْرة. ا هـ.

5- أقول: الكلام السابق هو على إضافة الوصف بوجهٍ عام. فإذا كان **الوصف المضاف عدداً ترتيبياً** (ثانٍ، ثالث، رابع...) فإنه يضاف **مذكَّراً إلى مفرد نكرة** (نحو: هذا خامس زلزال، وهذه **خامس معركة**، ولا يقال: هذه خامسة معركة)؛ **ولا يضاف إلى مفرد معرفة**، أي لا يقال: هذا خامس الإعصار، وهذه خامس المعركة.

وإذا أضيف إلى **جمعٍ معرفة** وَجَبَتِ المطابقة الجنسية (أي من حيث التذكير

والتأنيث) وخرج عن كونه صفةً للمضاف إليه مُقَدَّمةً عليه. يقال: هذا ثاني الفائزين. وهذه خامسة المعارك.

6– أما العدد الترتيبي (أوَّل) فتنطبق عليه أحكام اسم التفضيل لأن وزنه (أَفْعَل). فإذا أضيف إلى **نكرة** (مذكر / مؤنث/ مفرد/ مثنى / جمع) وجب إفراده وتذكيره في كل الأحوال. يقال:

هذا أول قرار؛ هذه أول مرة (ولا يقال: أُوْلى مرة! بل المرة الأولى).

هما/ هم أول طالبَيْن / طلاّب من اليمن. هما/ هُنَّ أول طالبتين / طالبات من اليمن.

وإذا أضيف إلى **معرفة** خرج عن كونه صفةً للمضاف إليه مُقَدَّمةً عليه. ونُمَيِّز هنا حالتين:

أ– المعرفة مفردة، نحو: أول الشهر / الفصل؛ أول السنة / الدراسة. فكلمة (أول) هنا لا تفيد الترتيب لأن المعنى هو: بداية الشهر / الفصل / السنة / الدراسة...

ب– المعرفة جمع، نحو: هو أول التلاميذ؛ هي أول/ أُوْلى الطالبات؛ ونحو: هم أول/ أوائل الطلاب؛ هُنَّ أول/ أُوْلَيَات الطالبات.

أي يجوز هنا إفراد المضاف وتذكيره، ويجوز مطابقته لِما قَبْله.

ملاحظة: (الآخِر) نقيض المتقدّم. وتستعمل كلمة (آخِر) للإشارة إلى مايكون ترتيبه في النهاية، فتضاف إلى المذكر والمؤنث والمفرد والجمع. يقال:

هذا آخِر امتحان. هذا آخِر المدعُوِّين، تلك آخِر مرة رأيته فيها. هذه العبارة هي آخر كلمات خطبته...

7– وإليك أقوالاً مقتبسة من كلام بعض أئمة القرون الهجرية السابع والتاسع والثاني عشر والثالث عشر.

- جاء في «صُبح الأعشى في صناعة الإنشا» (32/3) للقلقشندي (توفي 821 هـ(: قال ابن عبد السّلام (ت 660 هـ(: ومِساحة رأس السِّنّ من أول سِنٍّ منها إلى **ثالث سِنٍّ** كثلثي أَلِفٍ. (من المعلوم أن السِّنَّ مؤنثة).
- وجاء فيه (493/3): ثم وَلِيَها عنه أبو منصور**ثالث مرة** في السنة المذكورة.
- وجاء في مقدمة «فتح الباري» (107/1) للإمام ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ(: قوله (حقة) هي التي دخلتْ في **رابع سنة** من الإبل. قيل سُمِّيت بذلك لأنها...
- وجاء في «فتح الباري» (27/3): فقد صرّح البخاري في **خامس ترجمة** من أبواب التهجّد بخلافِهِ...
- وجاء فيه (319/3): وابن اللبون الذي دخل في **ثالث سنة** فصارت أُمُّه لبوناً بوضع الحمل...
- وجاء في «لسان الميزان» (242/5): لابن حجر العسقلاني: وهو في **رابع سنة**.
- وجاء في «تهذيب التهذيب» (115/3): وحكى البارودي أنه أَسْلم **سادس سنة**.
- وجاء في «شرح الزرقاني» (463/2) للإمام الزرقاني (ت 1122): ولو لم يَدَعْ لهم **ثالث مسألة** ما سألوه.
- وجاء في «نيل الأوطار» (366/4) للإمام الشوكاني (ت 1255 هـ(: «الثامن والثلاثون: أول ليلة أو **تاسع ليلة أو سابع** عشرة أو إحدى وعشرين أو آخر ليلة».
- وجاء في «التبيان، شرح بديعة البيان» لابن ناصر الدين (وهو من رجال القرن التاسع الهجري) وهو يترجم للإمام البرزالي: «وفي **خامس حِجَّة** حَجَّها مُتْهِماً مات. (متهماً: أي قاصداً الطريق السهلة البحرية لِتهامة.)

8- **الخلاصة**: يستبين بما سبق صحة التراكيب الشائعة الاستعمال الآتية:

لكَ منّي عاطرُ التحية / خالص المودّة / عميق المحبة...
لمسْتُ منه صادق الهمّة / عظيم المِسَرَّة / طيِّبَ النيّة...
تَقَبَّلَ اللهُ صالحَ الأعمال (دُعاء!).}.

ومنها في الإملاء:

١- أخطاء من التصحيف، مثل: (مدبب) وصوابها (مذبب)، و(على حده) بالهاء وصوابها (حدة).

٢- أخطاء من التحريف، مثل: (حدا) و(حدى) وصوابها (حدة)، و(عامود) وصوابها (عمود)، و(بناءا على) وصوابها (بناء على)، و(مائة) –تلفظ ماءة– وهو خطأ جرّ إليه الرسم، وصواب لفظها (مئة) من دون ألف.

ثالثاً– أساليب واستعمالات غير عربية جاءت بها الترجمة الحرفية، مثل:

١–(إن هكذا أشياء): جاءت من مثل قولهم في الفرنسية: de telles choses sont... وفي الانكليزية ...such things ase .

وصوابها: إن أشياء كهذه، أو: إن مثل هذه الأشياء.

٢- (يلعب دوراً): جاءت من مثل قولهم في الفرنسية: il joue un rôle dans cette affaire وصوابها: يؤدي دوراً أو يقوم بدور، لأن فعل (لعب) لازم!

٣- (ثاني أكبر): جاءت من مثل قولهم في الإنكليزية: second largest وصوابها: الثانية كبراً.

وسنمثل لهذا النوع بالمسألة رقم (٥١)، قال الدكتور الحسني (في مجلة الثقافة المعلوماتية: ح٥/ ع١٠/ ص١٣٢):

{51– لِ، لأنَّ، من أجْل، لأجْل؛ بسبب كذا، بسببٍ من كذا؛ كي؛ بُغْيَةَ كذا، إذْ...

أ- من معاني (اللام) التعليل؛ يقال: اشكر المحْسِن لإحسانه؛ العمل ضروري

لدفْع الفاقة؛ أُحبُّه لأنه كريم الأخلاق / لِكَرَم أخلاقه...

وهناك حروف أخرى تستعمل للتعليل:

الباء: كلٌّ يكافأ بعمله، ويعاقَب بتقصيره.

من: نام من شدة التعب. قال الإمام البوصيري: [ديوان البوصيري ص١٩٧]

قد تُنكِر العينُ ضوءَ الشمس من رمَدٍ ويُنكِرُ الفمُ طعمَ الماء من سَقَمِ

في: اشتهر هذا المحامي في قضية خطيرة (أي عظيمة الشأن).

عن: لم أحْضر إلا **عن** طلبٍ منك.

على: أشكر المحْسِن **على** إحسانه...

ب- جاء في المعجم الوسيط: «أجْل: يقال: فعلتُ ذلك أجْلَكَ ومن أجْلِك: بسببك».

وجاء في المعجم الكبير (إعداد مجمع القاهرة)، «أجْل: كلمة تَدخل على سبب الشيءِ وعِلَّته. يقال: فعلتُ ذلك من أجْل كذا، ولأجْل كذا. ويقال: أجْلَ كذا».

وفي التنزيل العزيز: ﴿من أجل ذلك كَتَبنا على بني إسرائيل...﴾ [المائدة٣٢].

وإذا قيل: «وقف الطلاب إجلالاً للمعلّم» كان إعراب المِصْدر «إجلالاً» مفعولاً لأجْلِه (أو من أجْلِه). أي إن هذا المصدر هو عِلَّة حصول الفعل، بحيث يصحُّ أن يقع جواباً لقولك: «لِمَ وقفوا؟» – لأجْل إجلال المعلم.

ويصحُّ الشيءُ نفسُه في قولنا: فلانٌ يَدْرُس حُبّاً للعِلم. لِمَ يدرس؟ – لأجْل حُبِّ العِلم.

يقال على الصواب:

- قامت حرب البسوس بين بكر وتغلب في الجاهلية أربعين سنة من **أجْل** ناقة (أي بسبب ناقة).

- قامت حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان **من أجل** فرس!
- كانت هذه الدولة أول دولة في التاريخ تعلن الحرب **من أجل** انتزاع حقوق الفقراء عند الأغنياء، وكان الخليفة أبو بكر الصِّدِّيق أول من حارب من **أجل هذا!**

ويستعمل بعض المترجمين اليوم «من أجل» مقابل الكلمة الإنكليزية for والفرنسية pour.

صحيحٌ أنه يمكن أحياناً ترجمة هاتين الكلمتين بـ «من أجل»، ولكنْ لهما معانٍ كثيرة أخرى، من أهمها «في حال». فإذا كان لدينا التابع y=2x مثلاً، قالوا:

y=6 من أجل x=3 (pour, for) ؛ و y=10 من أجل x=5 (pour, for) .

والأصح أن يقال: y=6 في حال / إذا كان x=2،

و: y=10 في حال/ إذا كان x=5

لنتأمل العبارات العلمية الآتية:

- تعطي صيغةُ (بور) سلسلةَ (بالمر) «من أجل!» n=2 «for» ، وسلسلةَ (باشن) «من أجل» n=3 «for» أليس الأحسن أن يقال: في حال n=2، وفي حال n=3؟
- يكون التناسب «من أجل!» الطاقات الأدنى (كذا!) كما يلي: ...

الأحسن أن يقال: يكون التناسب في حالة الطاقات الدنيا (أو «التي هي أدنى» بحسب المعنى المراد) كما يلي:...

- يقاس المقطع العَرْضيّ بالبارن، وله قيمة محددة من أجل (!) مادة معينة وتفاعل معين. والصواب: يقاس المقطع العَرْضيّ بالبارن، وله قيمة محددة لمادة معينة وتفاعل معين.

ج– ومما يستعمل للتعليل أو لبيان الدافع، الكلمات الآتية أيضاً: بسبب كذا،

بسببٍ من كذا، كي، بغية كذا، إذْ ... جاء في المعجم الوسيط: «البُغْية: مايُبْتغى. ابتغى الشيءَ: أراده وطلَبَه». يقال على الصواب:

- الطريق مغلق (مغلقة) **بسبب** تراكم الثلوج.
- ولغة الشِعر يُتسامح فيها **بسبب من** كونها خاصة في أوزانها وقوافيها وبناء جُملها، من حيث التقديم والتأخير (د. إبراهيم السامرائي: الفعل، زمانه وأبنيته، ص 215).
- فلانٌ يتفانى في خدمة رئيسه **بُغْيَةَ** نَيْل رضاه / ابتغاء مَرْضاته / كي ينال رضاه...

فأصبحوا قد أعاد الله نِعْمتَهم إذْ هم قريش، وإذْ ما مِثْلَهُم بَشَرُ

[ديوان (الفرزدق) ١/ ١٨٥]

سبق أن الباحث استقى مادته مما وقع بين يديه من نصوص علمية ومقالات متنوعة، وهذا موضع الإفادة في ما كتب، فقلّما يأتي تصحيح من أصحاب الكتابات العلمية أنفسهم. ومما يحمد في البحوث المحاولات الاجتهادية التي ترد في ثناياها، منها رأيه أن الاستعمال الشائع لكلمة (مُدَبّب) بمعنى المؤنّف خطأ نشأ عن تصحيف كلمة (مُذَبّب)، ومنها اشتقاق فعل (استمثل) من (م ث ل) بمعنى جعل الشيء أمثل أي أفضل، ومنها التنبيه على خطأ استعمالات أجازها مجمع القاهرة مثل: (تراوحت درجة الحرارة بين ٣٥و٤٥)، و(حضر حوالَي عشرين شخصاً)، و(حوالي) للمكان، و(انعكس ذلك على حالة الإنتاج)، و(انعكس) ارتدّ.

وهناك استعمالات أخرى تكلم فيها على وجه ثم بدا له فيها وجه آخر، مثل: (مثابة) بمعنى (منزلة)، وصوابها أنها بمعنى الموضع الذي يُثاب إليه أي يُرْجَع إليه مرة بعد مرة، فأوردها أولاً على الصواب، ثم تهيأ له من نصوص لعلماء أتوا بعد عصر

الاحتجاج ذكرتها بمعنى منزلة، مثل الجرجاني وأبي حيّان النحويّ وابن قيّم الجوزيّة والمرزوقيّ وابن عطاء الله السكندري، فأعاد ذكرها مع إقرار المعنى الجديد.

وتوجهت عناية هذه البحوث أولاً إلى مختصين بالعلوم النظرية والتطبيقية، فكان يحمد أن تأتي مقتصرة على بيان الخطأ والصواب مشفوعاً بأمثلة واضحة وإحالات دقيقة من دون تفصيلات نحوية أو صرفية أو إكثار من شواهد الاحتجاج وأدلته، وخلت –إلا قليلاً– من تخريج الشواهد القرآنية والحديثية والشعرية والنصوص الأخرى قديمها وحديثها، ومن توثيق لطبعات الكتب المعتمدة، فلم يخرج من أصل (١٩٨) ثمانية وتسعين ومئة نص قرآني سوى (٤٩) تسعة وأربعين، وتوالى تخريج هذه النصوص وإغفاله (١٢) اثنتي عشرة مرة، وأتت الحواشي تارات في وسط الكلام وأخرى في أسفل الصفحة، وذكرت أسماء مصادر البحوث ومراجعها فقط في نهاية البحوث ذوات الأرقام (٨٠، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٢٢، ١٣٨)، واعتمدت في الغالب كتباً نحوية ومعجمات حديثة لا تخالف في مضمونها القديمة، ووقعت في أثناء هذه البحوث هنوات نشير إلى بعضها فيما يأتي:

– قوله في الحلقة الثالثة، ١٩٨:

[واستعملت (أثناء) جمع (ثِني) استعمال الاسم، ولكنها جاءت ظرفاً في قول الشاعر الجاهلي عمر بن ماجد:

ينام عن التقوى ويوقظه الخنَا فيخبط أثناءَالظلام فُسُول]

قلت: قال في الأغاني (ط الشعب) ج١٦/ ص٥٦٨٩:

قال الحزين الدُّؤليّ يهجو عمرو بن عمرو بن الزبير:

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجدٍ ولكنه كَزُّ اليدين بخيلُ

ينام... وفي ص٥٦٧١ من المصدر ذاته: الحزين ... من شعراء الدولة الأموية، حجازي مطبوع.

– قوله في الحلقة السادسة، ص ١٧٣:

[«لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن عمله فيم فعل...»] قلت: جاء في الحديث رقم (٢٤١٧) من «الجامع الصحيح» للترمذي (ط شاكر): «... علمه فيم فعل...».

وقوله في الصفحة نفسها:

[«... فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذِلُّ من واليت...»]. قلت: جاء في الحديث رقم (١٧١٨) من مسند الإمام أحمد (ط الرسالة): «.. إنه لا يذل ..» من دون واو قبل (إنه).

– قوله في الحلقة السابعة، ص ١٥١:

[وجاء في (المفهم) للإمام القرطبي]

قلت: الإمام القرطبي هنا أبو العباس أحمد بن عمر المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وهو صاحب (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم)، وليس أبا عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري المتوفى سنة ٦٧١ هـ، وصاحب تفسير (الجامع لأحكام القرآن)، فكان يحسن توضيح الأمر خروجاً من اللبس. وقوله في الصفحة التالية: [وقال العَكُّوك عليُّ بن جَبَلة] قلت: هو العَكَوَّك، بفتح العين والكاف والواو المشددة، انظر مقدمة ديوانه بتحقيق الدكتور حسين عطوان طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧٢.

– قوله في الحلقة السابعة، ص ١٦٠، جملة القسم وجملة جوابه:

[لئن ساءني أن نِلتَني بمساءة لقد سرّني أني خطرت ببالكا!]

قلت: البيت في ديوان عبد الصمد بن المعذّل ص ١٥٢ بخطاب المؤنث:

لئن ساءني أن نِلتِني بمساءة لقد سرّني أني خطرت ببالكِ

– وقوله في الحلقة التاسعة، ص ٢١٠، في الاستثناء والحصر بالأداة (إلا): [ج– الكلام قبل إلا تام ومسبوق بنهي، نحو: ﴿ولا يلتَفِت منكُم أحدٌ إلا امرأتَكَ﴾ [هود ٨١]، ويصح في غير القرآن: امرأتُك بدل من أحدٌ]. قلت: بل هو في القرآن صحيح بقراءة ابن كثير وأبي عمرو، انظر: السبعة لابن مجاهد ص٣٣٨، والتيسير للداني ص ١٢٥.

– قوله في الحلقة العاشرة، ٢٣٨:

[(وإذا سألك عبادي عني فإني سميع قريب)] قلت: الصواب: ﴿فإني قريب﴾ من دون كلمة سميع، في الآية ١٨٦ من سورة البقرة.

– قوله في الصفحة السابقة ذاتها، في اقتران جواب إن أو إذا الشرطيتين بالفاء إذا كان جملة اسمية:

[«إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكينة» (حديث شريف) حرف الجر (على) دخل على ضمير (اسم)!]

قلت: تعليل الاسمية في جملة جواب الشرط هو مجيء (عليكم) اسم فعل أمر بمعنى (الزموا)، ولذلك اقتضى اقترانه بالفاء.

– قوله في الصفحة السابقة ذاتها:

[﴿إن أحسنتُم أحسنتُم لأنفسِكُم وإن أسأتَم فلَها﴾ (الضمير «ها» اسم)]

قلت: تعليل الاسمية في جملة جواب الشرط هو أن الجار والمجرور متعلقان بخبر تقديره كائنة، والمبتدأ محذوف تقديره: الإساءة.

– قوله في الحلقة العاشرة، ص ٢٤٠:

[(فإن توليتم فما سألتكم عليه من أجر)]

قلت: الصواب: ﴿فما سألتكم من أجر﴾ في الآية ٧٢ من سورة يونس.

– قوله في الحلقة الحادية عشرة، ص٢٠٧:

[قوله: ففي قوله تعالى: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ يجوز في كلمة (يوم) الرفع والنصب، والرفع أولى].

قلت: هي الآية ١١٩ من سورة المائدة، فالرفع قراءة الجمهور، والنصب قراءة نافع، والقراءتان متواترتان.

(انظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٥٠، والتيسير للداني ص١٠١).

– قوله في الحلقة الحادية عشرة، ص ٢١١:

[قال الإمام ابن الجزري:

واكسره حال الكسر والفتح وفي الأسماء –غير اللام– كسرُها، وفي]

قلت: الصواب: (.. الأسماء ..) بتسهيل الهمز، ونقل حركته –وهي الفتحة– إلى اللام قبله، وهي الرواية الصحيحة المتصلة السند إلى ابن الجزري. [انظر «المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه» لابن الجزري، تحقيق: د. أيمن سويد، البيت رقم (١٠٠)].

المصادر والمراجع

الكتب:

١. الأغاني/ الأصفهاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري – القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٩ — ٣١ ج.

٢. التيسير/ الداني، تصحيح: أوتوبرتزل – ط٢ – بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٤.

٣. الجامع الصحيح/ الترمذي؛ تحقيق: أحمد شاكر وآخرين – بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٠– ٥مج.

٤. دليل الأخطاء الشائعة في الكتابة والنطق/ مروان البواب، إسماعيل مروة – دمشق: دار الرضا، ٢٠٠٠.

٥. ديوان العكوّك/ تحقيق: د. حسين عطوان – القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢.

٦. السبعة/ ابن مجاهد؛ تحقيق: د. شوقي ضيف – ط٢ – القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠.

٧. شعر عبد الصمد بن المعذّل/ تحقيق: زهير زاهد – النجف: مطبعة النعمان، ١٩٧٠.

٨. القاموس المحيط/ الفيروز ابادي – ط١– بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦.

٩. مسند الإمام أحمد/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين – بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣–٢٠٠١– ٥٠مج.

١٠. معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة/ محمد العدناني– بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٦.

١١. مقدمة ابن خلدون/ حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله محمد الدرويش – ط١– دمشق: دار يعرب، ٢٠٠٤–٢ج.

١٢. منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه/ ابن الجزري، تحقيق: د. أيمن سويد – ط٣ – جدة: دار نور المكتبات، ٢٠٠١.
١٣. نحو وعي لغوي/ د. مازن المبارك – بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.

الدوريات:

– مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية:

بدءًا بالعدد الثاني من المجلد الرابع عشر لعام ١٩٩٨م، وانتهاء بالعدد الأول من المجلد الثاني والعشرين لعام ٢٠٠٦م.

التقرير السنوي عن أعمال المجمع

في دورة عام ٢٠٠٥م

أعده بإشراف أمين المجمع

أ. محمود الحسن

شهد المجمع خلال عام (٢٠٠٥) باكورة نشاطٍ واسعٍ في أغلب مجالات عمله، لاسيما في مجالات النشر ووضع المصطلحات وتنظيم اللقاءات العلمية. وفيما يلي عرض لأهم ما قام به مجلس المجمع ومكتبه ولجانه ومديرياته من أعمال.

أعمال مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع، خلال عام ٢٠٠٥، تسع عشرة جلسة، بحث فيها شؤون المجمع، وعمل لجانه، وانتهى إلى جملة من الأعمال والقرارات أهمها :

١- إقرار ما جاء في التقرير السنوي عن أعمال المجمع في عام ٢٠٠٤، الذي أعدّه الأستاذ عدنان عبد ربه، بإشراف الأستاذ الدكتور واثق شهيد، أمين المجمع.

٢- إعادة انتخاب الأستاذ الدكتور شاكر الفحام رئيساً للمجمع لمدة أربع سنوات جديدة بدءًا من ١/٤/ ٢٠٠٥. وانتخاب الأستاذ الدكتور مروان المحاسني نائبًا لرئيس المجمع خلفًا للأستاذ الدكتور إحسان النص، الذي انتهى تعيينه في هذا المنصب في ٤/٦/٢٠٠٥. وإعادة انتخاب الأستاذ جورج صدقني عضوًا في مكتب المجمع، بعد انتهاء عضويته السابقة في ٢٢/٦/ ٢٠٠٥.

٣- التعاقد مع عدد من الأساتذة الخبراء في مجال الكيمياء بدءًا من ١٤/ ١٢/ ٢٠٠٥، للعمل في مشروع توحيد مصطلحات الكيمياء بين الجامعات السورية. وهم الأساتذة السادة :

الدكتور وفائي حقي، والدكتور عبد الحليم منصور، والدكتور أحمد حاج سعيد، والدكتورة هيفاء العظمة، من كلية العلوم، والدكتور محيي الدين جمعة، من كلية الصيدلة.

٤- إيفاد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، والأستاذ الدكتور إحسان النص، إلى القاهرة للمشاركة في اجتماع لجنة إعداد المعجم التاريخي، الذي أقامه اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في المدة من ٥- ٧ / ٤ / ٢٠٠٥. وإيفاد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام إلى القاهرة أيضًا للمشاركة في الاجتماع الذي أقامه اتحاد المجامع في المدة من ٢٦– ٢٩/ ٩ / ٢٠٠٥.

٥- استضافة الأستاذ الدكتور «هوبير جولي»، الأمين العام للمجلس الدولي للغة الفرنسية، والدكتور عبد اللطيف عبيد، الأستاذ في معهد اللغات بتونس، للتداول في مشروع تعريب معجم الأكاديمية الوطنية للطب في فرنسا.

وانتهت المداولات إلى عقد اتفاق مع المجلس الدولي للغة الفرنسية، ينص على السماح للمجمع بتعريب المعجم المذكور، وإضافة ما يخصّ التراث الطبي العربي إلى مادة المعجم. وقد وقَّع الاتفاق باسم المجمع الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع، وعن الجانب الفرنسي الأستاذ الدكتور هوبير جولي، الأمين العام للمجلس الدولي للغة الفرنسية.

٦- دعوة الأستاذة «إليزابيت غورسكا» من جامعة «ياغللون» في بولونيا، في أثناء زيارتها لسورية، لإلقاء محاضرة بعنوان «العالم العربي في الأدب البولوني».

٧- ترشيح الدكتور خضر الأحمد لنيل جائزة الملك فيصل العالمية في الرياضيات، وترشيح الدكتور عبد السلام المسدي لنيل هذه الجائزة في مجال اللغة العربية والأدب.

٨- مناقشة الاقتراحات التي تقدَّم بها الأستاذ الدكتور مروان المحاسني، بشأن ضرورة الاشتراك في مؤسسة «آنا ليند للحوار بين الحضارات». وإيفاد الدكتور المحاسني إلى برشلونة لتمثيل المجمع في اجتماعات المؤسسة في المدة من ٢٤- ٢٨ / ١١ / ٢٠٠٥.

٩- مناقشة مذكرة الدكتور محمد عزيز شكري، التي تضمنت بعض المآخذ القانونية على مشروع النظام الأساسي لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية، تتعلق بالمناصب الإدارية للهيئة، والموارد والنفقات، وغموض تصورات مراحل إنجاز المشروع، وتكاليف كل مرحلة، ومقدار الميزانية، وإقرار المجلس ما جاء في المذكرة.

١٠- إيفاد الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، والأستاذ الدكتور إحسان النص، إلى القاهرة، للمشاركة في المؤتمر الذي أقامه مجمع القاهرة، في دورته الحادية والسبعين مدة أسبوعين بدءًا من ٢١ / ٣ / ٢٠٠٥. والموافقة على إيفادهما إلى القاهرة أيضًا، للمشاركة في مؤتمر مجمعها، في دورته الثانية والسبعين، الذي سينعقد في المدة من ٢٠ / ٣ حتى ٣ /٤ /٢٠٠٦، وموضوعه : «المعجم التاريخي للغة العربية».

١١- البدء بالتنسيق مع المجمع التونسي (بيت الحكمة)، لتنظيم لقاء سوري تونسي، بعنوان : «ثقافة العلم عند العرب قديمًا وحاضرًا ».

١٢- الموافقة على اقتراح لجنة النشاط الثقافي، المتضمن إقامة محاضرات في كلَّ فصول السنة، وعدم الاكتفاء بالموسم الثقافي، الذي يكون عادة في فصل الربيع.

لجنة

المجلة والمطبوعات

١٣- الشروع بنشر أعداد مجلة المجمع على أقراص حاسوبية، لتوزيعها في أنحاء العالم، والاستعانة بالأستاذ الدكتور موفق دعبول، للاستفادة من خبرات الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية ، في هذا الشأن.

١٤- تأليف لجنة لدراسة إنشاء موقع على الشابكة «الإنترنت» باسم مجمع اللغة العربية.

١٥- إقرار الموازنتين الجارية والاستثمارية للمجمع للعام ٢٠٠٦، وإقرار الخطة الخمسية العاشرة للأعوام ٢٠٠٦ – ٢٠١٠.

١٦- إعادة تأليف لجان المجمع، وفق ما هو مبيَّن في الجدول التالي :

لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية وتقاناتها	لجنة المخطوطات وإحياء التراث	لجنة المعجمات اللغوية
أ.د. محمد مروان محاسني	أ. د. شاكر الفحام	أ. د. محمد إحسان النص
أ. د. عبد الحليم سويدان	أ. د. محمد زهير البابا	أ. د. محمد مكي الحسني
أ. د. محمد زهير البابا	أ. شحادة الخوري	أ. شحادة الخوري

أ. د. شاكر الفحام

أ. د. عبد الله واثق شهيد

أ. د. محمد عبد الرزاق قدورة

أ. د. محمد إحسان النص

أ. د. محمد زهير البابا

أ. جورج صدقني

أ. د. ليلى الصباغ

أ. د. محمود السيد

أ. د. محمد مكي الحسني

لجنة اللغة العربية وأصول النحو	لجنة المكتبة	لجنة النشاط الثقافي
أ. د. شاكر الفحام	أ. د. عبد الله واثق شهيد	أ. د. محمد مروان محاسني
أ. د. محمد إحسان النص	أ. د. عبد الكريم اليافي	أ. جورج صدقني
أ. د. محمود السيد	أ. جورج صدقني	أ. د. ليلى الصباغ
	أ. د. ليلى الصباغ	أ. د.محمود السيد
	أ. د. محمد مكي الحسني	أ. شحادة الخوري
	أ. د. محمد عزيز شكري	أ. د. موفق دعبول
		أ. د. محمد عزيز شكري

لجنة تنسيق المصطلحات وتوحيدها	لجنة مصطلحات ألفاظ الحضارة	لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية
أ. د. محمد مروان محاسني	أ. د. محمد مروان محاسني	أ. د. عبد الله واثق شهيد
أ. د. عبد الله واثق شهيد	أ. د. عبد الكريم اليافي	أ. د. محمد عبد الرزاق قدورة
أ. د. عبد الكريم اليافي	أ. جورج صدقني	أ. د. محمد زهير البابا
أ. د. محمد زهير البابا	أ. شحادة الخوري	أ. د. محمد مكي الحسني
أ. د. موفق دعبول		أ. د. موفق دعبول
أ. د. محمد عزيز شكري		

أعمال مكتب المجمع

عقد مكتب المجمع خلال عام ٢٠٠٥ سبعًا وعشرين جلسة، بحث فيها شؤون المجمع، ودار الكتب الظاهرية. وانتهى إلى جملة من الأعمال والقرارات أهمها :

١- متابعة أعمال ترميم المدرسة العادلية، التي سينتهي العمل فيها مطلع العام ٢٠٠٦.

٢- توسيع مرأب المجمع وتأهيله، وإنشاء عدد من المكاتب فيه، وتجهيز تلك المكاتب بما تحتاج إليه من أثاث ولوازم.

٣- تعيين ثلاثة أعضاء في الهيئة الفنية، قائمين بالأعمال، من حملة دبلوم الدراسات العليا، بعد نجاحهم في امتحان المسابقة التي أعلنها المجمع في عام ٢٠٠٤ هم السادة : محمود الحسن وسعد الدين المصطفى، في اللغة العربية، وبسيم برهوم في المعلوماتية. وتعيين عامل، من الفئة الأولى، من حملة الدبلوم اللغوي في اللغة العربية، بعد نجاحه في امتحان المسابقة، هو السيد حسين أسود.

٤- الاشتراك في معرض الكتاب الدولي الحادي والعشرين، الذي أُقيم في مكتبة الأسد في المدة من٢٥/ ٨ حتى ٤ / ٩ / ٢٠٠٥، والاشتراك في معرض الكويت الدولي للكتاب في المدة من٢٢/ ١١ حتى ٢ / ١٢ / ٢٠٠٥، وفي معرض الشارقة للكتاب في المدة من ٦ – ١٦ / ١٢ من هذا العام.

٥- التعاقد مع الأستاذة سكينة الشهابي على تحقيق المجلدين ٦٨ و ٦٩ من كتاب تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر.

٦- إبرام عقد بالتراضي مع الدكتور المهندس موفق دغمان، مدير وحدة دمشق للعمارة والتراث، لإعداد الدراسة اللازمة لترميم المدرسة الظاهرية، والتعاقد بالتراضي مع المهندس مسلم السّقا أميني لتدقيق دراسة الترميم.

٧- النظر في مشروع الموازنتين الجارية والاستثمارية للمجمع للعام

٢٠٠٦م، ومشروع الخطة الخمسية العاشرة للمجمع للأعوام ٢٠٠٦ – ٢٠١٠، وإحالتهما على المجلس لإقرارهما.

لجان المجمع

١ – لجنة المجلة والمطبوعات :

أصدرت اللجنة المجلد التاسع والسبعين لعام ٢٠٠٤ من المجلة كاملاً، وأعدَّت الجزء الأول من المجلد الثمانين ودفعته إلى مطبعة دار البعث.

أما الكتب التي وافقت اللجنة على نشرها فمنها ما أُنجز طبعُه ونشرُه وهي :

أ- المجلدان (٦٥) و (٦٦) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

ب –كتاب قواعد الإملاء الذي وضعته لجنة اللغة العربية وأصول النحو، ووُزعت نسخ منه على وزارتي التربية والإعلام، واتحاد الكتاب العرب.

ومنها ما هو في الطبع في مطبعة دار البعث وهي:

أ – المجلد (٦٧) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي.

ب –كتاب (الأنواء) لأبي إسحاق الزّجاج، تحقيق الدكتور عزة حسن.

د –كتاب (الدّرّ النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير) للمالقي، تحقيق الدكتور محمد حسان طيّان.

ومن أعمال اللجنة في هذا العام :

- الإشراف على تنضيد كتاب (الأنواء) للزّجاج، وتكليف الأستاذ محمود الحسن تصحيح النماذج المنضَّدة.
- الموافقة على طلب الدكتور محمد الدالي، المتضمن إعادة طبع كتاب

(كشف المشكلات)، الذي حققه الدكتور الدالي، خارج المجمع، على أن يُشير في طبعته الجديدة إلى أن المجمع قد تولّى إصدار طبعته الأولى، وأن يُقدِّم للمجمع نُسخاً منه يحدِّد المكتب عددها.

- تكليف الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري مهمة التصحيح الأخير، لأعداد المجلة، والكتب التي تضمّ بحوث المؤتمرات التي يعقدها المجمع، ومنحه لقاء ذلك تعويض المراجعة العلمية واللغوية، المنصوص عليه في قرار رئيس مجلس الوزراء ذي الرقم ٥١٠١ لعام ٢٠٠٤.
- اقتراح الخطة العلمية لعمل اللجنة لعام ٢٠٠٦.

٢– لجنة المخطوطات وإحياء التراث:

كان من أهم ما قامت به اللجنة :

١– تدقيق كتاب الأنواء، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق الدكتور عزة حسن، ودفعه إلى الطبع.

٢– مراجعة كتاب «الدّرّ النثير والعذب النمير في شرح كتاب التيسير» لعبد الواحد بن محمد المالقي، تحقيق الدكتور محمد حسان طيان، والموافقة على طبعه.

٣– دراسة ديوان ابن سنان الخفاجي، تحقيق الدكتور مختار الأحمدي نويوات، والدكتور نسيب نشاوي، والموافقة على طبعه.

٣– لجنة المكتبة :

كان أهم ما قامت به :

١– العمل على استكمال تزويد المكتبة بمؤلفات السادة أعضاء المجمع.

٢– إدخال الأعمال التي أنجزتها لجان تصنيف المكتبة وفهرستها إلى الحاسوب.

٣– دراسة الأساليب المتاحة لتحميل مكتبتي المجمع والظاهرية على أقراص

حاسوبية، بعد الموافقة على القيام بهذا العمل. وشراء جهاز تصوير «سوني» لإجراء عملية التَّحميل المقترحة، وشراء البرنامج الحاسوبي ذي الدقة العالية لاستنطاق النصوص المحمَّلة على الأقراص.

٤- إنهاء العمل في جرد مكتبة المجمع، وإعادة ترتيبها.

٥- اقتراح الخطة العلمية لعمل اللجنة لعام ٢٠٠٦.

٤ – لجنة مصطلحات العلوم الرياضية والمعلوماتية والفيزيائية والكيميائية :

عقدت اللجنة خلال عام ٢٠٠٥ ثماني جلسات، وأهم أعمالها :

١ – إنجاز المرحلة الأولى من مشروع توحيد مصطلحات الفيزياء، بين الجامعات السورية، وإصدار معجم يتضمن مصطلحات الفيزياء باللغتين العربية والإنكليزية، وتوزيعه على أساتذة الجامعات للنظر فيه وإرسال ملاحظاتهم واقتراحاتهم إلى اللجنة لمناقشتها مع ممثلين للجامعات، لاعتماد الصورة النهائية للمصطلحات في الربع الأول من عام ٢٠٠٦.

٢ – البدء بإضافة مصطلحات الفيزياء بالفرنسية، وإضافة الأصل اليوناني واللاتيني، إن وُجِد، وذلك للوصول إلى معجم عربي إنكليزي فرنسي لمصطلحات الفيزياء، قبل نهاية الربع الأول من عام ٢٠٠٦.

٣- اختيار عدد من الخبراء في مجال الكيمياء، للعمل في مشروع توحيد مصطلحات الكيمياء بين الجامعات السورية. (يُنظر في أعمال المجلس وقراراته).

٥ – لجنة النشاط الثقافي:

أقامت اللجنة موسمًا ثقافيًا ألقى فيه الأستاذ الدكتور محمد عزيز شكري محاضرة بعنوان «رأي القانون الدولي في تشييد إسرائيل جدارَ الفصل العنصري على الأراضي الفلسطينية المحتلة»، والأستاذ الدكتور موفق دعبول محاضرة

بعنوان «اللغة العربية ومجتمع المعرفة "، وقداسة البطريرك مار أغناطيوس زكا الأول عيواص محاضرة بعنوان «الإسلام والسريان تاريخ مشترك». واقترحت اللجنة موضوعًا للمؤتمر الرابع هو «اللغة العربية والمجتمع»، كما اقترحت موعد انعقاده في المدة من ١٤حتى ١٦ تشرين الثاني ٢٠٠٥م، وتولت متابعة إقامته وتقويم بحوثه.

٦ – لجنة اللغة العربية وأصول النحو:

ناقشت اللجنة في جلساتها الدراسة التي تقدَّم بها الأستاذ الدكتور إحسان النص، مقرر اللجنة، بعنوان «أخطاء شائعة» وسوف ترفع اللجنة إلى المجلس اقتراحها بالموافقة على الطبع ، بعد الانتهاء من التدقيق والمناقشة.

٧ – لجنة مصطلحات العلوم الطبيعية وتقاناتها :

درست اللجنة سير العمل في لجانها الفرعية، وأقرت أسلوب تجميعِ المصطلحات من الكتب الجامعية المعنية للعمل على توحيدها. كما شرعت تدخل محتويات هذه الكتب من المصطلحات إلى الحاسوب وهي خطوة أولى في الخطة.

وقد جرى العمل في اللجان الفرعية على النحو الآتي :

أ- لجنة مصطلحات علوم الأحياء الحيوانية :

اجتمعت اللجنة أربعة عشر اجتماعاً خلال عام ٢٠٠٥ جرى فيها استعراض نحو (١٢) ألف مصطلح، وُزِّعت على السادة الخبراء لدراستها، تمهيدًا لتوحيدها. وقد باشرت اللجنة الدراسةَ، ولا يزال العمل جاريًا على هذا النحو.

ب- لجنة مصطلحات علوم الأحياء النباتية :

عقدت اللجنة خلال عام ٢٠٠٥ ست جلسات، وأهم أعمالها :

- إدخال مصطلحات الكتب الجامعية المختصة بعلم النبات إلى الحاسوب،

ووضع خطة لتسهيل عمل الخبراء في دراسة هذه المصطلحات.

● توزيع المصطلحات على الخبراء بحسب اختصاص كلّ منهم، لدراستها وشرحها. ولا يزال العمل جاريًا على هذا النحو.

ج- لجنة مصطلحات العلوم الجيولوجية :

تابعت اللجنة اجتماعاتها الدورية خلال عام ٢٠٠٥، وانتهت من إدخال المصطلحات الجيولوجية إلى الحاسوب. وتعكف الآن على دراسة تلك المصطلحات ومناقشتها، لاعتماد المناسب منها.

د- لجنة مصطلحات العلوم الزراعية :

كان من أهم أعمالها :

● مراسلة الجامعات السورية للحصول على كتب العلوم الزراعية، للبدء بتوحيد مصطلحاتها.

● الشروع بإدخال المصطلحات الزراعية، الموجودة في الكتب الزراعية التي وصلت إلى المجمع، إلى الحاسوب.

٨ - لجنة ألفاظ الحضارة وتنسيق المصطلحات وتوحيدها :

انقسمت هذه اللجنة بقرار من المجلس، في جلسته السابعة التي انعقدت في ٢٠ / ٤ /٢٠٠٥، إلى اللجنتين الأساسيتين الوارد ذكرهما في اللائحة الداخلية وهما :

أ- لجنة مصطلحات ألفاظ الحضارة :

مهمتها :

١- متابعة ما يُنشر في الصحف والمجلات من ألفاظ ومصطلحات أجنبية، والبحث عن مقابلات عربية لها، ورصد الاستعمالات الخاطئة للألفاظ العربية المتداوَلة في تلك الصحف وتقويمها.

٢ – استكمال إعداد معجم ألفاظ الحضارة المعاصرة.

وأهم أعمال اللجنة :

- تأليف لجنتين مؤقتتين لدراسة المصطلحات، هما : لجنة مصطلحات العلوم الإنسانية، التي تختص باللغة والأدب وعلم النفس والمنطق والفلسفة والأخلاق والفنون، ولجنة مصطلحات العلوم الاجتماعية، وتختص بالتاريخ والجغرافية وعلم الاجتماع وعلم السكان والتربية وعلم الأجناس.
- وضع مقابلات عربية لبعض الألفاظ الأجنبية، التي وردت في عدد من الصحف المحلية.
- إحالة الدراسة الموجزة، التي أعدَّها الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي والأستاذ جورج صدقني، عن الألفاظ الأجنبية الواردة في بعض الصحف الأجنبية، إلى لجنة المجلة لنشرها.
- إعادة النظر في آلية إعداد معجم ألفاظ الحضارة، وتوزيع فصوله على الخبراء، لإنجازه في أسرع وقت.
- العمل على تحقيق التوازن بين الأبواب، في عدد المصطلحات، ليكون عددها نحو مئة وخمسين في كل باب.

ب– لجنة تنسيق المصطلحات وتوحيدها :

مهمتها تنسيق أعمال لجان المصطلحات، التي تسعى لِتوحيد المصطلحات في الجامعات ومراكز البحوث والوزارات والهيئات العلمية في سورية.

وقد عقدت هذه اللجنة عشر جلسات،جرى خلالها البدء بالتنسيق بين المصطلحات العربية، التي اعتمدتها لجان توحيد المصطلحات في مجمع اللغة العربية بدمشق.

مكتبة المجمع

تم إغناء مكتبة المجمع هذا العام بـ (٦٦٤) كتابًا، منها (٣٧٦) كتابًا إهداءً، و (٢٨٨) شراء. وبذا يصبح عدد الكتب في المكتبة العربية (٢٨٨٢٠) كتاباً.

كما زودت المكتبة الأجنبية بـ (٥٠) كتابًا، منها (١٠) كتب إهداءً، والباقي شراءً، إضافة إلى (٢٠٠) مجلة أجنبية متنوعة.

مؤتمر المجمع

برعاية كريمة من سيادة الرئيس بشار الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية عقد المجمع مؤتمره الرابع بعنوان «اللغة العربية والمجتمع» وذلك في المدة من ١٤- ١٦ تشرين الثاني لعام ٢٠٠٥ في قاعة محاضراته. وقد شارك في المؤتمر العديد من الباحثين العرب والأجانب.

أقيم حفل افتتاح المؤتمر في قاعة المحاضرات بمكتبة الأسد في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ٢٠٠٥/١١/١٤، وحضره عدد من السادة الوزراء، والسفراء العرب، ورئيس المجمع وأعضاؤه، وأساتذة الجامعات، وجمهور من الباحثين والمثقفين. وألقيت في الحفل كلمات كلّ من الأستاذ الدكتور هاني مرتضى، وزير التعليم العالي، ممثل السيد رئيس الجمهورية راعي المؤتمر، والأستاذ الدكتور شاكر الفحام، رئيس المجمع، والأستاذ الدكتور عبد السلام المسدي، ممثل الباحثين المشاركين في المؤتمر.

وألقى الأستاذ الدكتور مروان المحاسني، نائب رئيس المجمع، المحاضرة الافتتاحية بعنوان «قضايا اللغة والمجتمع».

وقد توزَّعت محاور المؤتمر على أربع جلسات هي :

- **الجلسة الأولى : تدنّي مستوى اللغة العربية في المجتمع.**

ترأسها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام، وافتتحها الأستاذ الدكتور مكي الحسني الجزائري، وأُلقيت فيها محاضرات الأساتذة : الدكتور كمال بشر، والدكتور إبراهيم بن مراد، والدكتورة وفاء كامل فايد، والدكتور حسين جمعة، والدكتور عبد النبي اصطيف.

- **الجلسة الثانية : سبل الارتقاء بمستوى اللغة العربية في المجتمع.**

ترأسها الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر، وافتتحها الأستاذ الدكتور محمود السيد، وشارك فيها الأساتذة : الدكتور أحمد مطلوب، والدكتور الصالح بلعيد، والدكتور أحمد حسن حامد، والدكتور حسين نصار، والدكتور محمد حسان الطيان.

- **الجلسة الثالثة : مخاطر عزوف المجتمع عن لغته القومية.**

ترأسها الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، وافتتحها الأستاذ الدكتور موفق دعبول، وشارك فيها الأساتذة : الدكتور عبد السلام المسدي، والدكتور عبد اللطيف عبيد، والدكتور عبد الكريم الأشتر، والدكتور أحمد الضبيب، والدكتور محمد مراياتي.

- **الجلسة الرابعة : أساليب نشر اللغة العربية وتنميتها بألفاظ الحضارة.**

ترأسها الأستاذ الدكتور عبد السلام المسدي، وافتتحها الأستاذ شحادة الخوري، وشارك فيها الأساتذة : الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، والدكتور علي القاسمي، والدكتور محمود الفاخوري، والدكتور هوبير جولي، والدكتور عبد الإله نبهان، والدكتور قاسم سارة.

وعُقدت الجلسة الختامية مساء الأربعاء ١٦ / ١١ / ٢٠٠٥، قُرِئت

فيها مجموعة التوصيات التي خرج بها المشاركون، كما ألقى فيها الأستاذ الدكتور شاكر الفحام كلمةَ الختام.

وستنشر قرارات المؤتمر وتوصياته في مجلة المجمع كما ستنشر مع بحوثه في كتاب مستقل.

دار الكتب الظاهرية

دخل الدار في هذه الدورة (٦٣٢) كتابًا باللغة العربية، منها (١٥٩) إهداء، و (٥٧٣) شراء. وورد إلى الدار (١٣) كتابًا باللغة الإنكليزية، وكتابان باللغة الفرنسية. وبذلك يصبح مجموع كتب الدار (٧٧٥٤١) سبعة وسبعين ألفًا وخمسمئة وواحدًا وأربعين كتابًا.

أما المجلات فقد دخل الدار في هذه الدورة /١٧٨/مجلة عربية، و /١٩٦/ دورية أجنبية، وبذلك يصبح عددها في الدار (٤٠٢٠٠) أربعين ألفًا ومئتي مجلة ودورية.

بلغ مجموع المشتركين في الدار ،حتى نهاية عام ٢٠٠٥، (٥١٢٠) خمسة آلاف ومئة وعشرين مشتركًا. وبلغ عدد رواد المكتبة في اليوم الواحد نحو (٥٠) مشتركًا، إضافة إلى القراء الذين يرتادون المكتبة من المحافظات السورية والأقطار العربية ، والسائحين الراغبين في الاطلاع على معالمها التاريخية، وآثارها العمرانية.

ويجري الآن التحضير لنقل محتويات المكتبة الظاهرية إلى المدرسة العادلية، للبدء بترميم الظاهرية، كما هو مقرر.

الحفلات

أقام المجمعُ حفل تأبين للفقيد المرحوم الأستاذ عاصم البيطار رحمه الله تعالى، في قاعة المحاضرات في ١٨ / ٨ / ١٤٢٦هـ، الموافق لـ ٢١ / ٩ /

٢٠٠٥م.

وقد أُلقيت في الحفل كلمات كل من : الدكتور شاكر الفحام، والدكتور علي أبو زيد، والدكتور عبد الكريم الأشتر، والدكتور أيمن الشوا، وابنة الفقيد المهندسة ندى البيطار. فتحدّثوا عن مناقب الفقيد، وسيرته العطرة، وجهوده العلمية، وإخلاصه في العلم والعمل، وحبّه لطلابه، وفضله العظيم في خدمة اللغة العربية، وإعلاء شأنها.

ويُذكر أن الفقيد أمضى حياته في تدريس اللغة العربية في ثانويات دمشق، ثم في جامعتها. وانتُخب عضوًا عاملاً في مجمع اللغة العربية يوم الاثنين ٢٠٠٤/١/١٢. وانتقل إلى جوار ربه في يوم الاثنين ٣٠ /٤ / ١٤٢٦هـ، الموافق لـ ٢٤ / ٦ / ٢٠٠٥.

موازنة المجمع

تشمل موازنة المجمع مجموع الموازنتين الجارية والاستثمارية، وهما:

الموازنة الجارية :

بلغ الاعتماد الكلي، للموازنة الجارية في عام ٢٠٠٥، (٢١.٤٥٠.٠٠٠) ل. س. وبلغ مجموع ما أنفق منها (٢١.٠٤١.٤١٣) ل.س. وبلغت نسبة الإنفاق (٩٨٪).

الموازنة الاستثمارية :

بلغ الاعتماد الكلي، للموازنة الاستثمارية في عام ٢٠٠٥, (١٨.٠٠٠.٠٠٠) ل.س. وبلغ مجموع ما أنفق منها (١٧.٩٧١.٨١٢). وبلغت نسبة الإنفاق (٨٥ ,٩٩٪).

وبلغت نسبة الإنفاق العام (٩, ٩٨٪). وهذه النسبة تدل على أن العمل، في المجمع، قد سار في هذا العام سيرًا جيدًا.

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الأول من عام ٢٠٠٦م

أ – الكتب العربية

أ. خير الله الشريف

- **آفاق جديدة للعلوم الإنسانية: علم النفس والإيثولوجيا**/ د. فايز نايف قنطار – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥- (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٣٤، الحولية ٢٦).
- **أزمة التعريب/ د. محمود فوزي المناوي** – القاهرة: مركز الأهرام، ٢٠٠٣.
- **أصول اللغة العربية: أبجدية النشأة**/ أحمد زرقة – دمشق: دار الحصاد، ١٩٨٩.
- **أصول اللغة العربية: أسرار الحروف**/ أحمد زرقة – دمشق: دار الحصاد، ١٩٩٣.
- **أصول اللغة العربية: حروف المعجم**/ أحمد زرقة – دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٧.
- **أضواء على مفاهيم**.../ د. سعيد محمد الحفار – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٣ – (1).
- **الاغتذاء البشري ومشكلاته**/ د. سعيد محمد الحفار – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٢ – (2).
- **الاهتمامات اللغوية في آثار أبي العلاء**/ د. يوسف عثماني – ط١- تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥- ٢ ج- (السلسلة 8،

المجلد 12).

- **إيضاح الاشتباه في أسماء الرواة**/ تحقيق: تامر كاظم عبد الخفاجي – قم: مكتبة المرعشي النجفي، ٢٠٠٣.
- **البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة**/ شريعتمدار – قم: مؤسسة بوستان كتاب، ٢٠٠٥.
- **الاهتمامات اللغوية في آثار أبي العلاء**/ د. يوسف عثماني – ط١– تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥– ٢ج – (السلسلة 8، المجلد 12).
- **تاريخ الأدب الفارسي المعاصر**/ د. محمد جعفر ياحقي، ترجمة: د. ندى حسون – دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٥– (سلسلة تاريخ الأدب١).
- **التخطيط الحضري**/ د. صفوح خير، راجعه وقدم له: د. محمد عزيز شكري– دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٥.
- **تربية الأجيال وتنشئة الأطفال**/ د. عبد الله الجبرين، إعداد: د.طارق الخويطر – ط١– الرياض: دار كنوز إشبيلية، ٢٠٠٥.
- **التربية البيئية**/ د. سعيد محمد الحفار – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٢ – (4).
- **التصحيف والتحريف: دراسة في التغير الدلالي**/ د. فاطمة إبراهيم آل خليفة – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥– (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٣٣، الحولية ٢٦).
- **التعليم التقني والمهني العالي والمتوسط**/ د. سعيد محمد الحفار – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٤ – (11).
- **تغير الأنماط السكنية في مدينة الدرعية**.../د. بدر بن عادل الفقير– الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥ – (سلسلة إصدارات الدارة ١٤٣).

- **التقانات الحيوية**/ د. سعيد محمد الحفار – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٣ – (7).
- **تكنولوجيا المعلومات والاتصالات** .../ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا – نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٥.
- **التوضيح والأنوار**.../ خضر الرازي، تحقيق: مهدي الرجائي – قم: مكتبة المرعشي النجفي، ٢٠٠٣.
- **التوقعات والتنبؤات العالمية لمنطقة الإسكوا**../ اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا- نيويورك: الأمم المتحدة، ٢٠٠٥- العددان ١و٢.
- **تيسير فقه المعاملات**/ د. عبد الله الجبرين، إعداد: د. طارق الخويطر-ط١ – الرياض: دار كنوز إشبيلية، ٢٠٠٤.
- **الجزيرة العربية: بحوث ودراسات من وثائق الأرشيف العثماني والمصادر التركية**/ د. سهيل صابان – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٥.
- **جوانب من الحوار النحوي على حاشية كتاب سيبويه**/ د. أسيدة بشير شهبندر – ط١ – دمشق: شراع للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
- **خطوط توجيهية للجهات المعنية**../ د. سعيد محمد الحفار – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٤ – (9).
- **دارة عزة: الذاكرة والرؤى**/ محمد جمعة حمادة – ط٢ – حلب: دار عبد المنعم، ٢٠٠٦.
- **دراسة في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي مع تحقيق قطعة منه**../ إعداد: هلا محمد الضحاك – دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٥.
- **دليل ملخصات رسائل الماجستير والدكتوراه**/ جامعة الملك فهد للبترول والمعادن – الظهران: عمادة شؤون المكتبات في الجامعة، ٢٠٠١ – الإضافة

السادسة ١٩٩٨- ٢٠٠٠.

- **دور الكتب في ماضي المغرب** / محمد بن عبد الهادي المنوني، تقديم: أحمد شوقي بنبين – ط١ – الرباط: الخزانة الحسينية، ٢٠٠٥.
- **ديوان ابن مطروح**/ تحقيق: د. حسين نصار – القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٤.
- **رياض الجنة**/ محمد حسن الحسيني – قم: مكتبة المرعشي النجفي،٢٠٠٥.
- **سلطان نجد والحجاز**.../ اختيار: عبد المحسن بن صالح اليوسف – الرياض: المؤلف.
- **سياسة الملك عبد العزيز تجاه فلسطين**.../ د. عبد اللطيف بن محمد الحميد – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥ – (سلسلة إصدارات الدارة ١٧٣، الكتاب السابع).
- **سيرة العلامة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط**/ محمود عبد القادر الأرناؤوط، تقديم: سعدي أبو جيب – ط١- دمشق: دار البلخي، ٢٠٠٥.
- **شرح الإشارات والتنبيهات**/ نصير الدين الطوسي، تحقيق: حسن زاده آملي – قم: مؤسسة بوستان كتاب، ٢٠٠٥.
- **شرح فصوص الحكم**/ داود القيصري، تحقيق: حسن زاده آملي – قم: مؤسسة بوستان كتاب، ٢٠٠٥.
- **الشيخوخة**/ د. سعيد محمد الحفار – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٢- (5).
- **صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي**/ د. عبد الكريم شحادة – بيروت: أكاديميا، منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٥.
- **الصلات الحضارية بين تونس والحجاز**.../ د. نورة بنت معجب بن سعيد الحامد- الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥- (سلسلة إصدارات الدارة

١٤٥، الرسائل الجامعية ١٠).

- **صناعة المعلومات في المملكة العربية السعودية**/ د. سالم بن محمد السالم – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٥.
- **صور الخوف في اعتذاريات النابغة الذبياني**/ د. سلامة عبد الله السويدي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥- (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٣٥، الحولية ٢٦).
- **طب الشيخوخة**/ د. سعيد محمد الحفار – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٢- (6).
- **طب المجتمع**/ نخبة من أساتذة الجامعات – بيروت: أكاديميا، منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٥.
- **الطبيعة والنفس البشرية**/ د. سعيد محمد الحفار – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٢- (3).
- **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**/ جمال الدين الحسيني، تحقيق: مهدي الرجائي- قم: مكتبة المرعشي النجفي، ٢٠٠٤.
- **فضل العلم ووجوب احترام العلماء**/ إعداد: د. طارق الخويطر، تقديم: د. عبد الله الجبرين، د. صالح الفوزان – ط١- الرياض: دار كنوز إشبيلية، ٢٠٠٥.
- **الفكر المسيحي الكاثوليكي في مواجهة الحداثة...**/ د.حسن بن خميس القرواشي- تونس: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٥- (السلسلة 8، المجلد 12).
- **فنولوجيا الجزيئات: مقاربة جديدة لبعض الظواهر في صوتيات العربية**/ د. يحيى علي أحمد – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥- (سلسلة حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٢٣٢، الحولية ٢٦).

- **فهرست مصنفات البقاعي**/ د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية – (السلسلة الثالثة ٥٧).
- **فهرس مخطوطات مكتبة الأحقاف بمحافظة حضرموت**/ إعداد: عبد الله العيدروس، عبد القادر بن شهاب - قم: مكتبة المرعشي النجفي، ٢٠٠٤.
- **فهرس مخطوطات مكتبة مزار الإمام يحيى بن حسين**/ إعداد: عبد الله العزي - قم: مكتبة المرعشي النجفي، ٢٠٠٤.
- **فهرس المخطوطات اليمنية لدار المخطوطات والمكتبة العربية بالجامع الكبير – صنعاء**/ إعداد: أحمد عيسوي وآخرين، قم: مكتبة المرعشي النجفي، ٢٠٠٥- ٢ج.
- **فوائد من تفسير الجلالين**/ إعداد د. طارق الخويطر، تقديم: د. عبد الله الجبرين ورفيقيه – الرياض: دار كنوز إشبيلية، ٢٠٠٤- (سلسلة الفوائد1).
- في أرض البخور واللبان/ عبد الله بن محمد الشايع – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥- (سلسلة إصدارات الدارة ١٧٠).
- **في أصول النحو**/ د. صالح بلعيد – الجزائر: دار هومة، ٢٠٠٥.
- **في التعريب والتغريب**/ د. محمود فوزي المناوي – القاهرة: مركز الأهرام، ٢٠٠٥.
- **في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث**/ د. صالح بلعيد – الجزائر: دار هومة، ٢٠٠٥.
- **القانون والاستنساخ البشري**/ د. فواز صالح، قدم له: د. محمد عزيز شكري – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٥- (12).
- **قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد**/ د. عبد الله الصالح العثيمين – ط١- الرياض: المؤلف، ٢٠٠١.

- **القيم إلى أين**/ إشراف: حيروم بندي، ترجمة: زهيدة درويش جبور – بيروت: دار النهار للنشر، ٢٠٠٥.
- **اللسانيات وتعليم اللغة العربية وتعلمها**/ إعداد: عبد العزيز العماري – مكناس: جامعة المولى إسماعيل، ٢٠٠٢– (سلسلة الندوات 14).
- **لغة الكتابة**/ أحمد زرقة.
- **لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب**/ الريكي، درسه وحققه وعلق عليه: د. عبد الله الصالح العثيمين– الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥ – (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة ٤).
- **المحيط بلغات القرآن**/ أبو جعفر المقرئ البيهقي – قم: مكتبة المرعشي النجفي، ٢٠٠٤.
- **مصادر الضغوط المهنية في المكتبات الأكاديمية**/ د. نجاح القبلان – الرياض: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٤.
- **المصحف والسيف**: مجموعة **من خطابات**.../ إعداد محيي الدين القابسي – الرياض: دار الصحراء، وزارة الإعلام، ١٤١٩هـ.
- **مصطلحات إدارة المستشفيات**/ منظمة الصحة العالمية – الإسكندرية: المنظمة، ١٩٨٩.
- **مقاربات منهاجية**/ د. صالح بلعيد – الجزائر: دار هومة، ٢٠٠٤.
- **مقالات عن الهم العربي**/ د. عبد الله الصالح العثيمين – ط١ – دمشق: دار الرائي، ٢٠٠٥.
- **معجم الصيدلة الموحد: إنكليزي – عربي**/ منظمة الصحة العالمية – ط١ – بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، المنظمة، ٢٠٠٤.
- **معجم العين وأمراضها**/ إعداد: د. صادق الهلالي، د. محمد حكمت وليد –

الإسكندرية: منظمة الصحة العالمية، ١٩٩٣.

- **معجم مصطلحات المخطوط العربي: قاموس كوديكولوجي**/ أحمد شوقي بنبين، مصطفى طوبي – ط١– مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٣.
- **معجم المصطلحات المستخدمة في سلسلة الصحة للجميع: المجلدات ١– ٨**/ منظمة الصحة العالمية– جنيف: المنظمة، ١٩٨٤.
- **معجم الوبائيات**/ جون. م. لاست – ط٣– الإسكندرية: منظمة الصحة العالمية، ٢٠٠٠.
- **من أعمال محمد سويسي**/ بيت الحكمة – تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ٢٠٠٥.
- **منتخبات من نوادر المخطوطات**/ محمد بن عبد الهادي المنوني، تقديم: أحمد شوقي بنبين – ط١– الرباط: الخزانة الحسينية، ٢٠٠٤.
- **من يشتري الموت بماله وبإرادته...**/ د. سعيد محمد الحفار – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٤– (8).
- **مواد لتاريخ الوهابيين**/ جوهان لودفيج بوركهارت، ترجمة: د. عبد الله الصالح العثيمين – ط٢ – ٢٠٠٣.
- **موجز لتاريخ الوهابيين**/ هارفر (دجونز بريدجز، ترجمة: د. عويضة بن متيريك الجهني – ط١– الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٥– (الإصدار ١٥٥).
- **ميزان الألف العربية/ أحمد زرقة–** دمشق: ١٩٩٠.
- **النبت والحيوان والغذاء المحورة وراثيًا**../ د. سعيد محمد الحفار، د. أسامة عارف العوا – دمشق: هيئة الموسوعة العربية، ٢٠٠٤– (10).
- **نقوش نبطية في الجوف، العلا، تيماء...**/ سليمان بن عبد الرحمن الذييب – الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٥.

ب– المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١– الأسبوع الأدبي	الأعداد (٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦)	٢٠٠٥	سورية
٢– التراث العربي	الأعداد (٩٩، ١٠٠)	٢٠٠٥	سورية
٣– صوت فلسطين	الأعداد (٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣)	٢٠٠٥	سورية
٤– المعرفة	الأعداد (٥٠٨، ٥٠٩)		سورية
٥– الموقف الأدبي	الأعداد (٤١٧، ٤١٨، ٤١٩)	٢٠٠٦	سورية
٦– النشرة الاقتصادية	العدد (٣)	٢٠٠٥	سورية
٧– نضال الفلاحين	العدد (٣٧)	٢٠٠٥	سورية
٨– دراسات (شريعة وقانون)	العدد(١) من السنة(٣٢)	٢٠٠٥	الأردن
٩– الأمن والحياة	العدد (٢٧٩)	٢٠٠٥	السعودية
١٠– المجلة العربية	الأعداد (٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦)	٢٠٠٥	السعودية
– البيان	الأعداد (٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨)	٢٠٠٦	الكويت
١١– مجلة العلوم	الأعداد (٥، ٦، ٧، ٨، ٩)	٢٠٠٥	الكويت
١٢– الدراسات الفلسطينية	العدد (٦٥)	٢٠٠٦	لبنان
١٣– مجلة كلية دار العلوم	العدد (٣٧)	٢٠٠٦	مصر

فهرس الجزء الثاني

من المجلد الحادي والثمانين

(المقالات)

شعر إدريس بن اليمان (القسم الثاني)	د. أحمد صلاحية	٢٢٣
الشعر في بلاط النعمان بن المنذر	د. نزهة بو عياد	٢٦٧
منهجية البحث في الدرس النحوي	د.سمير معلوف	٢٩٧
بلاغة المجاز المرسل عند القرطبي وابن جزي وأبي حيان	د. خلدون صبح	٣٣٧
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ٢٦)	د. وفاء تقي الدين	٣٦١

(التعريف والنقد)

سليمان البستاني – مترجمًا وناقدًا مقارنًا	د. ممدوح أبو الوي	٣٩١
نظرات في مسائل لغوية كتبها أ. د. محمد مكي الحسني الجزائري	أ. خير الله الشريف	٤٢١

(آراء وأنباء)

التقرير السنوي لعام ٢٠٠٥ م	٤٤٧
الكتب والمجلات المهداة في الربع الرابع من عام ٢٠٠٥	٤٦٣
فهرس الجزء	٤٧٢